نموذج رقم(1)

إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أثر السلطة والسياسة على عمارة مدينة القدس إبان العصر المملوكي

The impact of the authority and policy on the architecture of Jerusalem city during the mukluks period

أقر بأن ما اشتملت عليه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: Mona Jamal Skaik: **اسم الطالب : منى جمال سكيك**

Signature: **التوقيع**

Date: **02/06/2013** **التاريخ :** 2013/06/02

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الهندسة – قسم الهندسة المعمارية

أثر السلطة والسياسة على عمارة مدينة القدس إبان العصر المملوكي

The impact of the authority and policy on the architecture of Jerusalem city during the mukluks period

إعداد

م. منى جمال سكيك

المشرفين

د. محمد الكحلوت
أستاذ مشارك في قسم الهندسة المعمارية

د. أسامة العيسوي
أستاذ مشارك في قسم الهندسة المعمارية

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في الهندسة المعمارية بالجامعة الإسلامية

2013 -1434

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

عمادة الدراسات العليا هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2013/06/02 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **منى جمال إسماعيل سكيك** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الهندسة*** **قسم الهندسة المعمارية** وموضوعها:

أثر السلطة والسياسية على عمارة مدينة القدس إبان العصر المملوكي

The impact of the authority and policy on the architecture of jerusalem city during the mamluk period

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 23 رجب 1434هـ، الموافق 2013/06/02م الساعة الحادية عشرة صباحاً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. محمد علي الكحلوت	مشرفاً ورئيساً	....
د. أسامة عبد الحليم العيسوي	مشرفاً	....
د. عبدالكريم حسن محسن	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. أحمد يوسف أبوحلبية	مناقشاً خارجيًا	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية *الهندسة*/ قسم الهندسة المعمارية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد الدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف Tel: +970 (8) 286 0700 فاكس fax: +970 (8) 286 0800 P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" (الاسراء، 1)

الملخص

ترقى مدينة القدس إلى ذروة اهتمامات المشتغلين في حقول العالم الإسلامي ، ويحتل مكانة الصدارة في أولويات القضايا الإسلامية حيث ان مدينة القدس تعاني من تضليل للرأي العام وإصرار اليهود والحركة الصهيونية على تهويدها كما تعاني من السياسات القاهرة كإدعاء الصهاينة أنها عاصمة أبدية لما يسمونها بدولة إسرائيل.

تعتبر العمارة من أهم الأدلة الواقعية والسجلات التي يستقى منها تاريخ الأقدمين بما فيه من تقدم وازدهار، أو تدهور وتخلف، وتسجيل لتاريخ الدول المتعاقبة وإعطاء صورة صادقة عن نشأتها، وحيث إن المؤثرات في النتاج الحضاري المعماري كثيرة أهمها تأثير السلطة والسياسة الذي ينعكس على الحضارة من خلال المنتج المعماري، لذا فقد بات من الضروري دراسة أهم معالم المدينة وعمارتها، وقد تم اختيار العصر المملوكي لما يتميز به من ازدهار للحضارة والعمارة والنهضة.

يعتمد البحث في منهجيته على دراسة علمية تحليلية نقدية لمعالم العمارة في مدينة القدس في العصر المملوكي من خلال عرض مشكلة بحثية تتمحور حول ثلاثة قضايا رئيسية: القضية الأولى تتمثل في التساؤل: هل أثرت السلطة والسياسة المملوكية على عمارتهم؟ وما هي طبيعة العلاقة بينهما؟ ،، أما القضية الثانية فتتلخص في: ما هي أهم العناصر المعمارية التي ظهرت متأثرة بالسلطة والسياسة ؟ ،، أما القضية الثالثة فتتمثل في: ما هي الدلالات المعمارية للعمارة المملوكية بالسلطة والسياسة والتي ظهرت في عمارة القدس في العصر المملوكي ؟،، وحيث أن القدس هي النطاق المكاني للدراسة؛ فقد تم تحليل ثلاثة مبانٍ رئيسة فيها هي المدرسة الأشرفية وقلعة القدس وسوق القطانين، وقد أظهرت هذه المباني ارتباطها الوثيق بفلسفة العمارة المملوكية كما وظهرت فيها الدلالات العناصر المعمارية السياسية من خلال تطبيق المعايير الخاصة بالعلاقة بين السلطة والسياسة والعمارة لهذه المباني.

وعليه فقد افترضت الدراسة ثلاث فرضيات: الأولى تؤكد تأثير السلطة والسياسة الخاصة بالمماليك في عمارتهم، والثانية ظهور عدة عناصر معمارية ومفردات معمارية عدة نتيجة سياسة المماليك. أما الفرضية الثالثة فتختص بارتباط الدلالات المعمارية للعمارة المملوكية بالسلطة السياسية لها بشكل واضح في المباني.

وتم تقسيم هذه الدراسة إلى سبعة فصول: الأول منها وضع الإطار العام للدراسة أما الثاني دراسة تاريخ مدينة القدس، والثالث دراسة المماليك والحقبة المملوكية التاريخية، والرابع والخامس يختصان بدراسة السياسة ونظرياتها وعلاقتها بالعمارة، ومن ثم اخصص الفصل السادس بدراسة

المماليك في القدس وعمارتهم الخالدة، والسابع كان هو الدراسة التحليلية التطبيقية لهذه الدراسة البحثية من خلال تطبيق النظريات السياسية التي تم التوصل لها في الفصلين الرابع والخامس على النماذج التي تم تحليلها في الفصل السابع والتي تم تحليلها تمهيدا للتوصل لأهم النتائج والتوصيات.

وخرجت الدراسة بجملة توصيات أهمها ضرورة الحفاظ على العمارة الإسلامية بشكل عام والعمارة المملوكية بشكل خاص في مدينة القدس من خلال التوثيق والتسجيل والبحث؛ وذلك للتصدي لكل المحاولات الخاصة بعملية تهويد مدينة القدس، والاهتمام بالقوانين والتشريعات العمرانية التي تعمل على نهضة الطابع المعماري العام للمدينة بحيث تظهر فيها بعض عناصر العمارة الإسلامية ، كما توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالموروث الحضاري الإسلامي في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة وضرورة التصدي لكل المخططات الصهيونية من خلال المنتجات المعمارية سواء كانت تعليمية أو وثائقية أو إعلامية.

ABSTRACT

Jerusalem is on the centre of interest for those who are concerned with Islamic world, and it occupies top of the priorities of Islamic issues, as Jerusalem witnesses misleading for public opinion. In addition, Jews and Zionism are keen to judaize the city and it suffers from repressive policies such as; Jews' claims that Jerusalem is the eternal capital of the so-called state of Israel.

Architecture is considered as real evidence and reference that the history of ancients obtain from, including their advancement and prosperity or their deterioration and backwardness. Furthermore, it records history of successive nations and gives a true image about their establishment. Because the effects on the civilized architectural output are numerous, and one of them is the impact of authority and politics, it was crucial to examine Jerusalem main landmarks and architecture, particularly, during the Mamluk period as it is characterized with prosperity in civilization, architecture and revival.

The research methodology depended on scientific analytical critical examination of architectural landmarks of Jerusalem during the Mamluk time, and it presented a researching problem with three major issues. First one is represented in some questions as "Do Mamluk authority and politics affect their architecture? What is the nature of the relationship between them? Second issue is summarized in main architectural elements that were influenced by authority and politics. The last issue was about the major architectural significations related to authority and politics of Mamluk period that appeared in Jerusalem architecture. Since Jerusalem is the spatial scope of the study, three buildings there were analysed such as; Al-Ashrafieh School, Jerusalem Castle and Qatanin Market. These buildings showed their relevant connection to Mamluks' philosophy of architecture and they included political architectural elements through applying special standards for the relation between authority and politics and architecture

Therefore, the study had three assumptions; first one confirms the effect of authority and politics of Mamluk on their architecture. The second assumption talks about emergence of architectural elements and details due to Mamluk policy, while the third assumption is about obvious links of Mamluk architectural significations with their policies in the buildings.

The study was divided into seven chapters as the following; chapter one put the general frame, the second studied history of Jerusalem, third chapter was about Mamluk, the fourth and the fifth were specialized in politics, its theories and its relation with architecture, the sixth chapter was dedicated to Mamluk period in Jerusalem and their eternal architecture, and final chapter was the analytical applied study of this research study through applying political theories, which are inferred in both chapters 4 and 5, on the analysed samples in chapter 7 to reach for results and recommendations.

The researcher reached for some recommendations as:

- ✓ Maintain Islamic architecture in general and the Mamluk one in specific in Jerusalem by documentation, recording and research to face all judaization attempts.
- ✓ Mind regulations and laws that promote the architectural feature of the city to show the Islamic architectural elements.
- ✓ Concentrate on Islamic cultural heritage in Palestine and in Jerusalem in particular.
- ✓ Encounter all forms of Zionist judaization through architectural products, whether they are educational, documentary or media.

الإهداء

الى القدس شامخة شموخ الأبطال عزيزة . . . عشقا ونصرا

إلى المرابطين في ثرى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس

إلى شيخ المعماريين الذي غرس فينا كيف نمزج بين عمارة المكان وعمارة القلوب بحب

الأوطان الذي علمنا كيف تجري حب القدس منا مجرى الدم في العروق إلى من كنت أتمنى أن

يكون بيننا اليوم . . . أبي الحبيب رحمه الله

الى نبع الحنان وفيض الأمان . . . والدتي الحبيبة أدام الله عزها

إلى من كان لي سنداً وأنار لي دربي وسدد خطاي على طريق العلم . . زوجي الغالي

إلى من شاركوني العناء وصبروا علي . . . أبنائي عاصم وسلام ومحمود ورغد

إلى من تقر عيناي برؤيتهم . . . أخوتي وأخواتي حفظهم الله

إلى نقابة المهندسين . . . عزا وفخرا

إلى من أعتز بانتمائي لهن أخواتي في الحركة النسائية الإسلامية

إلى كل العلماء المبدعين والعاملين المخلصين

أهدي هذا الجهد المتواضع

منى جمال سكيك

شكر وتقدير

إلى الله جل في علاه أولاً ذو الفضل والمنة أحمده حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أن من علي بإخراج بحثي هذا .

أتقدم بالشكر والعرفان ووافر الامتنان لكل من أسهم في إنجاح هذا البحث المتواضع .

وأخص بالذكر أساتذتي الأفاضل الدكتور محمد الكحلوت والدكتور أسامة العيسوي اللذان تكرما بمرافقتي في درب هذه الرسالة وجادا علي بوقتهما وعلمهما وخبرتهما وتوجيهاتهما البناءة فأخرج هذا البحث على الوجه الأكمل .

وأتقدم بالشكر للدكتور عبد الكريم محسن الذي اقتطع من وقته وخصصه لمناقشة هذه الرسالة فبارك الله له جهده .

كما وأتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ للدكتور أحمد أبو حلبية الذي خصص لي ما يلزم من معلومات ومن وقت لمناقشتي هذه الرسالة سدد الله خطاه وبارك الله فيه .

ولا يمكن أن أنسى أن أتقدم بالشكر للأخوة الدكتور ناجح بكيرات رئيس مركز ترميم المخطوطات والتراث في المسجد الاقصى المبارك والدكتور خالد عزب الباحث والمؤرخ من جمهورية مصر العربية وكذلك أ . عبد اللطيف أبو هاشم مدير دائرة المخطوطات في وزارة الاوقاف –غزة لمواقفهم الرائعة وحرصهم على إتمام هذا البحث وتزويدي بكافة المعلومات والمخططات اللازمة لإنجاح وإتمام هذه الدراسة .

وإلى كل أساتذتي الأفاضل في كلية الهندسة قسم العمارة

فلهم جميعا أتقدم بالشكر والعرفان وتمام الامتنان .

منى جمال سكيك

فهرس المحتويات

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

(من صفحة ١ إلى صفحة ٢٣)

١-١ مقدمة عامة

١-٢ أهمية الدراسة

١-٣ أهداف الدراسة

١-٤ المشكلة البحثية

١-٥ الفرضية البحثية

١-٦ منهجية البحث

١-٧ شخصيات ومصطلحات

١-٨ نطاق الدراسة

١-٩ أسباب اختيار مدينة القدس

١-١٠ معوقات الدراسة

١-١١ الدراسات السابقة

١-١٢ خلاصة الفصل الأول

١-١ مقدمة عامة

لطالما شغلت السياسة والسلطة السياسية عقول الكثيرين من المفكرين، فقد احتلت مساحة واسعة من الفكر والعلم والتطبيق، ولأن العمارة هي المجال الوحيد الذي يترجم هذه الأفكار والتطبيقات فقد تكونت علاقة ما بين السياسة والعمارة، هذه العلاقة ما بين السلطة والسياسة من جهة والعمارة من جهة أخرى علاقة جدلية قديمة حديثة تتبدى فيها أسرار الحكم والحاكم والمحكوم حيث إنه ومما لا شك فيه أن العمران دلالة الحكم والسياسة والأمة، و رمز قوتها أو ضعفها، ومنعتها واستكانتها. إلا أن هذه العلاقة لا يمكن معرفتها أو ظهورها بشكل واضح إلا عن طريق دراستها والتعرف عل جوانبها، لذا فإن هذه البحث يعتمد على دراسة هذه العلاقة وبيان أثر السلطة والسياسة على العمارة. وحيث إن مدينة القدس هي مدينة ذات تاريخ عريق غني ثري وذات أهمية جعلتها محل صراع دائم يصبح للعمارة دلالات ورموز ومعاني أكثر من أي مكان آخر. وتصبح علاقة العمارة بالسلطة والسياسة من أهم جوانب هذه البنية الرمزية وحيث ان مدينة القدس لها مكانتها الفريدة والخاصة جدا منذ بداية التمدن البشرى فهي إحدى أمكنه التحضر الأولى التي بناها الإنسان واستقر فيها فكانت محط أنظار القريب والبعيد ، ويشكل الاهتمام بالآثار والمعالم العربية والإسلامية القائمة في القدس حتى الآن أحد متطلبات الحفاظ على الذاكرة الخاصة بهذه المدينة الأسيرة، وأحد المقومات القوية في المساهمة بإبقاء القدس في الضمائر، وإلى تحريض التفكير والإرادة في سبيل تحرير هذا الموطن العربي الإسلامي الذي يدنسه الاحتلال الصهيوني، والذي يواصل عبر اغتصابه إذلال الأمة وإهانتها.

وفي هذا الصدد تأتي أهمية دراسة إثر السلطة والسياسة على العمارة في مدينة القدس في مختلف فترات تاريخها وبالذات تلك الفترات التي تميزت بقوة السلطة وحكمة السياسة تكتسب أهمية خاصة لا سيما إذا كانت هذه الفترات تمثل مراحل القوة والمنعة والانتصار وذلك لإسقاط ما فيها من العبر والحكم على الواقع الخطير الذي تعاني منه المدينة المقدسة هذه الأيام وهنا تبرز أهمية الفترة المملوكية في تاريخ مدينة القدس بشكل عام وعمارتها بشكل خاص، حيث أجمع الباحثون والدارسون والمؤرخون على أنها أبهى فترات الإنجاز الحضاري المعماري في كل العالم العربي ولا سيما المدينة المقدسة وقد تميزت عمارتها بجمال خاص وفن راق وذوق تشكيلي مرهف خصوصا في المسجد الأقصى والأحياء المحيطة به في البلدة القديمة، فمعظم المباني الموجودة في البلدة القديمة في القدس الآن هي مباني مملوكية أو ذات أصول مملوكية، بالإضافة إلى أن الفترة المملوكية في مدينة القدس تميزت بنشاط علمي وفكري وثقافي رفيع

حيث كثرت المدارس والزوايا والكتاتيب والتكايا، وكثر طلاب العلم ونبغ العلماء وكثر التأليف والكتابة في مختلف جوانب العلوم.

بناءَ على ما سبق فإن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على تأثير السياسة على العمارة والعمران في مدينة القدس بالحقبة السياسية المملوكية عليها ومن خلال ذلك يتم التعرف على أهم الدلالات السياسية في العمارة المملوكية من خلال دراسة النماذج المعمارية الباقية حتى اليوم بهدف الحفاظ عليها من الضياع وبقائها لأجيال المستقبل وذلك للمساهمة في الحفاظ على المدينة كوسيلة دفاع عنها ضد أطماع المستعمرين ووقف كل الاستراتيجيات والممارسات التي يتم ممارستها ضدها، كما أن المدينة بحاجة إلى مواجهة الاستعمار بأدلة مادية واضحة قائمة على أرض الواقع بالمشاركة مع المراجع التاريخية والمخطوطات والوثائق وكتب الرحالة العرب والمستشرقين المنصفين الذين كتبوا وعاشوا تلك الفترة بين جنبات مدينة القدس في فترة حكم المماليك ترد على اتهاماتهم وادعاءاتهم الكاذبة بأن القدس يهودية فهي إسلامية عربية بشهادة التاريخ الموثق، ولأن الحقبة المملوكية هي الحقبة الأكثر ازدهارا في المدينة فقد تم دراستها لتحقيق هذه الأهداف.

١-٢ أهمية الدراسة

- تعرض مدينة القدس باستمرار لأخطار التهويد وإزالة المعالم الاسلامية من الوجود.
- وجود مباني مرتبطة بأحداث عقائدية ودنيوية قد انقلبت إلى أساس للصراع للسلطوي والسياسي والاختلاف والجدل وعليه فمن يملك القدرة على تفسير تاريخ العمارة بالأحداث المرتبطة بها، فإنه بالتبعية يكتسب حقوقاً يستخدمها في قضيته.
- الفترة المملوكية من أكثر الفترات ازدهاراً معمارياً وتخطيطياً وذلك باهتمام حكامها بصناعة أمجاد لهم على الأرض.(الرباط،٢٠٠١)
- محاولة إحياء واستنطاق المخطوطات والوثائق وقراءة واقع القدس تاريخياً وجغرافياً للتعرف على عمران القدس على مر العصور وخاصة في اشكالية ضعف المكتبة العربية من مراجع خاصة بالقدس وان وجد فمعظمها للمستشرقين وتحتاج للتدقيق.
- ان دراسة أثر السلطة والسياسة على العمارة في هذه الفترة تمثل اضافة معرفية جديدة في هذا المجال على مستوى العالم الاسلامي، لان القدس للمسلمين جميعاً، ومن هنا أتت أهمية هذه الدراسة.

وكما تقدم فإن دراسة اثر السلطة والسياسة على العمارة في هذه الفترة يمثل إضافة معرفية جديدة في هذا المجال المهم ليس على مستوى الدراسات العلمية البحثية الجامعية أو على مستوى العالم العربي فقط، بل على مستوى العالم الإسلامي أجمع لأن القدس للمسلمين جميعاً، و من هنا أتت أهمية هذه الدراسة البحثية .

١-٢ أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي :

- دراسة التفاعل التبادلي لتأثير السياسة علي العمارة وتأثر السياسة بالعمارة والموروث العمراني في مدينة القدس في عصر المماليك من خلال استعراض لأمثلة مختلفة من مباني معمارية وارتباطها بمدلولات سياسية في مدينة القدس وفي العصر المملوكي .
- فهم دلالات ومصطلحات السلطة والسياسة في العمارة المملوكية في القدس من خلال الكتابات العلمية التي ربطت بينهما سواء كتابات قديمة من عصر المماليك أو حديثة من العصر الحالي .
- مقارنة هذه الدلالات بما يقابلها من رموز السلطة والسياسة في النماذج المتبقية من العمارة المملوكية في مدينة القدس.
- استغلال العمارة وتوظيفها لتغيير الدلالات الرمزية للقدس العربية الإسلامية.
- إظهار معاناة عمارة مدينة القدس بسبب ممارسات وسياسات الاحتلال الصهيوني الحالي الهادفة إلى القرصنة الصهيونية وطمس الهوية الفلسطينية .
- رفد المكتبة العربية بمرجع يستقرأ الدلالات المعمارية في المراجع والمخطوطات التاريخية والدلالات التصميمية والتشكيلية في المباني.
- توثيق وتأكيد للأماكن التراثية بالمنطقة التي هي نتاج مجتمعات تفاعلت وتعايشت من مئات السنين، والحفاظ عليها من الضياع والاندثار والحفاظ على المعاني والقيم الفنية التي يمكن استعادتها مرة أخري .
- المحافظة على القيم الأخلاقية والعقائدية والفنية والمعمارية وما تحتويه من أفكار وحلول وأساليب معيشية متوافقة مع البيئة وليست الرغبة للعودة للماضي فقط هي المبرر للحفاظ علي التراث الحضاري، وليكون التاريخ هو منهج رؤية المستقبل .
- تأكيد دور المعماري الذي عليه مسئوليات نابعة من رسالته في إعمار الأرض، وفى ظل تيارات العولمة والصراعات السياسية الدولية عليه محاولة إبراز التراث المعماري والعمراني وعمل الدراسات التوثيقية وإبقاء وإحياء البيئة التراثية بوجدان الأجيال المستقبلية .

١-٤ المشكلة البحثية

تطرح الدراسة بعض المشاكل البحثية التي سيتم دراستها والبحث عنها ويمكن سردها فيما يلي:

١- هل أثرت السلطة والسياسة المملوكية في عمارة مدينة القدس؟ وما هي العلاقة بينهما؟

٢- ما هي أهم العناصر الفنية والمعمارية التي ظهرت متأثرة بالسلطة والسياسة في العصر المملوكي بشكل عام؟

٣- ما هي دلالات التصميم المعماري والتخطيط العمراني السياسية والتي ظهرت في عمارة العصر المملوكي في مدينة القدس؟

١-٥ الفرضية البحثية

بعدما تم التعرف على المشاكل البحثية لهذه الدراسة سيتم سرد أهم الفرضيات والتي ستقوم هذه الدراسة بإثباتها والتي تكمن فيما يلي:

١. أثرت السلطة السياسية للمماليك على عمارتهم بشكل واضح في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

٢. ارتبطت الدلالات المعمارية للعمارة المملوكية بالسلطة السياسية لها بشكل واضح في المباني.

٣. ظهرت عدة عناصر معمارية ومفردات معمارية نتيجة الفلسفة السياسية للمماليك.

١-٦ منهجية الدراسة

تحتاج هذه الدراسة إلى منهجية تعتمد على تعمق في الفهم الواعي لماهية العمران والعمارة المستمدة من أبعاد عقائدية واجتماعية وسياسية واقتصادية وتاريخية بهدف تأهيل معماري ومهندسي الغد للدفاع عن قضايا معمارية وعمرانية مفروضة عليه ولا يمكن فصلها عن مدلولها السياسي المرتبط بالهوية الذاتية لمجتمع اليوم والغد. وعليه فإن المنهجية ستكون منوعة ما بين المنهج الوصفي التحليلي والمنهج النقدي ويمكن تفصيلها على النحو التالي:

- المنهج الوصفي التحليلي المقارن لمجموعة من المباني وما يرتبط بها من أحداث تاريخية وعقائدية وعمرانية مع توضيح انعكاساتها والبعد السياسي والسلطوي من بدايات العهد المملوكي وانعكاساته بمنتوجه المعماري حتى التاريخ الحالي وذلك من أجل التعامل مع رموزها ومتغيراتها حيث سيتم تحليل الأنماط المختلفة ومن ثم استنباط بعض الفراغات المعمارية من أنماط وحياة الناس في تلك الفترة.

- المنهج النقدي لتوضيح مفاهيم السلطة والسياسة والتركيز في الدراسة النقدية علي إثبات الفرضيات المطروحة لماهية العمارة الإسلامية وكذلك الأصول التاريخية العقائدية للعمران والمباني المعمارية بالمنطقة العربية والإسلامية.

سيتم مقابلة التحليل النصي بالتحليل لنماذج من المباني المملوكية في البلدة القديمة في القدس والتي تمثل شواهد حية صادقة على العلاقة الوثيقة بين السلطة والسياسة في تلك الفترة من خلال الدراسات التحليلية المعمارية والسياسية للمباني، كما سيتم تناول ودراسة العمارة المعاصرة في القدس ورموز السلطة والسياسة التي يستعملها الاحتلال لمعالم العمارة والعمران في المدينة المقدسة كممارسات سياسية صهيونية هادفة إلى تهويد مدينة القدس للرد عليها ومقابلتها.

١-٧ شخصيات ومصطلحات الدراسة

في هذا الجزء سيتم التعرف على أهم الشخصيات التاريخية التي كان لها دور في هذه الدراسة وتم الاستفادة من معلوماتهم، إضافة إلى تعريف ببعض المصطلحات المهمة والمباني التي تم التعرض إليها.

١-٧-١ أهم الشخصيات التاريخية المستخدمة في الدراسة

١- الحنبلي:

مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي (٩٢٧هـ/١٥٢٠م) صاحب كتاب "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل"هذا الكتاب من أوسع المصنفات التي تناولت تاريخ مدينة القدس والخليل والكثير من المدن الفلسطينية التي هي جزء من الشام، منذ بدء الخليقة وحتى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، وقد احتل هذا المصدر مكانة كبيرة في هذه الدراسة كونه من أوفر وأهم المصادر التي تناولت الحياة العلمية والثقافية في العهد المملوكي حيث وصف الكثير من مدارسها ومساجدها وزواياها وغيرها من المراكز التعليمية الأخرى، كما ذكر تراجم لعدد كبير من العلماء والفقهاء الوافدين إليها الذين شاركوا في ازدهار الحياة العلمية في فلسطين. حيث اعتمد هذا الباحث بشكل كبير على هذا المصدر فقدم معلومات كبيرة عن الحياة الدينية والثقافية والعلمية والاجتماعية، وغيرها من المجالات في الشام، كما تحدث عن الوقفيات وخصوصاً في القدس والخليل خلال العهد المملوكي.(الزاملي، ٢٠١٠، ص١١)

٢- المقريزي:

أحمد بن على (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م):ولد سنة٧٦٦هـ/١٣٦٤م، بحارة برجوان بمدينة القاهرة، وهو بعلبكي الأصل، مصري المولد والمنشأ، عرف باسم المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة في مدينة بعلبك، عكف على دراسة القرآن، وعلوم الدين، والتاريخ وغيرهما، وتقلد العديد من الوظائف، كان آخرها وظيفة الحسبة بالقاهرة، ويعد المقريزي من أشهر المؤرخين المسلمين، وله مؤلفات تاريخية كثيرة، وقد تميزت كتاباته بالدقة في إيراد الحقائق والاعتماد على مصادر ووثائق مفقودة. (السخاوي، ١٩٩٢، ص٩)

ويعد المقريزي من فحول المؤرخين المسلمين وله مؤلفات تاريخية كثيرة وقد تميزت بالدقة والمتانة والموضوعية، ولعل أهم كتبه الذي استخدم في البحث كتاب السلوك الذي يعد ذقيق المعلومات وواضح العبارات، اتصف بالشمول حيث أشار خلاله إلى الكثير من التغيرات في النظم الدينية والإدارية والاقتصادية والسياسية للسلطة المملوكية، والأعمال الدينية للسلاطين والأمراء ؛ منها أنه زودنا بأخبار علاقة المماليك مع العلماء؛ وتطور الحالة الدينية أثناء حكم السلاطين المماليك. (الزاملي، ٢٠١٠، ص١١)

٣- ناصري خسرو:

رحالة وشاعر وفيلسوف فارسي، اعتنق المذهب الشيعي الإسماعيلي وعمل داعياً له. له كتاب الأسفار أو السفرنامه، الذي دوّن فيه أخبار أسفاره في أرجاء العالم الإسلامي، وامتاز بوصف دقيق لمدينة القدس ووصف نادر لأحوال وسط وشرق الجزيرة العربية أيام القرامطة والأخيضريين في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). (http://ar.wikipedia.org)

"سفرنامة" : قام ناصري خسرو بزيارة فلسطين ٤٣٦هـ/١٠٤٧م، وترك لنا وصفاً لرحلته يؤكد على أنه كان يدون مشاهداته أولاً بأول، وعلى الرغم من أن الرحلة حدثت قبيل الهجوم الصليبي على منطقة الشرق الإسلامي إلا أنها غنية بالمعلومات التي تشير إلى الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ فوصف التطور العمراني في فلسطين، وتطور عدد من القرى حتى أصبحت تضاهي المدن، وعند ذكره لمدينة القدس وذكر عدد سكانها حيث بلغ عشرين ألف نسمة، وقدم وصفاً

للبيمارستان في مدينة القدس حيث صنفه بأنه بيمارستان عظيم يصرف لمرضاه العلاج والدواء. (الزاملي، ٢٠١٠، ص١٦)

٤ – القلقشندي:

زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن إسماعيل القلقشندي الشافعي ت (٨٢٠هـ/١٤٢١م) صاحب كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" والجدير بالذكر أن القلقشندي شغل مناصب في الدولة المملوكية مكنته من الاطلاع على الدواوين، الأمر الذي أعطى قيمة للبحث فيما يتعلق بنظام الدولة. (القلقشندي، ١٩٦٣، ص٣٦)

فكتاب "صبح الأعشى" كتاب ضخم يتمثل في أربعة عشر جزءاً، وفيه معلومات على جانب كبير من الأهمية، وهو يدل على عملية تطور تاريخي وظهور المؤرخ المدقق، ويشتمل الكتاب على الكثير من النصوص الدينية والإدارية والتجارية والمعاهدات والاتفاقيات التي تبحث شتى المجالات، وخاصة تفصيل الوظائف الدينية وشعائر العصر المملوكي الدينية، ومكاتبات السلاطين وكبار الموظفين في المناسبات الدينية وغيرها. (المرجع السابق، ص٣٧)

٥ – ابن تغري بردي:

جمال الدين أبو المحاسن صاحب كتاب النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ولد بالقاهرة سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، واهتم ابن تغري بردي بدراسة التاريخ على يد قاضي القضاة بدر الدين العيني وتقي الدين المقريزي. (السخاوي، ١٩٩٢، ص٢٠٦)

وقد أفاد الدراسة بمعلومات تحدث عنها في كتابه النجوم الزاهرة عن المنجزات العلمية والعمرانية في فلسطين بالإضافة إلى المعلومات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والجدير بالذكر أنه من المعاصرين للدولة المملوكية وأحداثها، حيث تميز كتابه بذكر الملوك والسلاطين الذين حكموا مصر بالإضافة إلى ذكر العلماء والقادة والأمراء وتفاصيل توليهم الحكم زمنياً.(الزاملي، ٢٠١٠، ص١٤)

٦- ابن كثير:

عماد الدين إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، ولد ابن كثير سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وقدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه، اجتهد كثيراً، وسمع من كثير من العلماء حتى برع في علوم الحديث والتفسير والتاريخ، ولابن كثير العديد من التصانيف المهمة، ولعل أهم كتبه "البداية والنهاية" الذي يعد من المصادر التاريخية الهامة ذكر فيها الأحداث منذ بدء سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٥م)، واتبع فيه الترتيب الحولي. (ابن العماد، ١٩٨٦، ص٤٣٢)

٧- النعيمي:

عبد القادر بن محمد، "الدارس في تاريخ المدارس" يعد هذا الكتاب من أوسع المصنفات التي تناولت الحياة العلمية في بلاد الشام منذ القرن الخامس وحتى القرن العاشر الهجري، فقد ذكر عدداً كبيراً من المدارس ودور القرآن والحديث والزوايا والربط والمساجد، إضافة إلى ذكر عدد كبير من العلماء والفقهاء والمدرسين. (ابن الغزي، ١٩٥٨، ص٢٥٠)

٨- ابن جبير:

محمد بن أحمد بن جبير الكناني أبو عبد الله، وقيل أبو الحسن المعروف بابن جبير،ولد في مدينة بلنسيا سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، وتلقى العلم على الكثير من شيوخ عصره في غرناطة وسبته، وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق الإسلامي، الأولى في ٥٧٨هـ وانتهى منها بعودته إلى نابلس ٥٨١هـ، والثانية في٥٨٥هـ، بعد أن استرد صلاح الدين مدينة القدس؛ أما الثالثة فكانت سنة ٦١٤هـ ولكن لم يطل به العمر حيث توفى في الإسكندرية في ٢٧ شعبان ٦١٤هـ/١٢١٧م. (ابن جبير، ١١٨٦، ص٢٨٣-٢٨٧)

٩- ماكس فيبير:

هو عالمًا ألمانيًا في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية، وعمله الأكثر شهرة هو كتاب "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية "حيث أن هذا أهم أعماله المؤسسة في علم الاجتماع الديني وأشار

فيه إلى أن الدين هو عامل غير حصري في تطور الثقافة في المجتمعات الغربية والشرقية، وفي عمله الشهير أيضا "السياسة كمهنة" عرف الدولة: بأنها الكيان الذي يحتكر الاستعمال الشرعي للقوة الطبيعية، وأصبح هذا التعريف محورياً في دراسة علم السياسة."http://ar.wikipedia.org"

١٠- محمد بالروين:

أستاذ العلوم السياسية والإدارة ورئيس قسم العلوم الاجتماعية بجامعة تكساس، وهو إسلامي التوجه وليبي الوطن وأمريكي الإقامة، تكمن أحلامه بقيام دولة دستورية تسمو فيها الشريعة ويحكم فيها القانون وتقوم على أساس العدل والاختيار والتعددية والتداول على السلطة.

"mohamedberween.wordpress.com"

١١- نيكولودي برناردودي ميكافيلي:

ولد في فلورنسا ٣مايو ١٤٦٩ ، وتوفي في فلورنسا ٢١يونيو ١٥٢٧، كان مفكراً وفيلسوفاً إيطالياً إبان عصر النهضة، وأصبح الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي والتي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي، من أشهر كتبه "الأمير"."http://ar.wikipedia.org"

١٢- والتر بكلي:

ولد سنة ١٩٢٧ وهو عالم اجتماع أمريكي وأهم ما قدمه في مجال النظرية كتابة "علم الاجتماع ونظرية الأنساق الحديثة لعلم الاجتماع" في محاولة تنمية إطار عمل من المفاهيم عن الحقيقة السيوثقافية، فهو يتميز بالديناميكية لأنه رأى أن النظريات الموجودة تركز على الميكانيكية والعضوية فحاول الانتفاع بديناميكيات تحول المعلومات. "hamdisocio.blogspot.com"

١-٧-٢ أهم المصطلحات المستخدمة في الدراسة

يعتبر عصر المماليك في فلسطين من أزهى عصورها التاريخية، سواء كان من حيث الأمن والاستقرار، أو الرقي والتقدم العمراني والحضاري، فليس غريباً أن يعتبر العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية في فلسطين، فقد شيّد المماليك فيه المساجد والمدارس والمستشفيات والجسور والقلاع والأربطة والسبل والخانات والقنوات وغيرها، لذلك سوف نشرح بعضاً من هذه المباني:

- **القصر**

يعتبر القصر كوحدة معمارية فهو عبارة عن مجموعة من الإيوانات (إثنين أو أربعة) محاط بطرقات لسهولة الوصول إليه ويختص كل إيوان بأمر معين ولكل إيوان تصميم خاص وخدمات خاصة به، أما الجانب الأكثر أهمية في القصر فيه وهو قاعة الأمير وتكون مرتفعة عن الإيوانات. وقد كان القصر يستخدم كدلالة على السلطان والأمير فهو مكان الشرف له حيث يفرض سيطرته وهمينته بالكامل، لذا تميزت القصور بوجود قاعة كبيرة وعالية خاصة بالسلطان في وسط القصر تدل على سيطرته على البلاد بأكملها. (ابن جبير،١٩٦٤، ص٢٢٣)

- **البيمارستانات**

أنشئت البيمارستانات منذ العصر الأموى وهى من مفاخر الحضارة العربية الإسلامية وزاد الاهتمام بها فى العصر العباسى ولكن الأيوبين والمماليك استكثروا من هذه البيمارستانات وقاية لاهل البلاد من الاوبئة والطواعين التى ما فتئت تضرب المنطقة الفينة بعد الأخرى ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على العلاج بل أدت دورا تعليميا فهى أشبه بكليات للطب فالطلبة يقسمون إلى فرق كل فرقة تتخصص بفن معين فمنهم فريق باطنة أو مجبرين أو جراحون أو عيون ووجد فى البيمارستانات قسم للصيدلة يتعلم فيها الطلاب تحضير العقاقير وطبخها وفيها سجلات يدون فيها أسماء المرضى والنفقات التى يحتاجونها من أدوية وأغذية وقسم البيمارستانات إلى أقسام فهناك قسم خاص للنساء وآخر للجراحة وثالث للحميصات ورابع للرمد وخصص قسم للأمراض العقلية ولكل بيمارستان ناظر يشرف على إدارته ويراقب المرضى والأطباء (ابن جبير،١٩٦٤، ص٢٢٥)

- **الحمامات**

تعتبر الحمامات من أهم المؤسسات الاجتماعية فى الإسلام وكانت ظاهرة تعدد الحمامات فى العصور الإسلامية واضحة فللحمام فى العمارة الإسلامية مكانة خاصة فعادة الاستحمام من العادات المهمة فى الإسلام لأنها مظهر من مظاهر الطهارة وروعى فى تخطيط تلكك الحمامات أن تحتوى على ثلاثة بيوت أو قاعات فالبيت الأول مبرد مرطب يخلع فيه المرء ملابسه والثانى

مسخن مرخ والبيت الثالث مسخن مجفف والمقصود من هذا التقسيم التدرج فى درجة الحرارة حتى لا يتعرض المستحم للمرض فى انتقاله فجأة من الجو البارد إلى الحار وبالعكس وبكل حمام قدر كبيرة من النحاس يسخن فيها الماء وينقل منها فى أنابيب فخارية إلى الأحواض وتبلط أرضيته ببلاط خاص وزينت جدران قاعاته بالنقوش الجميلة ويتزود الحمام بالمياه الباردة من برك خاصة أو بواسطة السقا وفى كل حمام قومة وموظفون يقومون على خدمة المستحمين وتنظيف الحمامات ويستعملون فيها البخور فى اليوم مرتين كى تبقى رائحتها ذكية كما يراعى عدم دخول المرضى وكانت هناك حمامات مخصصة للرجال وأخرى للنساء (الزاملي، ١٥١٧، ص١٤٩)

- **الخان**

الخان لفظة فارسية الأصل، أطلقت على المنازل التي يسكنها التجار، وتعني كذلك مخزن البضائع أو الحانوت والمتجر أو الفندق، كان الخان مكان ينزل فيه التجار والمسافرون طلبا للراحة والأمن ولقضاء الأعمال التجارية. (مشعل، ٢٠١١، ص٧٢)

- **الزوايا والخوانق**

ويطلق عليها الخوانق، وعرفت في العهد العثماني بالتكايا، وجدت مئات الزوايا في مختلف أنحاء فلسطين، وهي على الأغلب مؤسسات شخصية، تنشأ باعتبارها مقراً لأحد الأتقياء، فيجمع فيها حوله جماعة من التلاميذ، وتشتمل على مصلى وأحياناً مكتبة، وتختلف عن الخوانق والربط، بأنها أصغر مساحة، ولكنها أكثر عدداً، كما أن الزوايا أقدم عهداً. وقد نهضت الزوايا بأنشطة وأهداف تعليمية، حتى إن كثيراً من المدارس في فلسطين كانت تدعى زوايا والعكس صحيح.(مشعل،٢٠١١، ص٨٣).

- **الأربطة**

والرباط هو في الأصل بيت المجاهدين وكان الهدف من إقامته بداية عسكرياً، وكانت تنتشر بوجه خاص في المدن الساحلية كأبراج للمراقبة، لكن لم تكن جميعها كذلك، فربط القدس والخليل لم تكن تخدم بالأساس أهدافاً عسكرية، وخصوصاً بعد أن تم تحرير البلاد من الفرنجة، بل كان الهدف

الأساسي من بنائها توفير أماكن مناسبة لإقامة الزائرين الذين يفدون إلى مدينة القدس، بالإضافة إلى دورها في مجال التعليم والتربية الروحية. وأصبح العديد منها في العصر العثماني ملجأ للفقراء والمساكين، حيث وفرت لهم الطعام وقدمت لهم مختلف المساعدات، ولقد كانت الربط تغذي الوافدين إليها بالتعليم الديني ، وتوفر لهم غذاء روحيا ، فينقلبون إلى جنود محاربين إذا دعا داعي الجهاد . وفي العصر العثماني أصبح كثير من الربط ملاجىء للفقراء من نساء ورجال يقدم لهم فيها الطعام وتصرف المساعدات المختلفة . وكانت الربط مراكز للتعليم الصوفي ، بالإضافة إلى مهامها الاجتماعية والسياسية ، وكان في بعضها مكتبات وفي حين كان الصوفية يقيمون في الخوانق بصورة دائمة أو شبه دائمة ، كان زوار الربط يقيمون فيها لمدد قصيرة نسبيا ، غير أن التمييز بين الخوانق والربط لم يكن متيسرا في كثير من الأحيان . (مشعل، ٢٠١١، ص٦٩)

- **الترب والأضرحة**

يقصد بالضريح مدفن سلطان أو أمير أو رجل صالح أو أي إنسان آخر له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه، تعلو بناء الضريح عادة قبة تختلف عن قباب الأبنية الدينية والمدنية الأخرى.
لا تأخذ الأضرحة بطبيعة الحال شكلاً واحداً وإن كان دورها الوظيفي واحداً، بل تختلف باختلاف الزمان والمكان، إضافة إلى اختلاف أهمية صاحب الضريح. فهناك البسيط المنفرد البناء المتواضع المواد، المكوّن من غرفة واحدة مقببة مربعة تضم التربة وحدها. وقد يقام الضريح قريبا من مدرسة أو ملاصقا لها أو لحقا بجامع، أو يكون هو النواة لمسجد فخم المظهر متعدد المآذن محاطاً بالبرك والجنائن والأشجار. وقد غالى سلاطين الهند بالإنفاق على الأضرحة وزخرفتها وعرفت بالروضات، ولم يعرف تاريخ العمارة حتى الآن ضريحا أموياً أو عباسياً واحداً، وربما يكون ذلك إلى أن الأمويين كانوا يقتدون بالحديث القائل: "خير القبور الدوارس". (http://ar.wikipedia.org)

- **الأسبلة**

نقل العرب، "مروءة" توفير مياه الشرب من دون مقابل. فعرفت دولة الإسلام، التي تقع أغالب أقاليمها في المناطق المدارية الحارة، عادة إنشاء المباني بغرض توزيع الماء على المارة أو تسبيله (أسبل الماء بمعنى صَبّه) الذي عرفت من أجله بالأسبلة في الشرق العربي، وهذا هو الأغلب، فيما احتفظت هذه المباني بتسمية "السقاية" في المغرب العربي. وقد صادفت مباني الأسبلة رواجاً

وترحيباً حاراً من المسلمين؛ نظراً لما ترتبط به من فعل الخير بتوفير مياه الشرب للمارة في الشوارع، لا سيما في أوقات القيظ، بل كانت هناك الأسبلة، التي تقوم بتخصيص جزء منها ترده السيدات اللاتي لا يقدرن على دفع أجور السقائين، للحصول على احتياجاتهن المنزلية من الماء.

كان الاهتمام ببناء الأسبلة عادة قديمة عند كل الملوك والسلاطين منذ القدم ، ولكن عند المسلمين أخذت طابعاً مميزاً بحيث سارع أهل الخير والأغنياء للتنافس فيما بينهم لعمل الخير وذلك النوع من المنشآت يعتبر فعلاً من أعمال الخير، ولذلك سارع السلاطين والأمراء والحكام إلى إنشاء الأسبلة في الأزقة والطرقات وفي الأماكن العامة حتى يعم الخير ، وبذلك ينالون الأجر والثواب ، ونظراً لأهمية ودور تلك المنشآت المعمارية في الحياة العامة فنادراً ما نجد مدينة إسلامية تخلو من سبيل أو عدة أسبله، وتعتبر الأسبلة من المنشآت الاجتماعية غير الخاصة بالمسافرين والتجار، وكان الغرض منها تيسير الحصول على ماء الشرب ، وهي من المنشئات والأعمال الخيرية الجاري ثوابها ، وقد انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية وبلاد العرب ومكة والمدينة ومصر ودمشق ، وقد يبنون بجوارها بيوتاً تأوي إليها المارة وعابري السبيل ، وأول بناء للأسبلة في مصر في العصر المملوكي كان ابتداء من القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي وكان معظمها من أعمال الأمراء والسلاطين ونسائهم كأنها كفارة عن الذنوب والآثام كما بنى الأغنياء تلك الأسبلة صدقة جارية لأنفسهم أو لأبنائهم أو لأحد أقاربهم المتوفين وتحتها صهريج ملئ بالماء تستخدم للشرب ، وكان يسمح للمارة من كل الجنسيات والملل من المسيحيين واليهود والأجانب كذلك باستعمالها ولا ينقطع الماء عنها أبداً . (الزاملي، ١٥١٧، ص١٤٥)

١–٨ نطاق الدراسة

١–٨–١ النطاق المكاني

مدينة القدس والتي عرفها التاريخ من أقدم العصور والتي تقع في وسط فلسطين تقريباً، إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبالٍ ذات سفوحٍ تميل إلى الغرب وإلى الشرق. وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو ٧٥٠م، وعن سطح البحر الميت نحو ١١٥٠ م، وقد تميزت مدينة القدس بموقع جغرافي هام، بسبب موقعها على الهضاب وفوق القمم الجبلية التي تمثل السلسلة الوسطى للأراضي الفلسطينية، والتي بدورها تمثّل خط تقسيم للمياه بين وادي الأردن شرقاً والبحر المتوسط

غرباً، جعلت من اليسير عليها أنْ تتصل بجميع الجهات، وهي حلقة في سلسلةٍ تمتدّ من الشمال إلى الجنوب فوق القمم الجبلية للمرتفعات الفلسطينية وقد كانت نشاتها الأولى على تل أوفيل المطل على قرية سلوان التي كانت تمتلك عين ماء ساعدتها في توفير المياه للسكان، وانتقلت فيما بعد إلى المناطق الأخرى التي تقع فوقها بلدة القدس المسورة اليوم، وأحيطت هذه المنطقة بالأسوار التي ظلّت على حالها حتى بنى السلطان العثماني (سليمان القانوني) سنة ١٥٤٢ م السور الذي لا يزال قائماً، محدّداً لحدود القدس القديمة جغرافياً، بعد أنْ كان سورها يمتد شمالاً حتى وصل في مرحلة من المراحل إلى منطقة المسجد المعروف (مسجد سعد وسعيد)، وجنوباً حتى نهاية قرية سلوان أي يحدها البحر الميت شرقاً والبحر المتوسط غرباً وحدود نابلس شمالاً وحدود قرية سعير جنوباً وتبلغ مساحة القدس الفعلية والتي نعترف بها نحن كمسلمين حوالي ٦٠٠كم٢ (مؤسسة القدس الدولية)، أما عن التقسيمة السياسية بعد اندلاع حرب ١٩٦٧ قامت دولة الاحتلال باحتلال شرقيْ القدس، وبتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨ تمّ الإعلان عن توسيع حدود بلدية القدس وتوحيدها، وطبقاً للسياسة الصهيونيّة الهادفة إلى السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأرض مع أقل عددٍ ممكن من السكان العرب.لقد تم رسم حدود البلدية لتضمّ أراضى ٢٨ قرية ومدينة عربية، وإخراج جميع التجمعات السكانية العربية، لتأخذ هذه الحدود وضعاً غريباً، فمرةً مع خطوط التسوية (الطبوغرافي)ومرة أخرى مع الشوارع، وهكذا بدأت حقبة أخرى من رسم حدود البلدية، لتتسع مساحة بلدية القدس من ٦٠٥ كم٢ إلى ٧٠.٥٠ كم٢ وتصبح مساحتها مجتمعة (القسم الشرقي والغربي ١٠٨.٥٠ كم٢)، وفي عام ١٩٩٥ توسّعت مساحة القدس مرّةً أخرى باتجاه الغرب لتصبح مساحتها الآن ١٢٣ كم٢.

هذا كله في التقسيمة الجغرافية السياسية أما في الحقيقة فالقدس في النطاق المكاني خمسة أضعاف هذه المساحة تقريباً.

١-٨-٢ النطاق الزماني

العصر المملوكي القرن الثالث عشر الميلادي والذي حكم في مدينة القدس وأثر فيها من خلال منهج سياسته والتي ظهرت على شكل عمران وحضارة لا زالت آثارها باقية حتى اليوم، وهذا يدل على القوة السياسية التي تمتع بها المماليك والذي أكسبهم أهمية خاصة عن غيرهم من الحضارات فقد عملوا على تطهير الشام كله من كافة أشكال الاحتلال الصليبي إضافة إلى قدرتها على تمثيل واستمرار الوحدة والترابط بين الشام ومصر ، مع ظهور نشاط واضح لها في العمارة والبناء والتشييد في مدينة القدس و تميزت عمارتها بجمال خاص وفن راق وذوق تشكيلي مرهف خصوصا في

المسجد الأقصى والأحياء لمحيطة به في البلدة القديمة، فمعظم المباني الموجودة في البلدة القديمة في القدس الآن هي مباني مملوكية أو ذات أصول مملوكية.

١-٩ أسباب اختيار مدينة القدس

تعددت اسباب اختيار المدينة ولكن بداية يمكن القول بأن الله عز وجل اختارها لتكون البقعة المباركة على الأرض حيث يقول تبارك وتعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير."سورة الإسراء ،آية ١ فكيف يكون حال البشر في ذلك فالقدس وأرض فلسطين لها مكانة دينية عظيمة في قلوب المؤمنين في كافة الشرائع والأديان التي جاءت من عند الله سبحانه وتعالى، والمسلمون هم أكثر اعتقادا وإيمانا بأن القدس وما حولها من فلسطين وبلاد الشام أرض مباركة مقدسة بنص قرآني ثابت إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها؛ فكيف لا وهي مهبط الشرائع: اليهودية والمسيحية والإسلام، وكافة المنتسبين إلى هذه الشرائع يقدرون القدس، فهاهم اليهود ينسجون الخيال اليهودي والذي صاغ أساطير وخرافات حول القدس لا تمت للواقع بصلة سطروها في كتبهم المقدسة وفق أهوائهم، فقالوا ما قالوا في الهيكل المزعوم والقدس حتى تنسب القدس لهم كذلك النصارى الذين يقدسون المدينة لما ورد في الأناجيل من ذِكر القدس، وزادت القدس عند النصارى قداسة لما تنصرت الإمبراطورة الرومانية، وبنت كنيسة هيلانة الكنيسة الكبرى المسماة بكنيسة القيامة وكنائس أخرى، فأصبحت القدس محجة للنصارى ولا يمكن إغفال المسلمين والذين هم أحق بها من أي بشر فهي للرسل والأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم جميعهم لهم صلة بها حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم بهم في مسجدها الأقصى في حادثة الإسراء والمعراج، إضافة إلى وجود أنبياء ورسل مرّوا بفلسطين، ومنهم مَنْ دُفِن فيها ومنهم مَنْ أقام فيها. بناء على ذلك كيف يمكن تبرير اختيار مدينة القدس للدراسة وهي مختارة من عند الله. إن واجب المسلمين حمايتها بكل الوسائل المطروحة سواء كانت مادية أو معنوية وبالتالي فإن هذه الدراسة اهتمت بالمدينة ودراستها لتبقى صامدة في ذاكرة أجيال المستقبل وحتى تبقى حية دائمة ما دام الدم يجري في العروق وإن كانت هذه الدراسة ما هي إلا جهداً بسيطاً من أجل الحفاظ على إسلاميتها ولتكون نواة صغيرة لمشاريع وأبحاث كبيرة تهتم بدراسة القدس وعرضها للمجتمع العربي والإسلامي والدولي في آن واحد وتكون ردا على كل الأساطير اليهودية الهادفة لتهويد المدينة ونزعها من المسلمين.

١-١٠ معوقات الدراسة

حيث إن هذه الدراسة تهتم بمعرفة أثر السلطة والسياسة على العمارة في مدينة القدس فقد ظهرت معوقات بحثية متعددة ومتنوعة في نفس الوقت فمنها ما يختص بجمع المعلومات ومنها ما يختص بالحصول على المخططات والدراسات التحليلية لمعالم المدينة المعمارية وفيما يلي سيتم عرض بعض هذه المعوقات:

- عدم قدرة الباحث على الوصول إلى مدينة القدس حيث أنها قابعة تحت الاحتلال الصهيوني الذي لا يسمح بالسفر إليها، ويعتبر هذا هو المعوق الرئيس لهذه الدراسة.
- تعتبر المعاناة السياسية في قطاع غزة في وقت إعداد البحث أحد أهم المعوقات التي واجهت هذه الدراسة التي اهتمت بموضوع التأثير السياسي للعمارة نتيجة الحصار الأمني الذي يعاني منه القطاع وخاصة في موضوع المراسلات البريدية المختلفة لجلب المعلومات المطلوبة.
- على الرغم من وجود بعض المراجع القيمة في دراسة مدينة القدس إلا أن غالبيتها تعود لمؤرخين مستشرقين والعمل بها يحتاج إلى كثير من الفحص والتدقيق لاعتماد ما ورد فيها من معلومات، أما المؤرخون المسلمون فقد اعتمدت دراساتهم على الوصف التاريخي الأثري وهذه الدراسة هي دراسة تحليلية معمارية بالتالي فإن اعتماد هذه المعلومات يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد.
- عدم توفر المخطوطات والرسومات المعمارية التوثيقية الخاصة بالمباني محور الدراسة والصعوبة الشديدة في الحصول عليها من قبل أناس موجودين في القدس حيث يمنع الاحتلال ذلك وإن وجد تكون منقوصة.

١-١١ الدراسات السابقة

لتحقيق أهداف هذه الدراسة المرجوة فلابد من الاطلاع على الدراسات السابقة لكل ما يتعلق بالموضوع، وعليه فإن معظم الدراسات السابقة في هذا الموضوع اهتمت بموضوع مدينة القدس ولكن بشكل تاريخي أثري في استعراض الأحداث، أما الدراسات المعمارية في هذا الموضوع فقد كانت قليلة، وبذلك يمكن تصنيف الدراسات واستعراضها بشكل متسلسل لطبيعة المشكلة البحثية المطروحة.

ثالثاً: الدراسات التاريخية

هناك الكثير من الدراسات التاريخية فمثلا دراسة (الزاملي، ٢٠١٠) والتي اهتمت بدراسة الأوقاف في فلسطين في عهد المماليك وكيف اهتم المماليك بأراضي الأوقاف واستخدموها في إقامة مباني المسلمين لما لها من دور مهم في الحياة الدينية والثقافية والعلمية، وقد أظهرت الدراسة اهتمام المماليك بإنشاء المباني الدينية وخاصة المساجد حيث حظيت بعناية كبيرة جدا وذلك لتكون قادرة على أداء رسالتها الدينية والاجتماعية والثقافية والعلمية، وقد نالت القدس النصيب الأكبر من هذه المباني (المساجد والمدارس) وهذا دلل على أهمية المدينة في العصر المملوكي، ومع أن العرض المستخدم في هذه الدراسة تاريخي إلا أنه تم الاستفادة منها في بعض المعلومات الخاصة بدراسة لعصر المملوكي والمباني المستخدمة في مدينة القدس.

أما دراسة (مشعل،٢٠١١) والتي كانت بعنوان من تاريخ الحركة العمرانية بفلسطين في العهد المملوكي وقد اختصت هذه الدراسة بتتبع الخلفيات والتطورات التاريخية للأعمال والتعمير بأبعادها الحضارية والثقافية والاجتماعية كما تهدف أيضا إلى تسليط الضوء على عناصر الموضوع ومكوناته ضمن نسيج الحياة اليومية ومنظومة الحياة الاجتماعية للسكان وارتباطاتها المتعددة بواقع الحياة ومؤسساتها الرسمية والدينية ومنظومة القيم السائدة وعادات الناس ومتطلباتهم وحاجاتهم في فلسطين عموما وفي القدس خصوصا وقد تمت الدراسة من خلال تتبع لحياة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس حيث تتبع حياته التاريخية وإنجازاته في مدينة القدس وأهم المباني التي أنشأها إضافة إلى تتبع حياته السياسية في مواجهة الحروب وغيرها من الأعمال بالإضافة إلى تنظيماته الإدارية والتنموية وقد استخلصت الدراسة أن الظاهر بيبرس أعاد بناء بعض المدن بكاملها وقام بتعمير مدينة القدس بمختلف مبانيها سواء مساجد أو مدارس وأضرحة وخانات وقد خصص حالة دراسية في نهاية البحث وهي خان الظاهر بيبرس (وهو أحد الحالات التي تمت دراستها لبيان عمارة المماليك في القدس في تلك الفترة حيث تناولته الدراسة بالتفصيل) وأخيرا أوضح كيف حرص الظاهر بيبرس وعلى الرغم من جبهات القتال التي كان يتصدى لها كيف اهتم بإعمار المدينة واعتبره واجباً دينياً لازدهار المدينة.

ثالثاً: الدراسات السياسية

فسيتم عرض بعض الدراسات كان من أهمها ثلاثة دراسات وهي اولاً دراسة (حلس، ٢٠١٠) والتي تتعلق بالدور السياسي للعمارة في إطار الصراع الفلسطيني الصهيوني حيث اهتمت الدراسة بتحليل

الأبعاد السياسية للعمارة وذلك في إطار العمل على مواجهة ما تتعرض له فلسطين من محاولات التزييف والشطب والتشويه من قبل الاحتلال الصهيوني سواء التاريخ أو الذاكرة أو الهوية ويبرز البحث أهمية الموروث المعماري كحصن ثقافي دفاعي من جهة وكوسيلة لترسيخ بنية ذاكرة المكان وتطاير الهوية من جهة ثانية، كما وتناول عددا من النماذج المعمارية والعمرانية التي تعبر عن السياسات الصهيونية الرامية إلى إعادة صياغة المكان الفلسطيني وتفريغه في رموزه الحضارية واستبدالها برموز مستوحاه من النصوص التوراتية لدعم المزاعم الصهيونية بالعمق التاريخي للدولة اليهودية وقد نتج أنهم استخدموا هذه الرموز بهدف الإيهام بعمق زمني للوجود اليهودي على أرض فلسطين وبهدف تعميق الإحساس بالزمن والتاريخ في مجتمع حديث النشأة ويفتقر إلى كل مقومات التواصل الزمني في المكان، وعليه فإن عملية الوعي السياسي في هذه الحالة ضروري حيث لا بد من توجيه العمران الفلسطيني بما يستنطق ذاكرة المكان ويؤكد على الهوية الفلسطينية وبما يشكل في نهاية الأمر ردا على الإدعاءات اليهودية وعليه فإن هذا البحث يوصي بالاهتمام بالأنصاب التذكارية في الميادين العامة وربطها بالأحداث التاريخية والوطنية، إضافة إلى صياغة خط السماء للمدن والبؤر البصرية في المشهد العمراني للمدن الفلسطينية بحيث يدعم الإحساس بالهوية والانتماء، وذلك من خلال تكثيف الرموز المستقاة من التاريخ الفلسطيني والتركيز على الرموز الإسلامية لما لها من تأثير عميق فى الذاكرة والوجدان. إضافة إلى تحفيز المعماريين والمصممين على استلهام النماذج الأصلية من عمارة القرى والمدن التي احتلت في العام ١٩٤٨ وذلك عبر المسابقات المعمارية.

وثانيا دراسة وليد السيد بخصوص موضوع القرصنة الصهيونية للآثار الإسلامية في مدينة القدس وقد نادت هذه الدراسة بضرورة الاهتمام بعولمة المآثر الإسلامية في مدينة القدس بحيث تتصدى لعملية قرصنة آثار القدس.

وثالثا دراسة خالد عزب تعرضت للعلاقة مابين السلطة والسياسة والعمارة وأثرها على العمارة، وقد حددت هذه العلاقة في ثلاثة مستويات:

المستوى الأول العمارة شاهدا سياسيا، وفي هذا المستوي تكون العمارة سجلا للعديد من الأحداث السياسية التي مرت عليها، أو حدثت في المنشأ المعماري، أو تركت أثرها عليه.

والمستوى الثاني الرمزية السياسية للعمارة وفي هذا المستوي تجسد العمارة قوة الدولة وتوجهاتها السياسية . ومثل هذا النوع من العمائر شاع في العمارة الإسلامية . تتمثل هذه الرمزية في عدد من

التعابير المعمارية، يحمل بعضها مضمونا حضاريا، وبعضها الآخر مضمونا سلطويا سياسيا، ويجمع بينهما بعض العمائر ذات التعابير المتعددة.

المستوى الثالث يتمثل في العلاقة الفكرية بين السياسة والعمارة. وهذه العلاقة هي التي تحكم طبيعة العمارة وموضوعاتها وحركيتها وتخطيطها. وهي تنبع من التوجة السياسي للسلطة، هذا التوجه يكون أيديولوجيا، ينعكس علي العمارة في صور متعددة، وهو لا يحدث دفعة واحدة، بل يطل علي العمارة القائمة علي مراحل حتي يكسبها – عند التحول من نمط الي نمط بتغير السلطة- شخصية جديدة، تعرف عند الآثاريين والمعماريين بالطراز المعماري.

واستنتجت هذه الدراسة أن العلاقة في المستويات الثلاثة تؤثر على العمارة والمنتج المعماري بشكل واضح في معظم الحضارات، حيث تعرضت الدراسة لدراسة تاريخية لبعض الحضارات القديمة والحديثة، وأظهرت من خلال التحليل التاريخي تأثر العمارة بالسطة والسياسة، وقد تم الاستفادة من هذه الدراسة في الجزء النظري المتعلق بمحددات العلاقة بين السلطة والسياسة والعمارة التي سنتعرض لها في الفصول القادمة.

ثالثاً: الدراسات المعمارية

فقد أظهرت كثير من الدراسات اهتمامات بالعمارة المملوكية في فلسطين عامة وبعض المدن الإسلامية كمدينة دمشق وسيتم استعراض بعض هذه الدراسات.

- دراسة (الرملاوي، ٢٠١٢) والتي عمدت في دراسة الزخارف المملوكية والعثمانية في غزة كموضوع متخصص حيث تم التعرض لأهم الزخارف المستخدمة وما هي اماكن تواجدها في مدينة غزة وعلاقتها مع بعضها البعض بين حقبتين زمنيتين وهي حقبتا المماليك والعثمانيين وقد استنتجت الدراسة أهمية الزخارف وكيف كان لها دور في تحديد معالم العمارة المملوكية في مدينة غزة وهذا ما تم الاستفاده منه في هذا البحث.
- دراسة (الكحلوت، ٢٠١١) والتي اهتمت بدراسة إشكاليات التوازن بين الحفاظ المعماري ومتطلبات التوسع العمراني في البلدات القديمة من خلال حالة دراسية وهي مدينة دمشق وقد توصلت الدراسة إلى أن المدينة تعاني من إهمال في المباني الأثرية والتاريخية في البلدة القديمة وسوء استعمالها وذلك بسبب مشاريع التطوير والتوسع المعمول به في المدينة وبشكل عام فإن البحث يهدف إلى تقديم دراسة تحليلية للبلدة القديمة لدمشق مع توضيح أهميتها التاريخية والأثرية ومشاريع التطوير التي تهددها ومن ثم وضع حلول واقتراحات فلسفية لحل المشاكل القائمة التي ولدتها علاقة الحفاظ المعماري مع التوسع الحضاري في

المدينة وذلك بما يفي بحاجات السكان المستقبلية وقد تبين من الدراسة أن الحاجة للحماية شديدة بسبب أهمية البلدة القديمة التاريخية، ولكن الحاجة إلى التطوير أيضا شديدة بسبب التزايد في عدد السكان وما يحتاجونه من صحة وتعليم وسكن وطرق ومواصلات وغيرها من الخدمات .لذلك يجب ابتكار منهجيات مناسبة للتعامل مع الوسط التاريخي لدمشق والتوازن مع عملية التطوير والتوسع العمراني.

- دراسة (العابد، ٢٠٠٥) بعنوان التخطيط العمراني لمدينة القدس وقد اهتمت هذه الدراسة بتأثير التخطيط العمراني لمدينة القدس على النسيج العمراني للمدن الإيطالية في العصور الوسطى وعصر النهضة وقد استعرض البحث الأسس الدينية والعمرانية التي جعلت مدينة القدس تؤثر في المدن الإيطالية من خلال عرض الأسس الدينية لأهمية مدينة القدس الدينية وارتباطها بالديانات الثلاث كما بين كيف اثر هذا الارتباط على التخطيط العمراني للمدينة وهويتها المعمارية من خلال تقسيم زمني متبع في الدراسة وهو أربع مراحل زمنية ابتدأت بنشأة المدينة وانتهت بالفترة الإسلامية ا لتي حكمت فيها وأخيرا عرض كيف أثرت عمارة القدس على المدن الإيطالية في العصور الوسطى من خلال تأثر عمران المدن بالقدس لدرجة أن معظم المدن الإيطالية ادعت بأنها القدس الجديدة وخلص البحث إلى أن الحضور الفني والمعماري لقبة الصخرة في أعمال فناني عصر النهضة أثبت أن التأثير الفني لمدينة القدس كان أقوى من تأثير الديانات السماوية وأن الهوية المعمارية العربية الإسلامية للقدس الممثلة بقبة الصخرة وعناصر عمرانية وحضرية أخرى فرضت حضورها على التخطيط العمراني والنسيج المعماري لمعظم المدن الإيطالية كما ووضحت الدراسة كيف زعم يهود البندقية بأن هيكلهم المزعوم هو قبة الصخرة حيث وضعوا شكل قبة الصخرة شعارا لكتبهم الصادرة من البندقية كما وخلص البحث إلى أن التقليد العمراني والمعماري وخاصة تقليد قبة الصخرة الذي قامت به الديانتان (الإسلامية واليهودية) ما هو إلا اعتراف صريح وواضح بالهوية المعمارية العربية الإسلامية لمدينة القدس وأن الصراع الحضاري على هذه المدينة حسم لصالح الحضارة العربية الإسلامية .
- اما دراسة (سليمان، ٢٠٠٥) فقد تعرضت لدراسة العمارة المملوكية وخاصة في عمليتي الإنشاء والبناء، وهل اعتمدت مباني العمارة المملوكية على العلوم الدراسية ام على الخبرات المهنية المتبادلة، وما هي أهم الأسس التشكيلية لتصميم المباني وقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ترابطية بين المضمون الثقافي والتعليمي من جانب وعملية التصميم المعماري من جانب آخر، كما وتوصلت إلى أن المهندس المعماري المملوكي

تلقى تعليما ذا أهداف واضحة وممنهجة ليكون مؤهل لعمل العمارة والهندسة والتنفيذ في آن واحد، وقد أظهرت أعمال العمارة المملوكية بعض الاسس التشكيلية النابعة من الذوق العربي، إضافة إلى استخدام بعض المفاهيم التشكيلية المهمة التي تعتبر نتاج هذه الدراسة. وقد أوصت الدراسة ببعض التوصيات التي نادت بالحفاظ على الهوية التاريخية ذات الجذور الممتدة والراسخة عبر العصور ومعرفة أصولها ومنابعها فلا سبيل للمعاصرة والتحديث دون هذه المعرفة، كذلك توصي الدراسة بتدريس الأسس التشكيلية في مواد النظريات المعمارية النابعة من الثقافة العربية الإسلامية وتطبيقها على المباني الأثرية وذلك لترسيخ أصالة تلك المباني وهويتها في أذهان الطلبة النابعة من أصالة تاريخهم وعمق ثقافتهم، كما وتوصي هذه الدراسة بأنه يجب على المعماري مراجعة كل القيم المعمارية التي تحكم تفكيره. (سليمان، ٢٠٠٥) لقد أظهرت هذه الدراسة اهتماما واضحا بالعمارة المملوكية بكل تفاصيلها.

- أما دراسة (وايزمان، ٢٠٠٩) فقد كانت عن مدينة القدس من خلال البحث في الخطة الصهيونية الرامية إلى إبقاء العرب الفلسطينيين في القدس أقلية بحيث لا تتجاوز نسبة وجودهم 28% من مجموع سكان المدينة، وخاصة مع التزايد السكاني في المدينة حيث عمدت السلطات الصهيونية لعمل خطط بنيت على اساس عمل اختلال ديموغرافي ضمن خطة الترحيل الصامت مع الحد من البناء في الأحياء السكنية ومن خلال ذلك ينتج وبوضوح نمط معماري جديد تظهر فيه السيطرة الصهيونية من خلال نمطها المنافي لطريقة بناء القرى العربية في القدس، مما أدى إلى خلو هذه القرى من أي طراز معماري يستند إلى الأصالة الشرقية بينما اعتمد مهندسو المدن في "الكيان الصهيوني" اسلوب معماري قومي وذلك لتمكين عملية الهيمنة الصهيونية على ثقافة البناء في الأراضي المحتلة والقضاء على الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال ما ظهر من مظاهر للقرى الفلسطينية التي تعكس النفعية المقدسية من خلال إنشاءاتها المكسوة بالبلاط والمدعمة بالأعمدة في المناطق المنحدرة وبذلك تبدو أشبه بنسخة محلية من القرى الحديثة تساهم في الانقلاب الكامل الذي أدخلته سياسة الهيمنة الصهيونية على ثقافة البناء الخاصة بهم وبالفلسطينيين على حد سواء. ولعل هذه الدراسة من أهم الدراسات التي تم الاعتماد عليها في الدراسة البحثية من خلال ما تقدمه من معلومات عن الممارسات الصهيونية ضد العمارة الفلسطينية والهوية المعمارية للقدس في نفس الوقت.

١-١٢ خلاصة الفصل الأول

لقد اعتمد البحث في طرح فكرته البحثية على الاهتمام بثلاث قضايا رئيسة، القضية الأولى تتمثل في التساؤل عن هل أثرت السلطة والسياسة المملوكية في عمارتهم؟. وما هي طبيعة العلاقة بينهما؟. أما القضية الثانية فتتلخص في ما هي أهم العناصر الفنية والمعمارية التي ظهرت متأثرة بالسلطة والسياسة في العصر المملوكي بشكل عام؟. أما القضية الثالثة فتتمثل في ما هي الدلالات السياسية للتصميم المعماري والتخطيط العمراني والتي ظهرت في عمارة العصر المملوكي في مدينة القدس؟. وعليه فقد افترضت هذه الدراسة فرضيات للرد على هذه التساؤلات، الفرضية الأولى تؤكد تأثير السلطة والسياسة الخاصة بالمماليك في عمارتهم بشكل واضح في جميع أنحاء العالم الإسلامي وخاصة مدينة القدس. أما الفرضية الثانية فهي ظهور عناصر معمارية ومفردات معمارية عدة نتيجة الفلسفة السياسية للمماليك. أما الفرضية الثالثة فهي تختص بارتباط الدلالات المعمارية للعمارة المملوكية بالسلطة السياسية لها بشكل واضح في المباني، ولتحقيق هذه الفرضيات تم في هذا الفصل استعراض الأهمية والأهداف لهذه الدراسة بالإضافة إلى ملخص لأهم الدراسات السابقة التي تعرضت للموضوع بالإضافة للتعرف على النطاق المكاني والزماني للدراسة وهذا في مجمله تمهيدا لدراسة مدينة القدس بشكل تفصيلي في الفصل القادم.

الفصل الثاني

مدخل إلى مدينة القدس

(من صفحة ٢٤ إلى صفحة ٣٦)

- ٢-١ دراسة تحليلية لموقع مدينة القدس
- ٢-٢ لمحة تاريخية عن مدينة القدس
- ٢-٣ الأهمية الدينية لمدينة القدس
- ٢-٤ خلاصة الفصل الثاني

تمهيد

بما أن هذه الدراسة تهتم بمدينة القدس فسيتم التعرض لدراسة مدينة القدس والذي سيتم من خلال عمل دراسة تحليلية لموقع مدينة القدس، ثم دراسة المراحل التاريخية والحضارات التي مرت على مدينة القدس ثم دراسة مكانة مدينة القدس الدينية، وهذا تمهيداً وتسهيلاً لدراسة أثر السلطة والسياسة على المدينة إبان العصر المملوكي.

٢-١ دراسة تحليلية لموقع مدينة القدس

في هذا الجزء من الدراسة سوف يتم التطرق إلى تحليل مدينة القدس جغرافياً وجيولوجياً، للتعرف عليها بشكل كامل.

٢-١-١ الدراسات الجغرافية

وتتمثل في دراسة الموقع والمناخ ومظاهر سطح المدينة والتقسيم الإداري لها وتعدادها السكاني.

١- الموقع:

تقع مدينة القدس فلكيا على خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقا، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالا، وهي مرتفعة عن سطح البحر المتوسط ٧٥٠م وعن سطح البحر الميت ١١٥٠م . كما وتبعد عن البحر المتوسط غربا بشكل خط مستقيم ٥٢ كم وتبعد عن البحر الميت ٢٢كم وتبعد جنوبا عن البحر الأحمر ٢٥٠كم.(الباشا، ٢٠٠١، ص٣٥) كما هو موضح في الشكل (٢-١)

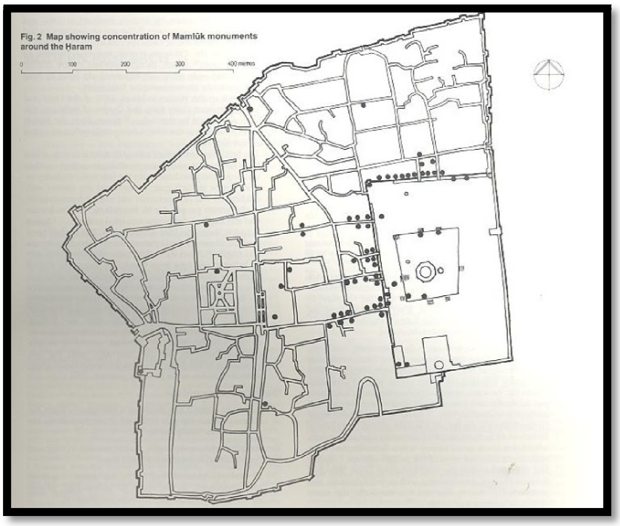


شكل ٢-١ موقع مدينة القدس على خارطة فلسطين
المصدر: "http://ar.wikipedia.org "

٢-مظاهر السطح للمدينة:

تقع مدينة القدس على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب والى الشرق وتحيط بها عدة أوديه من ثلاث جهات، حيث يحدها في الشمال وادي الجوز وفى الشرق وادي قدرون وفى الجنوب وادي يهو شافاط وفى الغرب وادي لا اسم له.(طوطح وخوري ، ١٩٢٣، ص١٠٦-ص١٠٧) وتنقسم القدس قسمان رئيسيان هما:

- المدينة القديمة وتشبه شبه المنحرف في شكلها وهى محاطة بسور قديم يبلغ طوله ستة كيلو متر تقريبا وقد بناه السلطان القانوني سنة ١٥٤٢م ، ولهذا السور سبعة أبواب باب الخليل من الغرب، باب الحديد وباب العمود وباب الساهرة وهى من الشمال باب السيدة مريم من الشرق، باب المغاربة وباب النبي داود وكلاهما من الجنوب.
- المدينة الجديدة والتي تقع خارج السور وهى اكبر من المدينة القديمة مساحة وأكثر سكانا وشوارعها فسيحة ومبانيها حديثة وجميلة وبها حدائق ومتنزهات والتي تبلغ مساحتها ٦٠٠ كم٢ تقريبا.(النتشة واخرون، ١٩٨٤،ص٥) كما هو موضح في الشكل (٢-٢)



شكل ٢-٢ مسطح مدينة القدس

المصدر: "google earth"

٣-المناخ:

ويعتبر مناخ مدينة القدس من تصنيف المناخ المعتدل ، حيث تجمع بين اعتدال الساحل وبرودة الجبال، وأمطارها متوسطة الهطول، ويعتمد أهل المدينة في ري مزروعاتهم على مياه الأمطار،

ومن بعض عيون الماء التي تتفجر من الجبال المحيطة بالمدينة وكل هذه الأسباب المناخية جعلت من الزائرين مقيمين لفترة طويلة.(الباشا، ٢٠٠١، ص٣٦)

وعلى وجه العموم يعتبر طقس مدينة القدس طقساً جميلاً وهواؤها عليلاً، يهب عليها من البحر نسيم يلطف حرها في أشهر الصيف، لا تهب فيها الرياح من الشمال .الرياح الشمالية الغربية لطيفة، أما الرياح الغربية الجنوبية فهي كثيرة الهبوب في فصل الشتاء.(العارف،١٩٦١،ص١٧٦)

٤ – التقسيم الإداري والتعداد السكاني:

يبلغ عدد سكان القدس حوالي ٧٠٠,٠٠٠ نسمة وذلك حتى عام ٢٠٠٧م، شرق القدس هي جميع الأراضي في الجانب الشرقي من مدينة القدس التي كانت تحت الحكم الأردني منذ عام ١٩٨٤م بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين، وحتى الاحتلال الصهيوني للمدينة عام ١٩٦٧م. وتقع ضمن أراضيها مدينة القدس القديمة التي تحوي على أقدس الأماكن للديانات التوحيدية الثلاث الإسلام، والمسيحية واليهودية، مثل المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وحائط البراق (أو كما يسميه اليهود "حائط المبكى")، وتغطي مساحتها اليوم، ٧٠ كم٢ (٢٧ ميل مربع)، أما مساحتها أيام الحكم الأردني قبل حرب ١٩٦٧ فكانت ٦.٤ كم٢ (٢.٥ ميل مربع). تعتبر القدس العاصمة الموعودة للدولة الفلسطينية، على الرغم من أن مكاتب ووزارات السلطة الفلسطينية تقع في رام الله، التي تعتبر كعاصمة إدارية حاليا.

بعد الحرب العربية – الصهيونية عام ١٩٤٨م، أو النكبة، تم تقسيم القدس إلى جزأين هما؛ الجزء الشرقي ويسكنها العرب من المسلمين والمسيحيين، وهو الجزء الذي وقع تحت الحكم الأردني، والجزء الغربي ذو الغالبية اليهودية – بعد تهجير الفلسطينيين منها، وقع تحت الحكم الصهيوني، وبقي جزء صغير من شرق القدس غير خاضع لسيطرة العرب، وهو جبل المشارف والذي تقع فيه الجامعة العبرية أول جامعة صهيونية. (http://ar.wikipedia.org)

أما بعد حرب ١٩٦٧م أو النكسة، أصبح الجزء الشرقي من المدينة تحت السيطرة الصهيونية بعد احتلالها. كما تم إلحاقها بالقدس الغربية، مع الكثير من القرى بالضفة الغربية. والذي أدى بمجلس الأمن أن يصدر قرار ٢٤٢ الذي نص بضرورة انسحاب الصهاينة من الأراضي العربية المحتلة آنذاك (القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء المصرية وهضبة الجولان السورية).

أما في عام ١٩٨٠م، أصدر الكنيست الصهيوني قراراً أطلق عليه قانون القدس، والذي نص على أن القدس موحدة وعاصمة أبدية للدولة العبرية، والذي لم يحظ بأي اعتراف عالمي يذكر، سوى

اعتراف الولايات المتحدة عام ١٩٩٥م ودول قليلة أخرى، إلا أن الرئيس الأمريكي يقوم كل ستة أشهر بتأجيل قرار مصادقة الكونغرس على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس. أما بالنسبة لبريطانيا، فلا تعتبر القدس الشرقية محتلة، لكن بنفس الوقت غير تابعة لأي دولة.

في عام ٢٠٠٢م شرعت حكومة الصهيويني رئيس الكيان الصهيوني آنذاك ببناء الجدار العازل في القدس وغيرها من الأراضي الفلسطينية بالضفة الغربية، بشكل التفافي تم بموجبه ضم أكبر عدد من المستوطنات إلى القدس، وعزل في نفس الوقت الكثير من الأحياء العربية والبلدات المحيطة بها، في خطة بعيدة الأمد أطلقها الكيان الصهيوني لتغير الميزان الديمغرافي لصالح السكان اليهود، أطلق عليها اسم " القدس ٢٠٢٠م".(http://ar.wikipedia.org)

٢-١-٢ الدراسات الجيولوجية

والتي تتمثل في دراسة مصادر المياه للمدينة المقدسة وطبيعة الأرض وإذا ما تعرضت للزلازل وغيرها، وكما وسيتم التعرف على المواد المستخدمة في عمارة هذه المدينة .

١- المياه:

كان يوجد مصدر طبيعي للمياه وهو عين في قرية سلوان إلى الجنوب الشرقي من المدينة وباستخدام القنوات المائية كان يتم توصيل المياه للمدينة القديمة والتي تقع إلى الجنوب من المدينة القديمة الحالية .

إلا أن الينبوع مستواه منخفض جدا ليغذي المدينة اليوم لذا فقد وجد (بورجويني، ١٩٨٧، ص٤٨) ينابيع في مستويات أعلى بشكل كافٍ لتوصيل الماء للمدينة بالجاذبية الأرضية وهو على بعد 1 كيلو متر إلى الجنوب من المدينة. وجميع هذه المصادر تصب في بركة سليمان ومن ثم يوزع على المدينة بأكملها. (بورجويني، ١٩٨٧، ص٤٩)

والإشارة هنا أن القدس في العصر المملوكي كانت تتبع نظام تغذيه بالماء معقد حيث كان التجميع تحت الحرم، وقد كان هناك في العصر المملوكي عدة مخازن مائية لتجميع مياه الأمطار من المدينة بالإضافة أن كل مبنى كان له خزان لتجميع مياه الأمطار والاستفادة منها. (بورجويني، ١٩٨٧، ص٥٠)

٢- الهزات الأرضية:

لقد ضربت الهزات الأرضية أرض القدس في فترات منتظمة خلال زمن طويل وقد كانت المباني المملوكية تتفادى هذه الأخطار بشكل فعال وقد سجل علماء الآثار هذه الملاحظة في المباني

المملوكية وقد كانت أكثر من هزة أرضية معروفة وقد دمرت بعض المباني المملوكية في الأعوام ١٣٠٣ ميلادي وفي ١٤٥٨ م وفي ١٥٤٦م و ١٨٣٤م وعام ١٩٢٧م. (بورجويني، ١٩٨٧، ص٦٣)

٣- مواد البناء المستخدمة:

يتضح من عمارة مدينة القدس أن استخدامها للحجر واضح بشكل كبير، ويتضح ذلك في السور الحجري المرتفع الذي يحتوي على سبعة أبواب مفتوحة وكذلك في أسوار المسجد الأقصى المبارك التي تحتوي على أربع آبار، وكما يتبين ذلك في العقود الحجرية الجميلة التي يرجع تاريخها إلى العصور الإسلامية الوسطى.

ومن شدة قوة وصلابة أحجار مدينة القدس اشتهرت بشكل كبير، ونسبة لهذا أصبح يسمى الحجر المستخرج من مدينة القدس بالحجر القدسي.

ومن المواد التي استخدمها أهل القدس بكثرة الفسيفساء، وخاصة في تزيين المساجد والأماكن الدينية مثل استخدامها في الكتابة فوق محراب صلاح الدين حين تم ترميمه في المسجد الأقصى.

كما أنهم أيضاً استخدموا الخشب، وكان يتم عليه نقش بالحفر النافر بعناصر نباتية من أوراق الأغصان، كما وكثر استخدام الخزف والقاشاني أيضاً في التزيين وخاصة في الكسوات الداخلية للعمائر آنذاك.(نعيرات،٢٠٠٩، ص٢٥)

٢-٢ لمحة تاريخية عن مدينة القدس

في هذا الجزء من الدراسة سيتم التعرف على الحقب التاريخية التي تعرضت لها مدينة القدس منذ فجر التاريخ وما هي الحضارات التي أثرت على عمارتها بالدرجة الأولى وعلاقة بعضها بالبعض الآخر.

٢-٢-١ القدس في التاريخ القديم

يرجع تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة أي إلى عصر أبينا آدم علية الصلاة والسلام منذ بدء الخليقة، وهي بذلك تعد واحدة من أقدم مدن العالم. وتدل الأسماء الكثيرة التي أطلقت عليها على عمق هذا التاريخ. وقد أطلقت عليها الشعوب والأمم التي استوطنتها أسماء مختلفة، فالكنعانيون الذين هاجروا إليها في الألف الثالثة قبل الميلاد أسموها "أورساليم" وتعني مدينة السلام أو مدينة الإله ساليم. واشتقت من هذه التسمية كلمة "أورشليم" التي تنطق بالعبرية "يروشاليم" ومعناها البيت المقدس، وقد ورد ذكرها في التوراة ٦٨٠ مرة. ثم عرفت في العصر اليوناني باسم إيلياء ومعناه بيت الله. ومن أهم الأعمال التي قام بها الكنعانيون في القدس شق نفق

لتأمين وصول المياه إلى داخل المدينة من نبع جيحون الذي يقع في وادي قدرون والذي يعرف اليوم بعين سلوان.(النتشة وآخرون،١٩٨٤ ،ص٢٩)

سكنت قبيلة اليبوسيين –أحد البطون الكنعانية العربية– المدينة حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م فأطلقوا عليها اسم يبوس وقد برزت مدينة يبوس كمدينة ذات اهمية تجارية لموقعها الجغرافى الهام على طرق التجارة المعروفة فى ذلك الوقت كما تميزت بأهميتها الاستراتيجية والعسكرية لوقوعها على قمم وتلال تسيطر على ما يتصل بها من طرق.(الدباغ، ١٩٧٥،ص٢٥)

خضعت مدينة القدس للنفوذ المصري الفرعوني بدءا من القرن 16 ق.م. وفي عهد الملك إخناتون تعرضت لغزو "الخابيرو" وهم قبائل من البدو، ولم يستطع الحاكم المصري عبدي خيبا أن ينتصر عليهم بل انهزم أمامهم، فظلت المدينة بأيديهم إلى أن عادت مرة أخرى للنفوذ المصري في عهد الملك سيتي الأول ١٣١٧ – ١٣٠١ق.م.(الكسوانى، ١٩٧٨، ص٧٣)

ثم حكم اليهود للقدس ٧٣ عاماً في عهد مملكة يهودا الذي امتد لأكثر من خمسة آلاف سنة. فقد استطاع داود السيطرة على المدينة في عام ٩٧٧ أو ١٠٠٠ ق.م وسماها مدينة داود وشيد بها قصراً وعدة حصون ودام حكمه ٤٠ عاماً. ثم خلفه من بعده ولده سليمان الذي حكمها ٣٣عاماً وبعد وفاة سليمان انقسمت الدولة في عهد ابنه رحبعام وأصبحت المدينة تسمى "أورشليم" وهو اسم مشتق من الاسم العربي الكنعاني شاليم أو ساليم الذي أشارت التوراة إلى أنه حاكم عربي يبوسي كان صديقاً لإبراهيم.(العارف، ١٩٦١،ص١٠)

٢-٢-٢ القدس في عصر الرومان

احتل الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني مدينة القدس بعد أن هزم آخر ملوك اليهود صدقيا بن يوشيا عام ٥٨٦ ق.م، ونقل من بقي فيها من اليهود أسرى إلى بابل بمن فيهم الملك صدقيا نفسه ثم سمح الملك الفارسي قورش عام ٥٣٨ ق.م لمن أراد من أسرى اليهود في بابل بالعودة إلى القدس .استولى الإسكندر الأكبر على فلسطين بما فيها القدس عام ٣٣٣ ق.م، وبعد وفاته استمر خلفاؤه المقدونيون والبطالمة في حكم المدينة، واستولى عليها في العام نفسه بطليموس وضمها مع فلسطين إلى مملكته في مصر عام ٣٢٣ ق.م. ثم في عام ١٩٨ ق.م أصبحت تابعة للسلوقيين في سوريا بعد أن ضمها "سيلوكس نيكاتور"، وتأثر السكان في تلك الفترة بالحضارة الإغريقية.(الدباغ، ١٩٧٥،ص٢٥)

استولى قائد الجيش الروماني "بومبيجي" على القدس عام ٦٣ ق.م وضمها إلى الإمبراطوية الرومانية. وشهد الحكم الروماني للقدس والذي استمر حتى عام ٦٣٦م حوادث كثيرة، ففي الفترة من ٦٦ إلى ٧٠م قام اليهود في القدس بأعمال شغب وعصيان مدني قمعها الحاكم الروماني تيطس بالقوة فأحرق المدينة وأسر كثيراً من اليهود، وعادت الأمور إلى طبيعتها في ظل الاحتلال الروماني للمدينة المقدسة. ثم عاود اليهود التمرد وإعلان العصيان مرتين في عامي ١١٥و١٣٢م وتمكنوا بالفعل من السيطرة على المدينة، إلا أن الإمبراطور الروماني هدريان تعامل معهم في المرتين بعنف وأسفر ذلك عن تدمير القدس للمرة الثانية، وأخرج اليهود المقيمين فيها ولم يُبق إلا المسيحيين، ثم أمر بتغيير اسم المدينة إلى "إيلياء" واشترط ألا يسكنها يهودي .نقل الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما إلى بيزنطة، وأعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة فكانت نقطة تحول بالنسبة للمسيحيين في القدس حيث بنيت كنيسة القيامة عام٣٢٦م.(سويد،١٩٩٧، ص٨١)

٢-٢-٣ القدس في العصر الإسلامي

انقسمت الإمبراطورية الرومانية عام ٣٩٥ إلى قسمين متناحرين مما شجع الفرس على الإغارة على القدس ونجحوا في احتلالها في الفترة من ٦١٤ إلى ٦٢٨م، ثم استعادها الرومان مرة أخرى وظلت بأيديهم حتى الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م .في عام ٦٢١م تقريباً شهدت القدس زيارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم صعد إلى السماوات العلى .دخل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة القدس سنة ٦٣٦ /١٥ هـ (أو ٦٣٨ م على اختلاف في بعض المصادر) بعد أن انتصر الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، واشترط البطريرك صفرونيوس أن يتسلم الخليفة عمر رضي الله عنه المدينة بنفسه فكتب معهم "العهدة العمرية" وهي وثيقة منحتهم الحرية الدينية مقابل الجزية. وغير اسم المدينة من إيلياء إلى القدس، ونصت الوثيقة ألا يساكنهم فيها أحد من يهود.(سويد ، ١٩٩٧، ص٩٤)

واتخذت المدينة منذ ذلك الحين طابعها الإسلامي واهتم بها الأمويون (٦٦١ – ٧٥٠م) والعباسيون (٧٥٠– ٨٧٨م) وشهدت نهضة علمية في مختلف الميادين. ومن أهم الآثار الإسلامية في تلك الفترة مسجد قبة الصخرة الذي بناه الخليفة عبد الملك بن مروان في الفترة من ٦٨٢ – ٦٩١م، وأعاد بناء المسجد الأقصى القبلي عام ٧٠٩م، وشهدت المدينة بعد ذلك عدم استقرار بسبب

الصراعات العسكرية التي نشبت بين العباسيين والفاطميين والقرامطة، وخضعت القدس لحكم السلاجقة عام ١٠٧١م.(العارف،١٩٦١ ،ص١٤)

سقطت القدس في أيدي الصليبيين عام ١٠٩٩م بعد خمسة قرون من الحكم الإسلامي نتيجة صراعات على السلطة بين السلاجقة والفاطميين وبين السلاجقة أنفسهم. وقتل الصليبيون فور دخولهم القدس قرابة ٧٠ ألفاً من المسلمين وانتهكوا المقدسات الإسلامية. وقامت في القدس منذ ذلك التاريخ مملكة لاتينية تحكم من قبل ملك كاثوليكي فرض الشعائر الكاثوليكية على المسيحيين الأرثوذكس مما أثار غضبهم. (سويد، ١٩٩٧، ص٩٢)

استطاع صلاح الدين الأيوبي استرداد القدس من الصليبيين عام ١١٨٧م بعد معركة حطين، وعامل أهلها معاملة طيبة، وأزال الصليب عن قبةالصخرة، واهتم بعمارة المدينة وتحصينها. ولكن الصليبيين نجحوا في السيطرة على المدينة بعد وفاة صلاح الدين في عهد الملك فريدريك ملك صقلية، وظلت بأيدي الصليبيين ١١ عاماً إلى أن استردها نهائياً الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٤م،وعندما تعرضت المدينة للغزو المغولي عام١٢٤٤/١٢٤٣م، استطاع المماليك هزيمتهم بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس في معركة عين جالوت عام ١٢٥٩م، وضمت فلسطين بما فيها القدس إلى المماليك الذين حكموا مصر والشام بعد الدولة الأيوبية حتى عام ١٥١٧م. (النتشة واخرون، ١٩٨٤،ص٢٩-٣٤)

حيث إن هذه الدراسة متخصصة في أثر السلطة والسياسة على عمارة مدينة القدس إبان العصر المملوكي، سيتم التعرض لمدينة القدس في زمن المماليك في الفصول القادمة.

ثم دخلت جيوش العثمانيين فلسطين بقيادة السلطان سليم الأول بعد معركة مرج دابق (١٦١٥ – ١٦١٦م) وأصبحت القدس مدينة تابعة للإمبراطورية العثمانية. وقد أعاد السلطان سليمان القانوني بناء أسوار المدينة وقبة الصخرة. وفي الفترة من عام ١٨٣١ – ١٨٤٠م أصبحت فلسطين جزءًا من الدولة المصرية التي أقامها محمد علي ثم عادت إلى الحكم العثماني مرة أخرى. وأنشأت الدولة العثمانية عام ١٨٨٠م متصرفية القدس، وأزيل الحائط القديم للمدينة عام ١٨٩٨م لتسهيل دخول القيصر الألماني وليام الثاني وحاشيته أثناء زيارته للقدس. وظلت المدينة تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى التي هزم فيها الأتراك العثمانيون وأخرجوا من فلسطين، ثم سقطت القدس بيد الجيش البريطاني في ٨- ١٩١٧/١٢/٩م بعد البيان الذي أذاعه الجنرال البريطاني اللنبي، ومنحت عصبة الأمم بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وأصبحت القدس عاصمة فلسطين تحت الانتداب البريطاني (١٩٢٠ – ١٩٤٨م). ومنذ ذلك الحين دخلت المدينة في عهد

جديد كان من أبرز سماته زيادة أعداد المهاجرين اليهود إليها خاصة بعد وعد بلفور عام١٩١٧م، ثم أحيلت قضية القدس إلى الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، فأصدرت الهيئة الدولية قرارها في ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧م، بتقسيم القدس وبتدويل القدس.(سويد، ١٩٩٧، ص٩٣)

في عام ١٩٤٨م، أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب في فلسطين وسحب قواتها، فاستغلت العصابات الصهيونية حالة الفراغ السياسي والعسكري وأعلنت قيام الدولة الصهيونية. وفي ٣ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٨م، أعلن ديفيد بن غوريون رئيس وزراء الصهاينة أن لا معنى للصهاينة بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل، في حين خضعت القدس الشرقية للسيادة الأردنية حتى هزيمة يونيو/ حزيران ١٩٦٧م، التي أسفرت عن ضم القدس بأكملها لسلطة الاحتلال الصهيوني.(العارف، ١٩٦١، ص١٠٥)

٢-٣ الأهمية الدينية لمدينة القدس

لقد سجل القرآن الكريم مكانة القدس حيث وضح أن الله سبحانه تعالى أسرى بعبده وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حيث قال جل شأنه "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الاسراء،١) وسُمِّي بالمسجد الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة والمراد بالبركة المذكورة في الآية الكريمة في قوله تعالى "الذي باركنا حوله "البركة الحسية والمعنوية، فأما الحسية فهي ما أنعم الله تعالى به على تلك البقاع من الثمار والزروع والأنهار، وأما المعنوية فهي ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية، حيث كانت مهبط الأنبياء والمرسلين ومسرى خاتم النبيين الصالحين ، وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين .والمسجد الأقصى: هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ."ومعنى هذا الحديث أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلا لهذه المساجد الثلاثة لا أنه لا يسافر أصلاً إلا لها، وقد بني المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال :قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: "المسجد الحرام"، قلت: ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى"، قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون سنة، وأينما أدركت الصلاة فصل فإن الفضل فيه" (صحيح متفق عليه). (www.alquds-online.org).

وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة في الإسلام فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.روى الطبري في تاريخه عن قتادة قال: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة، وبعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو القدس ستة عشر شهرًا، ومما يدل على فضل مدينة القدس ومكانتها أنها أرض المحشر والمنشر، وعن ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟ قال: "أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره"، وعن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس.."(العارف، ١٩٦١، ص١٣-١٦)

إن القدس مدينة أنبياء الله إبتداء من إبراهيم الخليل إلى عيسى عليهما السلام وقد شار إلى ذلك بأسلوب بليغ أول من خطب بالمسلمين فى مسجد الاقصى اثر الفتح الصلاحى القاضى محى الدين بن زكى الدين على القرشى حين قال" هو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي ومنزل ينزل به الأمر والنهى وهو البلد الذى بعث الله إليه عبده ونبيه ورسوله وكلمته التى ألقاها على مريم وروحه عيسى الذى كرمه برسالته وشرف نبوءته ولهذه الأسباب أحاط الخلفاء والأمراء والصالحون فى جميع العصور الإسلامية المدينة برعايتهم فأنشأوا المدارس والمساجد والزوايا والأربطة والبيمارستانات حتى أضحت متحفا يضم من الآثار ما لم يجتمع في مدينة وحدها وعلى رأسها جميعها درة الفن الإسلامى اليتيمة وآيته العظيمة قبة الصخرة التى فتنت علماء الآثار حتى أجمعوا على أنها من أعظم الآثار الإسلامية التي عرفها التاريخ. (النتشة وآخرون،١٩٨٤،ص١٩)

ومن فضائل بيت المقدس أن الله رفع نبيه إلى السماء من بيت المقدس ورفع عيسى بن مريم من بيت المقدس وتكون الهجرة في أخر الزمان إلى بيت المقدس والمحشر والمنشر إلى مدينة القدس والحساب يوم القيامة إلى بيت المقدس وينصب لصراط على جهنم إلى الجنة ببيت المقدس وينفخ إسرافيل فى الصور من بيت المقدس ويتفرق الناس من بيت المقدس إلى الجنة والنار.(الطحان، ٢٠٠١، ص٥٦)

أول ما تمثله القدس في حس المسلمين وفي وعيهم وفكرهم الديني، أنها (القبلة الأولى) التي ظلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم منذ فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة للبعثة المحمدية، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، وظلّوا يصلون إليها في مكة، وبعد هجرتهم إلى المدينة، ستة عشر شهراً، حتى نزل القرآن يأمرهم بالتوجه إلى الكعبة، أو المسجد الحرام، كما قال تعالى {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا

كنتم فولوا وجوهكم شطره} البقرة :١٥٠، وفي المدينة المنورة معلمٌ أثري بارز يؤكد هذه القضية، وهو مسجد القبلتين، الذي صلى فيه المسلمون صلاة واحدة بعضها إلى القدس، وبعضها إلى مكة. وهو لا يزال قائماً وقد جُدِّد وتُعهد، وهو يزار إلى اليوم ويصلى فيه. (القرضاوى،١٩٩٨، ص٨٢)

وثاني ما تمثله القدس في الوعي الإسلامي: أن الله تعالى جعلها منتهى رحلة الإسراء الأرضية، ومبتدأ رحلة المعراج السماوية، فقد شاءت إرادة الله أن تبدأ هذه الرحلة الأرضية المحمدية الليلية المباركة من مكة ومن المسجد الحرام، حيث يقيم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن تنتهي عند المسجد الأقصى، ولم يكن هذا اعتباطاً ولا جزافاً، بل كان ذلك بتدبير إلهي ولحكمة ربانية، وهي أن يلتقي خاتم الرسل والنبيين هناك بالرسل الكرام، ويصلي بهم إماماً، وفي هذا إعلان عن انتقال القيادة الدينية للعالم من بني "صهيون" إلى أمة جديدة، ورسول جديد، وكتاب جديد.. أمة عالمية، ورسول عالمي، وكتاب عالمي، كما قال تعالى{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} الأنبياء : ١٠٤، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً}الفرقان١:. (القرضاوى،١٩٩٨،ص٩١)

والقدس ثالث المدن المعظمة في الإسلام. فالمدينة الأولى في الإسلام هي مكة المكرمة، التي شرفها الله بالمسجد الحرام. والمدينة الثانية في الإسلام هي طيبة، أو المدينة المنورة، التي شرفها الله بالمسجد النبوي، والتي ضمّت قبر الرسول صلى الله عليه وسلم. والمدينة الثالثة في الإسلام هي القدس أو بيت المقدس، والتي شرفها الله بالمسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله، وفي هذا صحّ الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا". فالمساجد كلها متساوية في مثوبة من صلى فيها، ولا يجوز للمسلم أن يشدّ رحاله، بمعنى أن يعزم على السفر والارتحال للصلاة في أي مسجد كان، إلا للصلاة في هذه الثلاثة المتميزة. وقد جاء الحديث بصيغة الحصر، فلا يقاس عليها غيرها.(الطحان، ٢٠٠١، ص٧٥)

٢-٤ خلاصة الفصل الثاني

تم التعرض في هذا الفصل إلى دراسة مدينة القدس بشكل تفصيلي، حيث تم عمل دراسة تحليلية مناخية جغرافية من جهة، وتبين من خلال ذلك تميز موقع مدينة القدس من حيث إطلالتها ومناخها، ومن جهة أخرى من الناحية الجيولوجية توضح أنها تتمتع بمياه جوفيه تكفي احتياجات ساكنيها إضافة إلى اعتبارها مصدراً للمواد التي تم استخدامها في بناء نفسها ، لذا فالمدينة كانت تتميز بالاكتفاء الذاتي، كما وتم التعرض لسرد تاريخي للحضارات التي تعاقبت على مدينة القدس حتى وصلت إلى تاريخ الاحتلال الصهيوني، وأخيراً تم التحدث عن مكانة مدينة القدس وفضائلها الدينية، حيث تعتبر مهبط الديانات السماوية وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

وبما أن محور الدراسة يتمثل في تحليل ودراسة مدينة القدس في العصر المملوكي، فسوف نتعرض لدراسة الحكم المملوكي على مر العصور في مدينة القدس وذلك في الفصل القادم.

الفصل الثالث

الحكم المملوكي في مدينة القدس

(من صفحة ٣٧ إلى صفحة ٨٦)

٣-١ مدينة القدس في العصور الإسلامية الأولى

٣-٢ مدينة القدس في العصور الإسلامية الوسطى

٣-٣ العصر المملوكي

٣-٤ خلاصة الفصل الثالث

تمهيد

بعد أن تم التطرق للدراسة التحليلية لمدينة القدس، سيتم في هذا الفصل دراسة الحكم المملوكي في مدينة القدس من خلال دراسة الحضارات الإسلامية المتعاقبة على مدينة القدس من العصور الإسلامية الأولى وحتى وقوعها تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني.

وبما أن جل الموضوع يتحدث عن مكانة مدينة القدس وأثر السياسة والسلطة على مدينة القدس إبان العصر المملوكي، سيتم دراسة الحكم المملوكي في مدينة القدس بتوسع، من خلال دراسة نشأة المماليك ووجودهم في القدس ودراسة أهم سلاطين المماليك في القدس واستعراض أهم منشآتهم المعمارية المنشأة في مدينة القدس.

٣-١ مدينة القدس في العصور الإسلامية الأولى

كانت مدينة القدس-إيلياء في عهد ماقبل الإسلام مدينة محصنة بحكم موقعها من جهة وأهميتها الدينية من جهة أخرى، وكعادة الفتح فقد أنذر القائد أبو عبيدة بن الجراح أهل مدينة القدس وسكانها من النصارى الروم إما بقبول الإسلام أو دفع الجزية أو الدخول في الحرب، فلم يستجب أهل القدس لهذا الإنذار واختاروا القتال.

وأشتد حصار المسلمين للمدينة واستمر زهاء أربعة أشهر، فخرج البيزنطيون مستسلمين إلى أبي عبيدة ابن الجراح وعلى رأسهم بطريك القدس في ذلك الوقت صفرونيوس، وطلبوا الصلح ولكنهم اشترطوا عليه ألا يسلموا المدينة إلا إلى الخليفة عمر بن الخطاب.(وزيري، ٢٠٠٤، ص٤٤)

٣-١-١ عهد عمر بن الخطاب

دخل عمر بن الخطاب فاتحاً القدس في سنة ١٥هـ/٦٣٦م، وأعطى أهل القدس أماناً على أنفسهم وأموالهم ودينهم في وثيقة عرفت "بالعهدة العمرية" وفيما يلي نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أعطي عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المسلمين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية".(وزيري، ٢٠٠٤، ص٤٤-ص٤٥)

كان أول عمل قام به عمر بن الخطاب بعد فتح مدينة القدس أن قام بزيارة كنيسة القيامة، ولما كان في داخلها حان وقت صلاة الظهر فأشار عليه البطريك صفرنيوس أن يصلي في مكان مقربة منها خشية أن يتخذ المسلمون صلاته داخل الكنيسة ذريعة فيضعون أيديهم عليها، وقد بنى فيما بعد في الموضع الذي صلي فيه عمر مسجداً عرف باسمه. (وزيري، ٢٠٠٤، ص٤٥)

وبعد ذلك توجه عمر إلى مكان الهيكل المزعوم وكان في حالة خراب حيث تجمعت فيه الأقذار وأصبح أشبه بحاويات القمامة، وهناك أخذ عمر يتفرس تلك الخرائب ويتفحص موضعها ثم قال بصوت مرتفع:" والذي نفس عمر بيده أنه لمسجد داود الذي وصفه لنا نبينا عليه السلام في الإسراء والمعراج"، وأخذ عمر رضي الله عنه ومن معه يتعاونون على تنظيف المكان، وكان النصارى الروم قد طرحوا الأقذار والأوساخ في هذا المكان، مكان الصخرة وما حولها غيظاً في اليهود وانتقاماً منهم. (أبو علبة، ٢٠٠٠، ص٥٧)

يقول ابن البطريق في هذا الصدد؛ وعندما أراد عمر أن يبني مسجداً في ساحة المسجد القدسي الشريف سأل كعب الأحبار عن مكان يبنى فيه المسجد فقال كعب: "خلف الصخرة ليجمع المصلي القبلتين"، فقال عمر رضي الله عنه لكعب: "خالطتك يهودية ولكن نبنيه أمامها"، فبناه قبلي المسجد في الركن الشرقي الجنوبي من ساحة المسجد الأقصى، وأصبح اسماً لجميع ما تم بناؤه عن طريق سليمان عليه السلام، وقد صار بعض الناس يسمى الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمته، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد. (ابن تيميه،١٩٥٥، ص١١-ص١١)

وقد ذكر أن المسجد كان مبنياً من ألواح الخشب ومن جذوع الأشجار، وبناؤه في حد ذاته بسيط جداً وهو في شكله ومساحته جاء على هيئة مربع، ويتسع لثلاثة آلاف من المصلين. (أبو علبة، ٢٠٠٠، ص٦٠)

بعد أن انتهى عمر من بناء مسجده راح يتجول في شوارع مدينة القدس ويغشي أسواقها وكانت لا تزال تئن من الخراب الذي أحدثه الغزو الفارسي ٦١٤م، فرأى بعين ثاقبة أن يبدأ بعملية التنظيم الإداري والقضائي أولاً، كما أسس الحسبة لمشارفة الموازين والمكاييل ومراقبتها ولمنع الغش وتنظيف الأزقة، كما أمر بهدم البناء المحدث في وسط السوق وحظر على الناس الازدحام في الطرق وحظهم على التجارة. (العارف، ١٩٨٦، ص٤٩)

وبهذا فإن عهد عمر بن الخطاب أعطي الأمان لسكان القدس وحافظ على حرية العبادة في تلك الديار المقدسة، وفي العهد الإسلامي أطلق على مدينة السلام اسم "القدس الشريف" او "مدينة القدس" او "المدينة المقدسة".

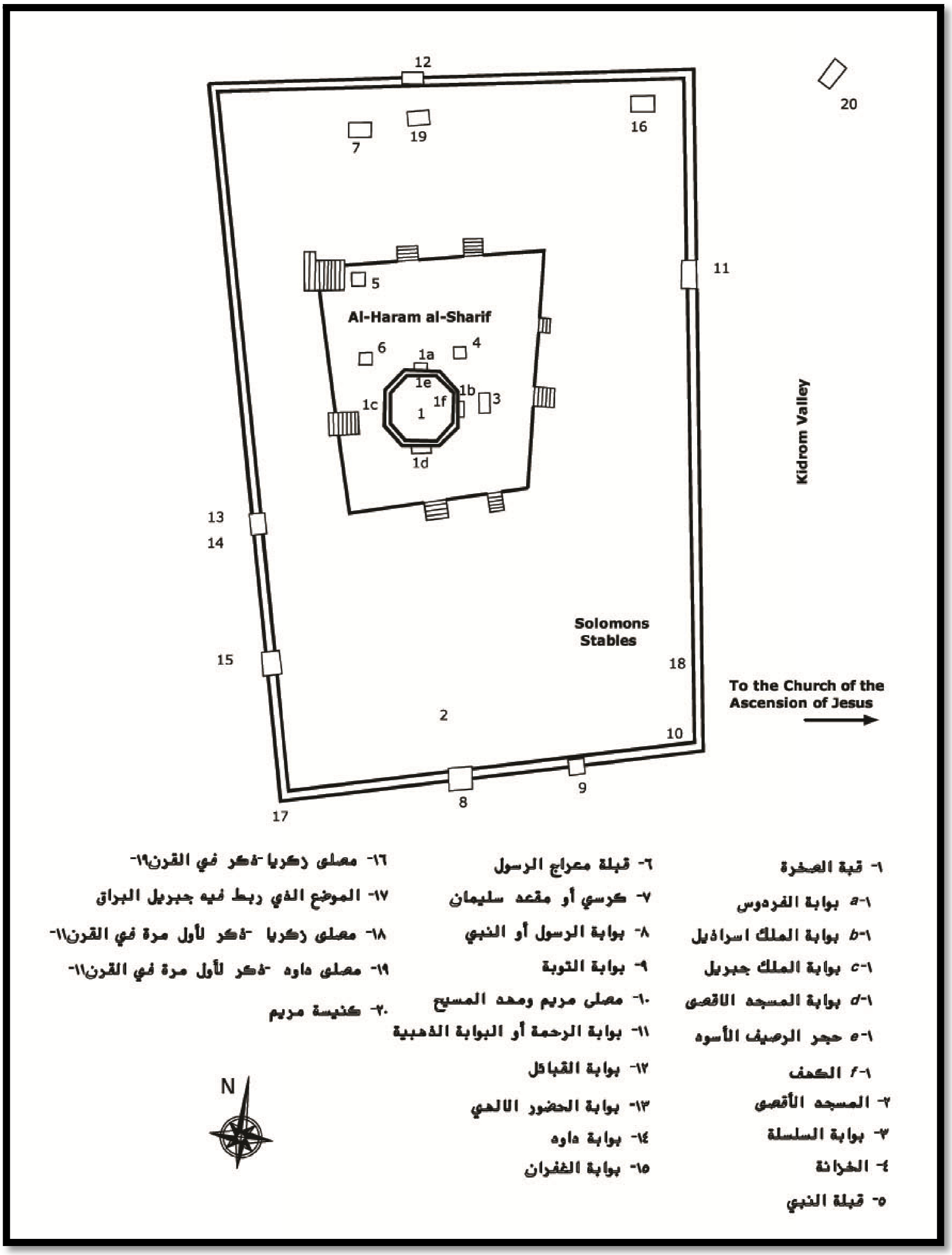
٣-١-٢ العصر الأموي

ضمت القدس إلى الشام في سنة ٢١هـ/٦٤١م، وخضعت لحكم معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية سنة ٢١هـ/٦٤١م، وكان للقدس يومئذ سور وكان على ذلك السور ٨٤ برجاً وله ستة أبواب، ثلاثة منها فقط يدخل الناس منها ويخرجون :واحد غربي المدينة والثاني شرقيها والثالث في الشمال. (العارف، ١٩٨٦، ص٥١)

ومن أهم المباني التي تم إنشاؤها في عهد الأمويين مبنى قبة الصخرة والمسجد الأقصى القبلي وقبة السلسلة، وكلها تقع داخل الحرم القدسي، كما هو موضح في شكل (٣-١)، وسيتم عرض وصف معماري وأثري لهذه المباني لاحقاً في الدراسة.

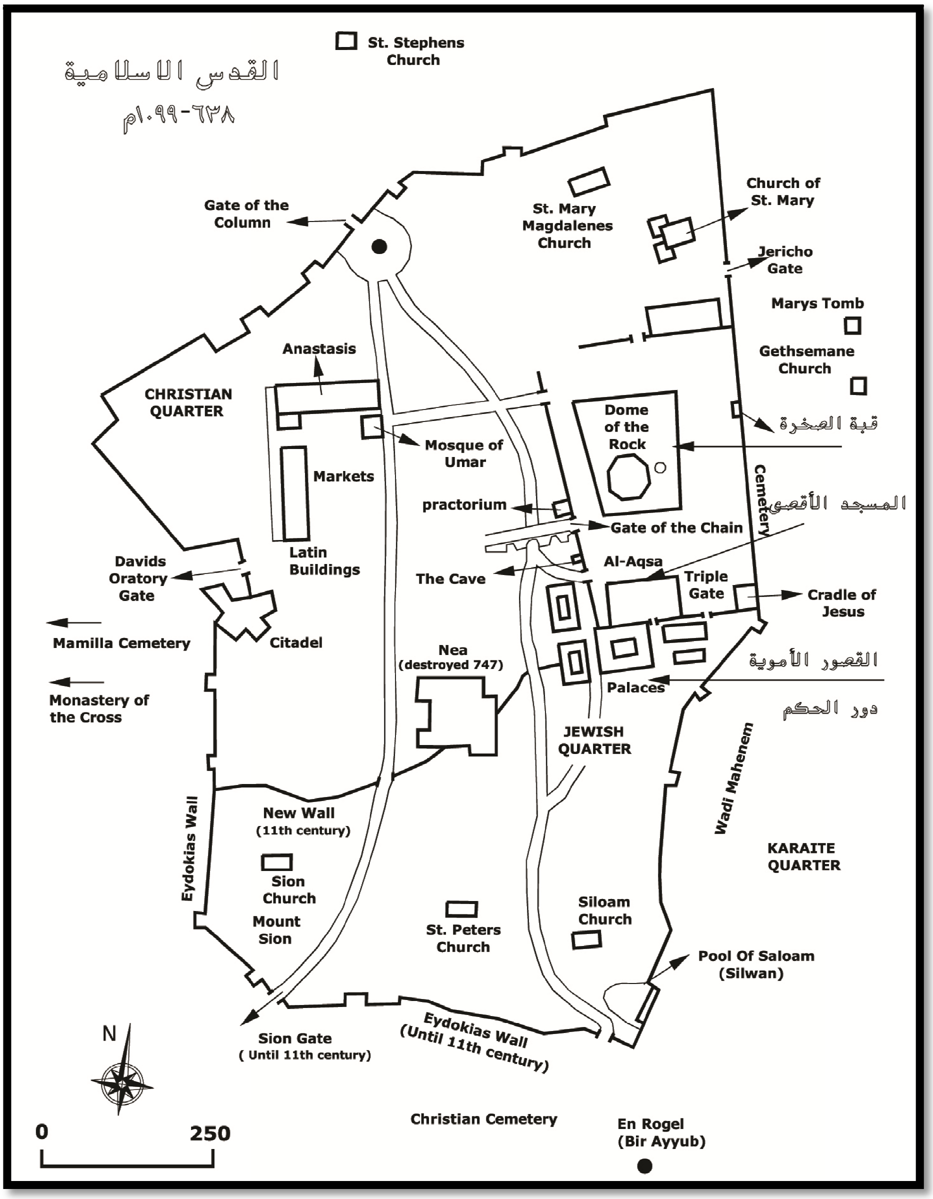
كما أقام الأمويون بعض القصور (دور الحكم) خارج سور الحرم الشريف في مقابل الركن الجنوبي الغربي منه، كان أكثرها روعة قصر ضخم مكون من طابقين صممت جدرانه حول فناء يتوسطه ويصل دور القصر العلوي بالحرم جسر يؤدي مباشرة إلى داخل المسجد الأقصى القبلي (المصلى المسقوف).(ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤٠٨)

كما امتدت سلسلة المباني ذات الأعمدة إلى الغرب والشمال بطول الجدار الغربي للحرم، وكان هنالك نزل للحجيج وحمام عام ومعسكرات وأبنية عامة أخرى، وأخيراً تمت إعادة تشييد جسر هيرود القديم المؤدي إلى الحرم من طريق يعرف اليوم بطريق السلسلة، وكان ذلك أكبر المجمعات العمرانية التي شيدها الأمويون على الإطلاق (ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤٠٨)، كما هو موضح في شكل (٣-٢).



شكل ٣-١ بداية تشكيل ملامح المسجد الأقصى في العصر الأموي

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٥١)، إعادة رسم الباحثة



شكل 3–2 مدينة القدس في العصر الأموي

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٥٢)، إعادة رسم الباحثة

وفي عام ٧٤٧م أصاب القدس زلزال أتى على المدينة فأدى إلى سقوط جدار قبة الصخرة الشرقي والغربي، وكذلك تهدم المسجد الأقصى والقصر الأموي وكنيسة قسطنطين (نيا Nea)، وقتل في هذا الزلزال كثير من المسلمين الذين يسكنون قرب الحرم.

٣-١-٣ العصر العباسي

استمرت الأهمية الرمزية لمدينة القدس للخلفاء العباسيين بعد أن نقلوا عاصمة خلافتهم إلى بغداد عام ٧٦٥م، بيد أنهم لم يكونوا مستعدين للبذخ في الإنفاق على الشام ومدينة القدس مثلما فعل الخلفاء الأمويون.

وفي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (٧٥٧م) قام بزيارة القدس وكانت حالة المدينة يرثى لها فقد كان الحرم الشريف والقصر الأموي أنقاضاً بعد زلزال عام ٧٤٧م، فاقترح أن تذاب القشرة الذهبية لأبواب المسجد الأقصى لتغطية نفقات الإصلاح اللازمة، وبعد إصلاح المسجد الأقصى تهدم مرة أخرى عام ٧٧١م، بواسطة زلزال آخر فأمر الخليفة المهدي (٧٧٥-٧٨٥م) بإعادة بنائه وتوسيعه وكان بناء المسجد هذه المرة أكثر متانة من سابقه وله قبة جميلة. (ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤١٢)

ومن أهم أحداث العصر العباسي التي أثرت في عمران القدس هو سماح الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٨٦م) للإمبراطور تشارلز (شارلمان) بترميم الكنائس وتعهده بحماية المسيحيين الذين يفدون إلى القدس بقصد الزيارة، كما تم في عهد المأمون (٨١٣م) ابن هارون الرشيد بإعمار قبة الصخرة (العارف، ١٩٥٨، ص٢٧)، ولا يزال قائماً من العصر العباسي في فناء قبة الصخرة البائكتان الشرقية والجنوبية اللتان أقيمتا في القرن العاشر الهجري. (وليد،١٩٩٧، ص١٥)

٣-٢ مدينة القدس في العصور الإسلامية الوسطى

وهي التي تتمثل في عصر الدولة الإخشيدية والعهد الفاطمي ومن ثم الحكم الصليبي والذي تبعه حكم الدولة الأيوبية تعقبه بعد ذلك حكم دولة المماليك الذي هو بصدد دراستنا نهاية بالعهد العثماني.

٣-٢-١ العصر الإخشيدي

لم تذكر المراجع وجود آثار أو عمائر في عهد الدولة الإخشيدية (٩٣٨-٩٦٥م)، سوى أن مؤسس الدولة الإخشيدية محمد بن طغج بن بلتكين بن خاقان الملقب بالإخشيد عندما توفي بدمشق نقل إلى القدس ودفن فيها، ودفن إلى جواره فيما بعد ولداه: أنوجور وعلي الملقب بأبي الحسن (العارف،١٩٥٨، ص٢٨)، وقد عرف هذا المدفن باسم تربة أمراء الدولة الإخشيدية.

٣-٢-٢ العصر الفاطمي

دخلت القدس في حكم الفاطميين سنة ٩٦٦م، عندما فتحها جوهر الصقلي، وأصبح غالبية سكانها من الشيعة حيث كان المذهب الشيعي هو مذهب الفاطميين، وظلت القدس تحت سيطرتهم حتى سنة ١٠٧٢م، عندما استولى عليها الأتراك السلجوقيون.

ومن آثار الفاطميين في القدس "البيمارستان" وهو أول مستشفى عرفته القدس وكان يقوم في الموضع المعروف بالدباغة في يومنا هذا، "ودار العلم" وهي فرع لدار الحكمة التي أسست في مصر عام ١٠٠٤م(العارف،١٩٥٨، ص٢٨)، وكانت دار العلم مركز دراسات لترويج أفكار الشيعة فقد كانت لهم أحلام في فتح جميع أنحاء العالم الإسلامي.(ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤٣٠)

كما تم تجديد البائكة الغربية الكائنة في فناء قبة الصخرة والتي أنشئت في ٣٤٠هـ/٩٥١م، كما تم إنشاء البائكة الجنوبية الشرقية في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله. (نجم، رائف وآخرون،١٩٨٣، ص٨٨-ص٩٠)

أما الرحالة المشهور "ناصري خسرو" في كتابه "سفرنامة" فيصنف القدس بقوله" "يحيط بالمدينة سور منيع مبني بالحجارة وللسور أبواب من حديد يقطن فيها عشرون ألفاً من السكان، بينهم صناع كثيرون ولكل صنعة سوق خاص بها.(العارف،١٩٨٦، ص٢٨)

إن أحسن وصف للقدس في العهد الفاطمي جاء في كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي، فقد شبهها بمدن الجنة وكانت على حد قوله من أكبر مدائن الكون، ولم يكن يومئذ أتقن من بنائها ولا أعف من أهلها ولا أطيب من العيش فيها، ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها، وقد مدح طقسها وماءها وعنبها وأطياره..إلى أن قال أنها أطيب من مصر وقد جمعت محاسن الدنيا والآخرة.

ولكنه راح يذمها من نواحي أخرى فقال عنها: إنها قليلة الاكتراث بالعلماء والأدباء والفقهاء، وإنها كثيرة النصارى وفيهم جفاء، وأنه ليس للمظلوم فيها أنصار، وربما كان ذلك رد فعل على ما أسماه المقدسي الأعراف الشاذة للشيعة.(ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤٣٠)

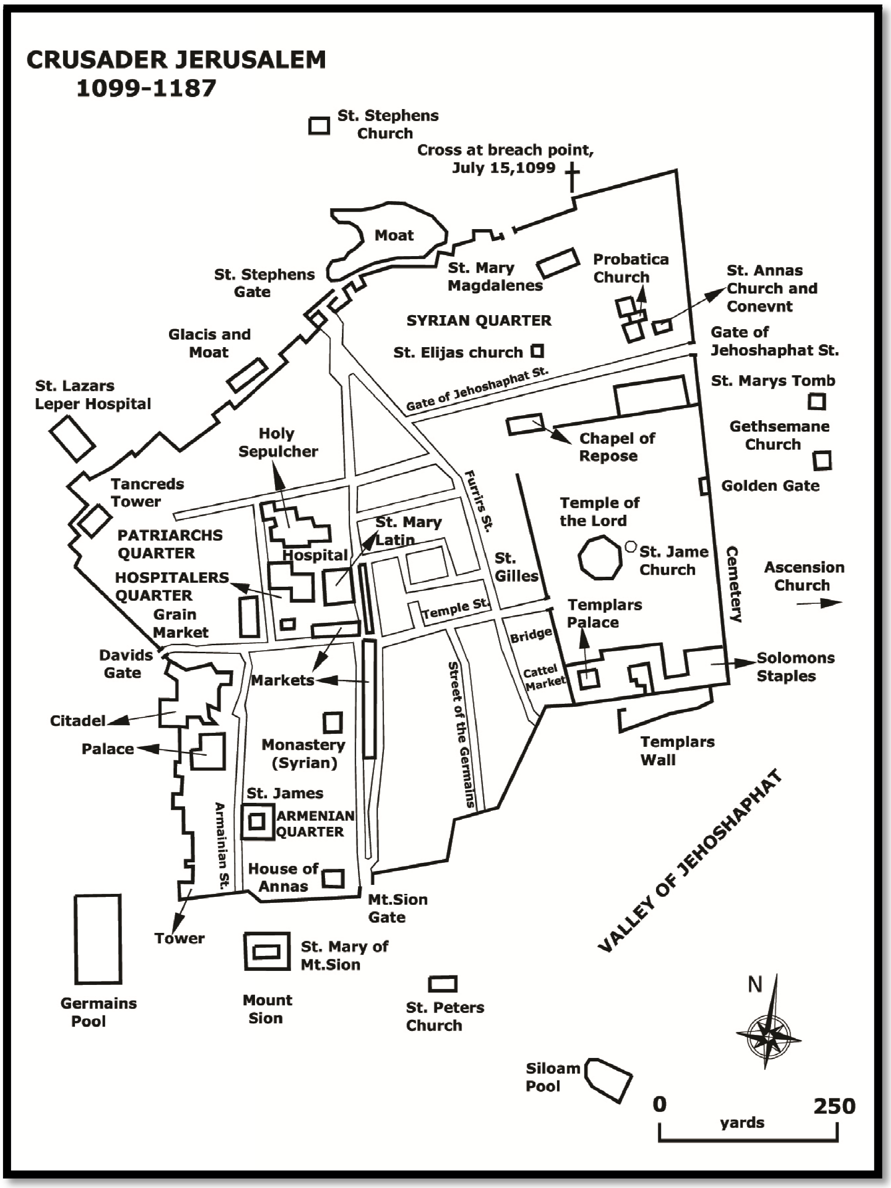
٣-٢-٣ العصر الأيوبي

وقعت القدس تحت الاحتلال الصليبي عام ١٠٩٩م، حيث كانت تحت الحكم السلجوقي الذي كان يحكمها "افتخار الدولة" آنذاك، وكان يديرها باسم الأتراك السلجوقيين، وقتلوا يومئذ من ٤٠ إلى ٧٠ ألفاً من سكانها والمدافعين عنها.(ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤٦٥)

لقد استولى الصليبيون على معظم الممتلكات والمباني التي وجدوها في المدينة، سواء كانت ممتلكات المسلمين أو المسيحيين المنتمين إلى الكنيسة الشرقية، فقد حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة أسموها "تيمبيليوم دوميني"، أما المسجد الأقصى القبلي فقد أسموه "باليتيوم سومون"، واتخذوا جانباً منه كنيسة والجانب الآخر مسكناً لفرسان الهيكل، والباقي استعملوه مستودعاً لذخائرهم، واتخذوا السراديب التي تحت المسجد الحالي ، والتي تسمى الآن بالأقصى القديمة إسطبلاً لخيولهم (العارف، ١٩٦٨، ص٧٤)، كما حولوا قبة السلسلة إلى كنيسة صغيرة كرست للقديس يعقوب الصديق بن زبدي ، والذي كان يعتقد أنه استشهد على جبل المعبد.(ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤٦٥)

وقد قدموا على جمع المعابد المتفرقة في كنيسة القيامة، وجعلوها واحدة هي الكنيسة الحالية، والتي جمعوها تحت سقف واحد وزادوا على ذلك بأن بنوا إلى الشرق من القبر المقدس كنيسة لها ثلاث حنايا متجهة نحو الشرق وهي الكنيسة المعروفة باسم كنيسة "نصف الدنيا"، كما أقاموا فوق الزاوية الجنوبية الغربية برجاً للأجراس والبابان الكبيران اللذان في واجهة كنيسة القيامة.(عزب، طارق ٢٠٠١، ص٨٦)

كما وأعادوا بناء المستشفى الذي بناه الفاطميون وتهدمت فعمرها الصليبيون، وأقاموا إلى جانبه نزلاً إضافياً للمستشفى، ومن بقاياه السوق المعروف بسوق البيزار (العارف، ١٩٦٨، ص٣٠-ص٣١)، كما قاموا بتشييد كنائس وادي قدرون وجبل الزيتون أي كنيسة الجثمانية ومقبرة العذراء، كما هو موضح في شكل (٣-٣).



شكل ٣-٣ خريطة القدس أثناء فترة الحكم الصليبي، ويلاحظ تغيير أسماء الآثار الإسلامية الموجودة بالحرم القدسي، واستعمالها ككنائس ومساكن لفرسان الهيكل

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٦٠)، إعادة رسم الباحثة

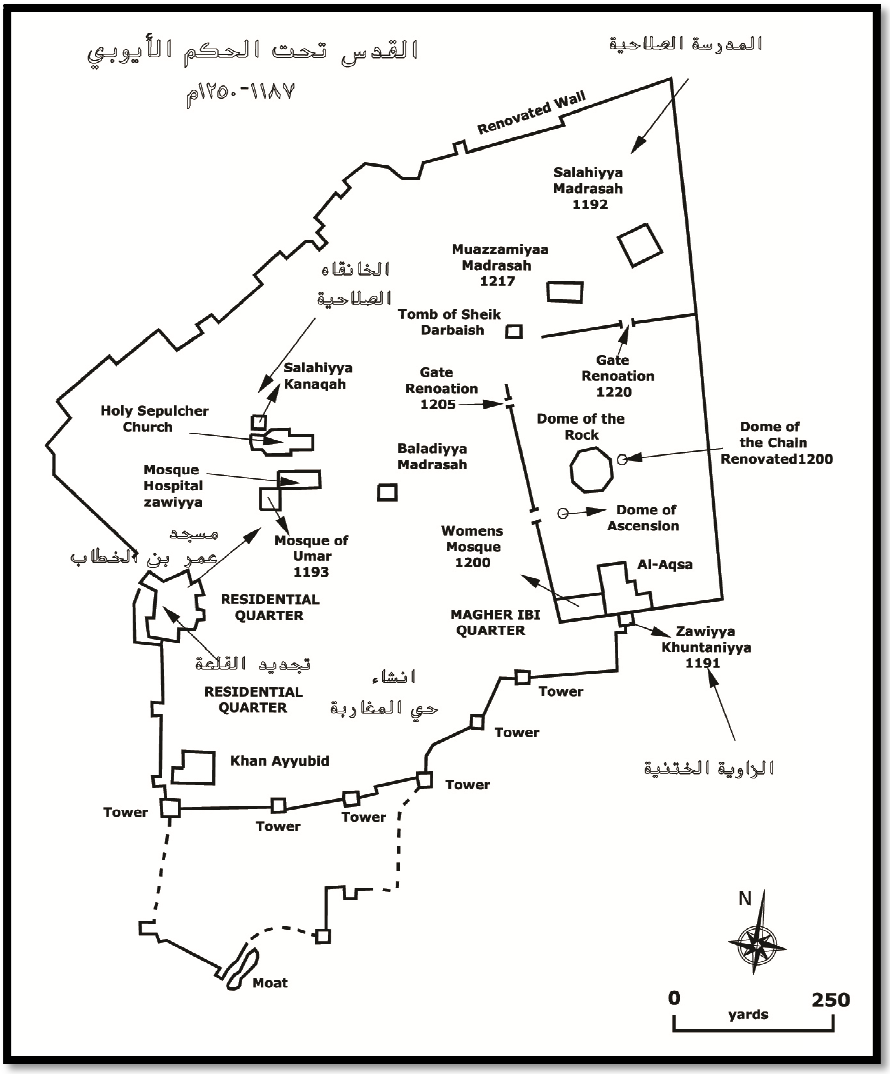
ما كاد صلاح الدين الأيوبي أن انتصر على الصليبيين في معركة حطين في ٢٥ ربيع الثاني من عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حتى راح يفكر في إنقاذ مدينة القدس من الصليبيين فدخله فاتحاً في يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب عام ٥٨٣هـ، ودخلت قوات صلاح الدين القدس دون أن تقتل مسيحياً واحداً من أهل المدينة، ولم يعامل أعداءه الصليبيين بمثل ما فعلوا بل أتاح لهم مغادرة المدينة لقاء الجزية وعفا عن كثيرين ودفع الجزية لهم.

وكان صلاح الدين يعلم أنه عليه أن يبدأ جهاداً جديداً من نوع مختلف من أجل إعادة القدس وإعادة الروح الإسلامية لها مرة أخرى بعد خروج الصليبيين منها، فبدأ بتطهير الحرم القدسي من آثار فرسان الداوية (الهيكل) بالمسجد الأقصى، وأزيلت الصور والتماثيل من على قبة الصخرة وأعاد الآيات القرآنية والزخارف الإسلامية مرة أخرى.

أما عن المدينة نفسها فقد كانت قبل الصليبيين تتكون بشكل شبه كلى من مبان حول الحرم، وكان الجهاد المعماري لصلاح الدين يتطلب تغطية الطوبوغرافيا المسيحية بإنشاءات إسلامية، ومرة أخرى أصبح المعمار سلاحاً أيديولوجيا في أيدي المنتصرين، فأعاد بناء سور المدينة وأرجع للمسيحيين الشرقيين كنائسهم وممتلكاتهم التي كان الصليبيون اللاتين قد أخذوها منهم، وقدر للقدس أن ترجع مدينة إسلامية الطابع مرة أخرى، كما هو موضح في شكل (٣-٤).

فمن آثار صلاح الدين الأيوبي بالقدس تجديده لعمارة "البيمارستان" الذي أنشأه الفاطميون ودمره الصليبيون وهو مايعرف باسم "البيمارستان الصلاحي"، كما أنشأ الخانقاه الصلاحية الملاصقة لكنيسة القيامة من الشمال والغرب فقد نزل فيها واتخذها مسجداً ورباطاً للصالحين، كما أنشأ قبة يوسف على الطرف القبلي من فناء الصخرة، وجامع الجبل على جبل الزيتون، ومقبرة باب الساهرة التي أمر بدفن المجاهدين الذين لاقوا ربهم فيها، كما حارب المذهب الشيعي فقام بإنشاء المدارس السنية كالمدرسة الصلاحية عند باب الأسباط والمدرسة الميمونية والزاوية الختنية وغيرها.(العارف،١٩٥٨، ص٣١)

كما قام الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي بإنشاء "المسجد العمري" الكائن إلى الجنوب من ساحة كنيسة القيامة، أما المدرسة الجراحية الموجودة في حي الشيخ جراح بالقدس فقد بنيت في عهد الملك العادل سيف الدين وسميت على اسم واقفها الأمير حسام الدين حسين شرف الدين يحيى الجراحي. (نجم وآخرون، ١٩٨٣، ص١١٣)



شكل ٣-٤ القدس في العصر الأيوبي بعد تحريرها من أيدي الصليبيين
المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٦٤)، إعادة رسم الباحثة

ومن الأعمال التي قام بها صلاح الدين لإعادة مدينة القدس إلى أهلها بأنه أتى إليها بعدد من القبائل العربية، فأقطع كل واحدة منها جانباً من جوانب المدينة كبنى غانم الذين أقطعهم الحي القريب من باب الحرم في أقصى الشمال إلى الغرب والمعروف الآن بباب الغوانمة (العارف،١٩٥٨، ص٣٣)، كما توافد المسلمون من شمال أفريقيا واستقروا في الركن الجنوبي الغربي من الحرم مكونين حي المغاربة لتوفير العون والخدمات لحجاج شمال أفريقيا وللفقراء وكانت تلك أول الأمثلة التي سجلت عن هبة الوقف في القدس(ارمسترونج، ١٩٩٦، ص٤٩٢)، وقد أزال المحتل الصهيوني هذا الحي العربي الإسلامي بعد احتلاله للقدس عام ١٩٦٧م، وحوله مع حي الشرف إلى ما يسمى الحي اليهودي.

أما في عهد الملك المعظم شرف الدين عيسى والذي كان يحب القدس كثيراً فقد تم بناء العديد من المنشآت المعمارية المختلفة أهمها: المدرسة المعظمية بين باب حطة وباب العتم، والمدرسة البدرية في الحي المعروف بحي الواد، وسبيل شعلان والرواق الشمالي بواجهة المسجد الأقصى والمؤلف من سبعة عقود كبيرة، وكذلك الأبواب الخشبية الموجودة عند مدخل المسجد من الجهة الشمالية.(العارف، ١٩٨٦، ص٨٤)

٣-٢-٤ العصر المملوكي

قام المؤرخون بتعداد الحملات الصليبية التي شنوها على مدينة القدس في العصر الأيوبي وبلغت حوالي سبع حملات من أجل استرداد المدينة، كما فشلت حملة ثامنة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع في إعادة غزو القدس، فقد تم أسر الجيش برمته في مصر لعدة شهور عام ١٢٥٠م، وبينما كان الصليبيون في الأسر، هزمت مجموعة من المماليك المتمردين الأيوبيين وأقاموا دولتهم.

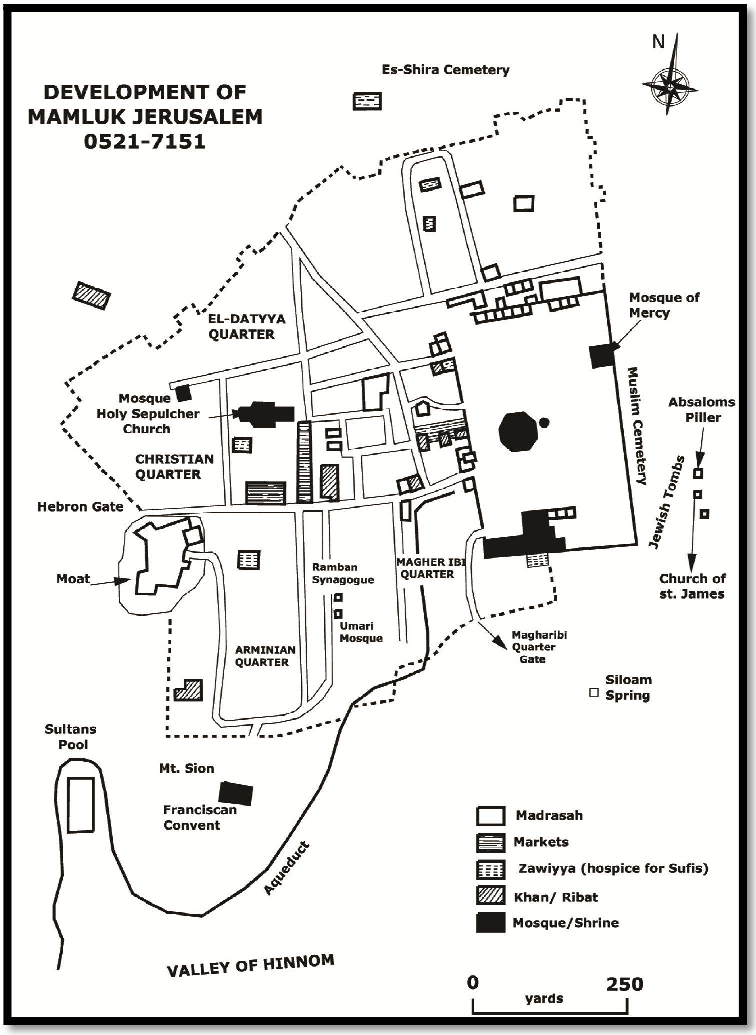
دخلت القدس في حوزة المماليك عام ١٢٥٠م، وظلت تحت حكمهم حتى جاء الأتراك العثمانيون ١٥١٧م، وأخذوها منهم، وأنشأ المماليك (البحرية والبرجية) في فترة حكمهم العديد من المنشآت والعمائر المتنوعة كالمساجد والمدارس والأروقة والخانقاوات وغيرها، وأضحت القدس في عصرهم مركزاً للحضارة والثقافة الإسلامية كغيرها من المدن الإسلامية الأخرى في ذلك الوقت كالقاهرة ودمشق، ولقد حرص جميع سلاطين المماليك تقريباً على زيارة القدس ووقف مبانٍ جديدة بها خاصة بالحرم القدسي الشريف، وغير المماليك الملامح المعمارية للمدينة المقدسة، كماهو موضح في شكل (٣-٥)، وكان يسمح للسلاطين فقط بالبناء على أرض الحرم واستغل معظمهم ذلك الامتياز، فعلى سبيل المثال قام الملك الظاهر بيبرس (١٢٦٠م) بتجديد ما تهدم من قبة الصخرة، كما بنى على ضريح النبي موسى قبة ترى في ساحة الحرم القدسي الشريف. (العارف،١٩٥٨، ص٣٤)

أما الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي تولى الملك ثلاث مرات(١٣٠٩,١٢٩٨,١٢٩٣) فقد قام بتجديد قبة الصخرة وقبة المسجد الأقصى، وأنشأ البائكتين الكائنتين في صحن قبة الصخرة إلى الشمال، وأنشأ الحوض المعروف بالكأس وهو المتوضأ الواقع بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى، كما أنشأ عدداً كبيراً من المدارس والمنشآت الأخرى. .(عزب،٢٠٠١، ص١١٧)

ومن أعمال الملك الأشرف برسباي (١٤٣٧م) تجديد سبيل شعلان وإنشاء سبيل علاء الدين البصيري في ساحة الحرم، أما الأشرف إينال (١٤٥٣م) فقد عمر المسجد الأقصى وأنشأ السبيل

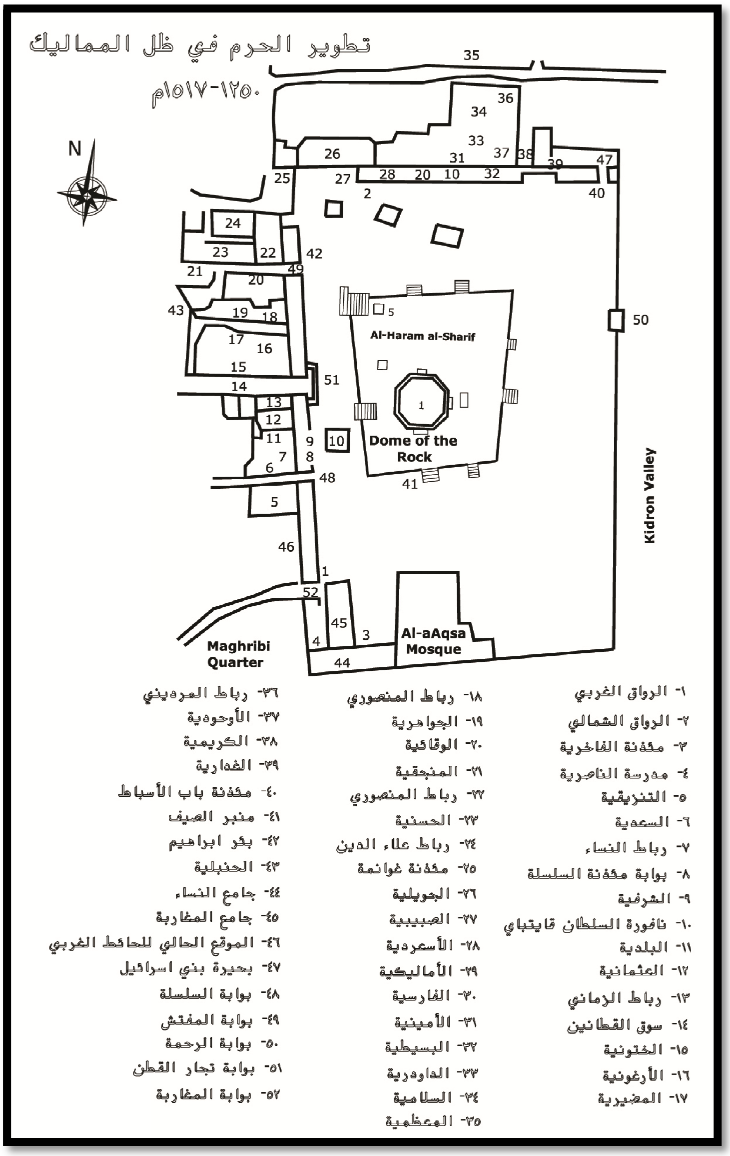
الذي عرف بعدئذ بسبيل قايتباي، أما الأشرف (١٤٩٥م) فمن أهم أعماله المدرسة الأشرفية. (العارف،١٩٥٨، ص٣٤)

لقد تجلى في العصر المملوكي الشوق لملامسة الحرم الشريف (المكان المقدس) ويظهر ذلك في العدد الكبير من المدارس التي تم إنشاؤها حول حدود الحرم الشمالية والغربية، وكان على المصممين أن يوظفوا حذقهم بمهارة نظراً للطلب الشديد على الحيز المكاني، حيث أراد جميع السلاطين والواقفين أن تلمس مبانيهم أو تطل على الحرم القدسي الشريف، كما هو موضح في الشكل (٣-٦).



شكل ٣-٥ مراحل التطور لمدينة القدس في العصر المملوكي

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٦٩)، إعادة رسم الباحثة

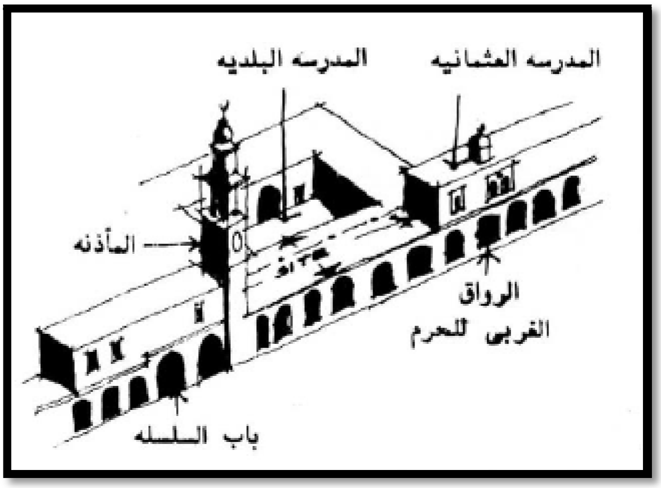


شكل ٣-٦ المباني الإسلامية داخل المسجد الأقصى والملاصقة لجداره في العصر المملوكي

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٧٠)، إعادة رسم الباحثة

فعلى سبيل المثال تواجدت المدرسة الأمينية (١٢٢٩-١٢٣٠م) في موقع شديد الضيق لا يتجاوز تسعة أمتار بين الدعامة الشرقية لصخرة أنطونيا وبين الطريق، ومن هناك ارتفعوا بالمبنى وأنشئ الطابق الثالث أعلى الرواق الشمالي، وتبنت المدرسة المالكية نفس الحل بحيث أصبحت مشاهدة الحرم ممكنة من الطابق الرئيسي لمدرسة الشريعة، أما المدرسة المنجقية (١٣٦٢م) فقد شيدت كلية فوق الأروقة أعلى بوابة الناظر، وكذلك أقيمت المدرسة الطولونية والمدرسة الفرانية فوق الرواق الشمالي واحتلت كل منهما جانباً من جوانب المئذنة الموجودة عند باب الأسباط، وكان على الطلبة

أن يستخدموا سلم المئذنة ذي الدرجات الضيقة لعدم وجود مدخل آخر(ارمسترونج، ١٩٩٦،ص ٥٠٧) ، كما أقيمت المدرسة العثمانية فوق الرواق الغربي للحرم القدسي، كماهو موضح في الشكل (٣-٧).



شكل٣-٧ المدرسة العثمانية المقامة فوق الرواق الغربي للمسجد الأقصى، لزيادة الطلب على البناء بالقرب من الحرم في العصر المملوكي

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٧٢)، إعادة رسم الباحثة

إن مباني وعمائر العصر المملوكي شكلت العمران بالقدس داخل الأسوار، فقد أخذت الحارات حول الحرم شكلها في ذلك العهد، وبلغ عدد الأحياء السكنية قرابة ٣٣ حياً، كما رافق النهضة العمرانية إنشاء العديد من الأسواق التي وصل عددها إلى ١٣ سوقاً أهمها سوق القطانين والعطارين والصاغة وخان الزيت والخضر وخان السلطان، كما أحصى فيها ١٤ خاناً و١٣ حماماً من أهمها حمام العين والشفا اللذان مازالا قائمين إلى الآن، كما اعتبرت القدس مركزاً علمياً مهماً حيث أحصى فيها قرابة ٦٠ مدرسة ورباطً وخانقاه. (وليد،١٩٩٧، ص ١٦)

٣-٢-٥ العصر العثماني

احتل السلطان سليم الملقب بياوز القدس سنة ١٥١٧م، وبقيت في حوزة العثمانيين أربعمائة عام، وتبوأ العرش بعد وفاة سليم ولده السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني، وشهدت الإمبراطورية العثمانية تحت حكمه صحوة حضارية واستفادت القدس بصفة رئيسة من جهوده.

فعلى عهد سليمان القانوني قامت منشآت كثيرة منها (العارف، ١٩٦٨، ص١٠٤): تجديد عمارة أسوار القدس وترميم القلعة وإنشاء البرج الكائن على يمين الداخل من باب الخليل، كما عمر بركة السلطان والسبيل الواقع قبالة البركة، والأسبلة الكائنة بباب السلسلة أمام المدرسة التنكزية وفي

طريق الواد وفي ساحة الحرم إلى الشمال من باب شرف الأنبياء وفي طريق باب الناظر وبالقرب من باب الأسباط.

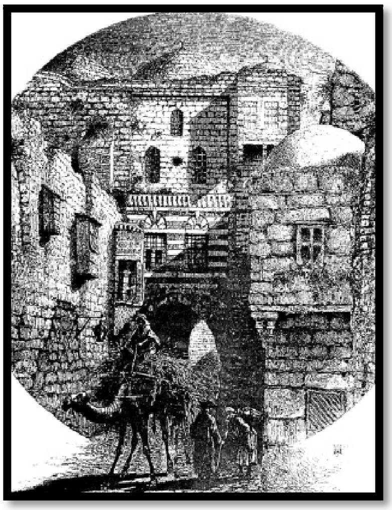
كما عمر الصخرة وأعاد تبليطها وعمر جدران الحرم وأبوابه وجدد القاشاني الكائن في قبة السلسلة وعلى عهده أنشئت تكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي أنشاتها زوجته الروسية رولكسانة، والمدرسة الرصاصية بحارة الواد أنشاها الأمير بايرام جاويش.

كما أمر ببناء مسجد الطور فوق جبل الزيتون قرب كنيسة الصعود، وحول مقام النبي داود إلى مسجد كما بنى محراب النبي غربي الصخرة المشرفة من جهة الشمال بينها وبين قبة المعراج، كما اهتم بأمر حائط البراق فرفع الأوساخ والقمامة والأتربة من أسفله ورفع الحائط ستة مداميك من الحجارة الصغيرة بنيت فوق الحائط القديم قبل الإضافة العثمانية، حيث يرجع بناء الحائط القديم إلى عهد هيرودس في القرن الأول الميلادي. (يحيى وزيري،٢٠٠٤، ص ٧٤)

لقد تشكلت في المرحلة الأولى من العصر العثماني (١٨٥٠-١٥١٧م) ملامح القدس الأخيرة (أبو علبة،٢٠٠٠، ص ١١٢)، كما هو موضح في الشكل (٣-٨)، والشكل(٣-٩)، ويظهر ذلك فيما قام به العثمانيون من بناء سور القدس وتأمين المياه بها عبر مشروع ترميم قناة السبيل الممتدة من برك سليمان قرب قرية أرطامس جنوب بيت لحم إلى خارج القدس حتى بركة السلطان، وكذلك مد هذه البركة خارج السور إلى داخل المدينة وما تبع ذلك من إقامة أسبلة للمياه.

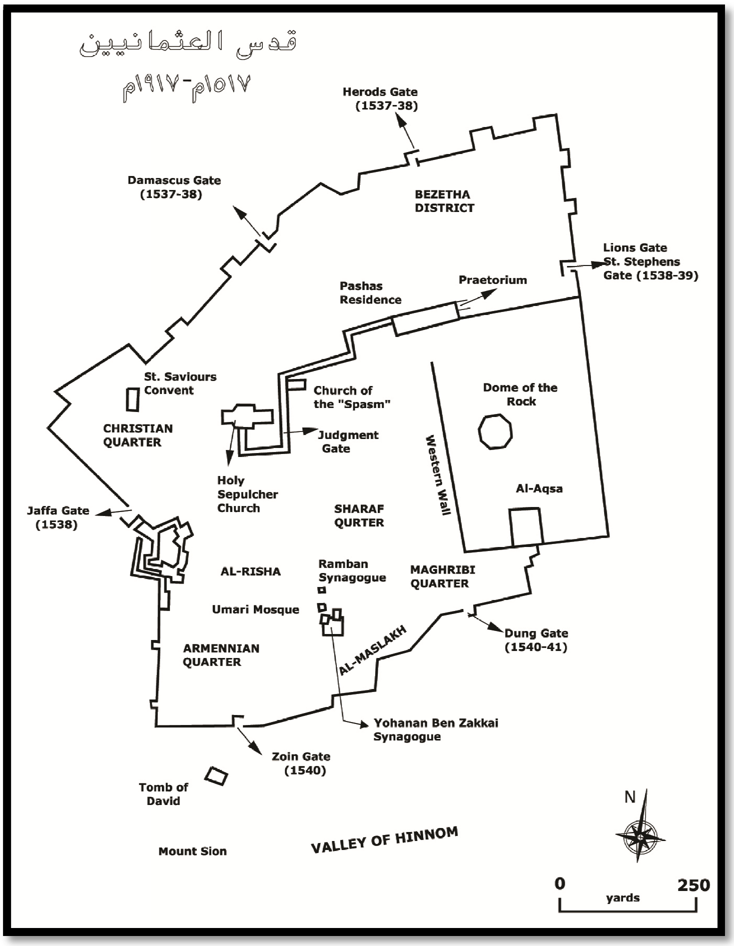
كما لا تزال قائمة من العهد العثماني مساجد المئذنة الحمراء والقلعة والشوربجي والمولوية والقيمري، والزاوية الأفغانية والنقشبندية ومدرسة بايرام جاويشوتكية خاصكي، كما أقيم العديد من المنشآت المسيحية كدير اللاتين والعدس وبطريركية الروم الكاثوليك ودير راهبات ماريوسف.(وليد ،١٩٩٧، ص١٦)

كما تم تجديد وترميم العديد من الأسواق وإضافة المباني التجارية حيث أحصى السائح التركي الشهير "أولياشلبي" عندما زار القدس سنة ١٦٧٠م مايقرب من ألفين وخمسٍ وأربعين دكاناً وستة خانات عظيمة. (العارف، ١٩٨٦،ص١٠٥)



شكل ٣-٨ منظر لأحد أحياء القدس القديمة في العصر العثماني

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٧٦)، إعادة رسم الباحثة

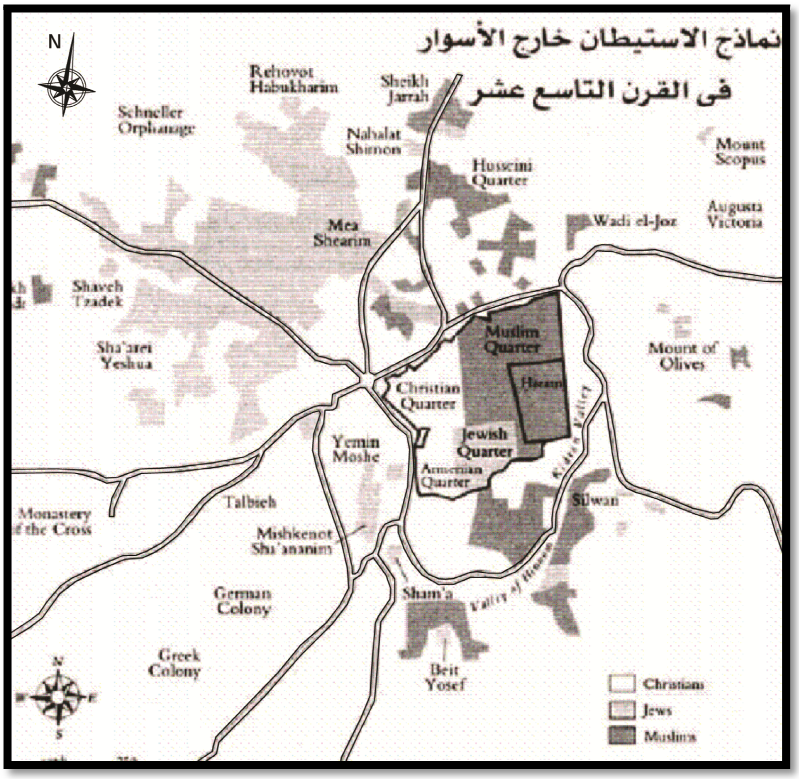


شكل ٣-٩ تشكيل الملامح النهائية للقدس القديمة في العصر العثماني

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٧٧)، إعادة رسم الباحثة

وتعتبر فترة الحكم العثماني المتأخرة (١٨٥٠-١٩١٧م) بداية الانتقال إلى البناء خارج أسوار القدس القديمة، فإذا كان الاستيطان البشري خارج الأسوار حتى منتصف القرن التاسع عشر مقتصراً على القرى المحيطة بالقدس، فإن هذه المرحلة شهدت بداية البناء ذي الطابع المدني والذي وضع البنات الأولى لتشكل مدينة القدس الجديدة التي عرفت فيما بعد. (وليد، ١٩٩٧، ص٢٧)، كما هو موضح في الشكل (٣-١٠).

وفي عهد السلطان العثماني محمد رشاد الخامس (١٩٠٨م) تم إعلان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، فحاول العرب أن يستغلوا الفرصة فراحوا يطالبون الدولة العثمانية بالإصلاح واللامركزية ولكن قوبلت هذه الطلبات بشنق عدد كبير من رجال العرب في سوريا ولبنان وفلسطين، وأدى ذلك إلى قيام ثورة أوقدها الشريف الحسين بن علي (١٩١٥م)، وكان نتيجة ذلك أن ساهمت هذه الثورة في أن يخسر الأتراك في الحرب العالمية الأولى، ولكن العرب أيضاً خسروا بعد انتصار الإنجليز ووقوع القدس تحت قبضتهم. (وزيري، ٢٠٠٤، ص٧٨)



شكل ٣-١٠ بداية البناء خارج أسوار القدس القديمة في فترة الحكم العثماني المتأخرة

المصدر: (وزيري، ٢٠٠٤، ص٧٩)، إعادة رسم الباحثة

٣-٣ العصر المملوكي

سيتم دراسة العصر المملوكي في مدينة القدس بشكل مفصل بكل مراحلها التاريخية، لتسهيل الدراسة الخاصة بأثر السلطة والسياسة على مدينة القدس إبان العصر المملوكي.

٣-٣-١ السلطة والسياسة في العصر المملوكي في مدينة القدس

كان لظهور المماليك على الساحة السياسية بعد الأيوبيين أثراً على حكم البلاد الإسلامية، لأن المماليك كانوا عبيداً قبل أن تصير السلطة إليهم ، ولأنهم بدون صفة شرعية للحكم حاولوا إضفاء هذه الشرعية من خلال الاهتمام بمركز الإسلام الأول وهو مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقام الناصر محمد بن قلاوون فعَّمر الأساطين حول المطاف في الكعبة ، كما عمر رخام الحجر ، ثم جدد برقوق المروة وأصلح درجها . ثم عمر السلطان قايتباي المدارس التي ألحقت بالمسجد الحرام وكان يدرس فيها علماء المذاهب الأربعة ، وأكد المماليك شرعية سلطتهم بالدعاء لهم على منابر الكعبة والمسجد النبوي وفي خطبة الحج يوم عرفة .وقد كانت المدينة المنورة للعهد المملوكي أكبر مدينة في العالم لسيطرة المماليك على طرق التجارة العالمية المارة بأراضيها. وقد أدى ذلك إلى اعتماد سلاطين المماليك في حكمهم على قوة ذات جناحين أحدهما يتمثل في القوة العسكرية للسلطان وهي القوة التي يجسدها مماليكه ويتمثل الجناح الثاني في الواجهة الدينية التي حرص السلاطين على التخفي وراءها طول ذلك العصر .(وزيري،٢٠٠٥)

ونتيجة لهذا وربما يكون من أسبابه أيضا كان لابد لنظام الحكم ان يعتمد على نظام الإقطاع العسكري الذي كان امتدادا لما كان سائدا في العصر الأيوبي فقد كان لكل من السلطان والأمراء جيش من المماليك الذي يعتمد عليه في تدعيم سلطته أو في الصراع ضد الآخرين وفي ظل هذا النظام كانت أقوى الروابط بين المماليك هي رابطة الأستاذية التي تربط الأستاذ (السيد) بمماليكه و(الأخشيدي) التي هي رابطة الزمالة التي تجمع بين المماليك في الطائفة الواحدة (الجزار ،٢٠٠٧).

أدى هذا إلى تسابق مملوكي محموم إلى إقامة عدد من هذه الصروح بالقصبة العظمى، كل منها يعبر عن مرحلة من مراحل التاريخ المملوكي، فإلى الشمال من مجموعة قلاوون شيد الظاهر برقوق جامع ومدرسة وخانقاه وقبة، وإلى الجنوب شيد الأشرف برسباي مدرسته، وعند التقاء باب زويلة مع

القصبة العظمى شيد المؤيد شيخ مدرسته، واستغل مهندس منشأته بدنتي باب زويلة ليشيد فوقهما مئذنتي المدرسة! ليسيطر بصرياً على القادمين من داخل القاهرة إلى ظاهرها ومن ظاهر القاهرة إلى داخلها، وعلى امتداد محاور القصبة العظمى والشوارع الرئيسية كشارع الصليبية الذي يصب في القلعة شيد السلاطين والأمراء صروحاً معمارية تعبر بقوة عن قوة الدولة وسياستها. (الغول،٢٠٠٠)

هذا التركيب المعماري كان المماليك كحكام في حاجة إليه لاكتساب سمعة دينية يتم إضفاؤها على أضرحتهم التذكارية. هكذا تم إثراء القاهرة والقدس ودمشق وحلب وغيرها من المدن التي خضعت لحكم المماليك بالمجمعات المعمارية الجنائرية، ولكي لا يصطدم هذا النوع من المنشآت مع فتاوى الفقهاء الخاصة بتحريمها، فعل بناتها المستحيل حتى لا يتركوا فرصة للشك في أن مبانيهم الدينية يمكن أن تختبئ دوافع محرمة كالحصول على أضرحة تذكارية شخصية، وبالرغم من الحيل المعمارية التي كان بعضها مبتكراً إلا أن هذا النوع من المنشآت تعرض في كثير من الأحيان للانتقاد. وبذلك تكون قد شيدت مجموعة السلطان لتكون صرحاً معمارياً يعبر عن قوة عصره، ولتدشن بداية حكم أسرته لمصر وبلاد الشام، لقد كان هذا الصرح الخيري، ذا طابع سياسي رمزي تكرس بإلحاق قبة ضريحية به، تلفت انتباه المارة. (وزيري،٢٠٠٥).

ومن أهم إنجازاتهم اهتمامهم بمدينة القدس (كإحدى المدن الدينية الثلاث)، فأصبحت المدينة وحدة حيوية تنمو وتتطور مع مراعاة الظروف السياسية، والعسكرية، والتقاليد والعادات الدينية، والأسس المعمارية والبيئية، ومراعاة الإرث التكنولوجي من أسلوب العمل و التنفيذ واختيار المواد وطرق معالجتها، والرجوع إلى الماضي واختيار المناسب منه. فكانت المدينة إنسانية التكوين، عسكرية التركيب، إسلامية الطابع. (الغول، ٢٠٠٠)

٣-٣-٢ مكانة القدس لدى المماليك

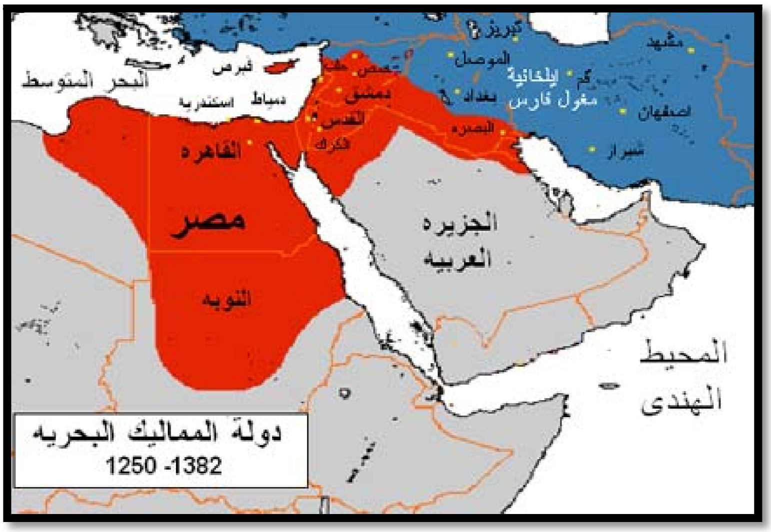
في أواخر الحكم الأيوبي حدث صراع طويل بين الأيوبيين وبين المماليك انتهى بصلح بين الطرفين عام ١٢٥٣م وقد نص الصلح على أن تكون المماليك التي تقع شرق الأردن من بلاد الشام للأيوبيين والتي تقع غرب نهر الأردن للمماليك وبهذا الاتفاق آلت تبعية بيت المقدس إلى الحكم المملوكي وكعادة المماليك باهتمامهم بالمباني الدينية فقد اهتموا بأحوال بيت المقدس لأنها تشكل

قاعدة دينية إسلامية في بلاد الشام من جهة ولأنها تعيش في ظل تطاحن عسكري عبر التاريخ من جهة أخرى.(النتشة وآخرون، ١٩٨٤)

لقد أثبتت المماليك بالدليل القاطع على أهمية ومكانة القدس عند المسلمين، فعلى الرغم من اختلاف أجناسهم وعاداتهم وتقاليدهم إلا أنهم أعطوا القدس اهتماماً لا يقل عن اهتمامهم بالحرم القدسي ولكن هذا الاهتمام لا زال مجهولاً لكثير من الناس فقد حظيت القدس باهتمام السلاطين في العهد المملوكي وذلك لأسباب دينية .ومن الطبيعي أن يقوم السلاطين بكل ما يقربهم من العامة والعلماء والفقهاء في ذلك العصر، كما إن الصراع الديني بين المسلمين والفرنجة واسترداد المدينة من قبل صلاح الدين أعطيا المدينة أهمية خاصة. وبذلك فقد أصبحت القدس في العهد المملوكي مركزا علمياً مرموقاً يفوق المراكز العلمية في العالم الإسلامي يتوافد عليها طلاب العلم والعلماء والفقهاء من كل حدب وصوب وقد دلت كثرة المدارس في ذلك العهد على ذلك، بالإضافة إلى الوثائق المكتشفة في الحرم القدسي التي تعود إلى العهد المملوكي والتي تشير إلى اهتمام المماليك بإنشاء المدارس وتخصيص الأوقاف الموقوفة عليها للإنفاق على الطلاب والمدرسين فيها.(العارف، ١٩٦١)

٣-٣-٣ العصر المملوكي البحري ٦٤٨هـ/١٢٥٠م - ٧٨٣هـ/١٣٨١م

وهم من جند الملك الصالح نجم الدين الأيوبي ويسمون المماليك البحرية لأنّ الصالح أسكنهم ثكنات في جزيرة الروضة في بحر النيل. كما هو موضح في الشكل (٣-١١)



شكل ٣-١١ حدود دولة المماليك البحرية

المصدر : (www.ar.wikipedia.org)

يرجع ظهور المماليك في العالم الإسلامي إلى ما قبل قيام دولتهم بمصر بأمدٍ طويل، حيث إنهم كانوا طائفة من الأرقّاء أو ممّن كانوا يؤسَرون في الحروب أو يُستدْعون للخدمة في الجيش وكانوا خليطًا من الأتراك والشراكسة وغيرهم من الأجناس، وكان أوّل من استخدمهم الخليفة العباسيّ المأمون خلال فترة حكمه الممتدة بين السنوات ١٩٨هـ/٨١٣م إلى ٢١٨هـ/٨٣٣م، إذ كان في بلاطه بعض المماليك المعتَقين ثم الخليفة العباسي المعتصم بالله الذي استخدم فِرَقًا من الشباب الأتراك في جيشه لتدعيم سلطانه وذلك لقلّة ثقته بالعرب؛ ومن ثم أخذ بمبدأ استخدام المماليك ولاة مصر من الطولونيين والإخشيديين والفاطميين ثم الأيوبيين الذين أكثروا من شراء المماليك الترك وألّفوا منهم فرقًا عسكرية خاصة. (www.ar.wikipedia.org)

ولعلّ اسمهم (المماليك) الذي ينبّئ بالعبودية ويستخدم للتعريف بهم والإشارة إلى عهدهم لا يعطي صورة حقيقية لهم، ولا يدلّ على دورهم الكبير في القضاء على بقايا الفرنجة الصليبيين والوقوف في وجه التتار، ولا يُعرَف بدورهم الحضاري الظاهر، حيث يعتبر قيام دولة سلاطين المماليك في منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بداية مرحلة جديدة لها طابعها الخاص في تاريخ مصر والشام والذي يتصف بالأمن والاستقرار والثراء والازدهار، خصوصًا بعد سيطرة التتار الوثنيين على بغداد وسقوط الخلافة العباسية فيها، كما أخذت دولة المسلمين في الأندلس في ذلك الوقت بالانحسار سياسيًا وحضاريًا بعد أنْ اشتدّتْ عليها وطأة الفرنجة، وتعود نشأة المماليك إلى عصر الصالح نجم الدين أيوب حيث كان له مماليك أتراك ثبتوا معه في محنته في الوقت الذي انفض من حوله الأكراد فأكثر من شرائهم ووضع نظاما صارما لتربيتهم حتى صاروا عصبية خاصة بعد معركة المنصورة التي هزموا فيها الصليبيين ومعركة عين جالوت التي هزموا فيها المغول. (المقريزي، ١٩٧٠)

فقد كان أمن المجتمع عندهم مقدماً على كل شئ، وساعد العلماء الظاهر بيبرس على نقل وإعلان الخلافة العباسية إلى مصر لإضفاء الشرعية على الحكم المملوكي ، وكان العلماء يمثلون ذلك الجزء من المجتمع الإسلامى المثقف في الآداب والشريعة والعقائد الإسلامية لقد كانوا قضاة وأئمة وفقهاء ومدرسين وحفظة للقران الكريم ورواه للحديث الشريف وتولى بعضهم مناصب في الدواوين وعمل البعض منهم محتسبين ووزراء في الدولة المملوكية ولذا كانوا حلقة الوصل بين السلطة والمجتمع.(سهيل، ١٩٩٧)

ويبدو أنّ مدينة القدس على الرغم من قدسيتها، كانت تعتبر يومئذ منفى للذين يحلّ عليهم غضب السلطان، فقد حدّثنا تغري بردي عن ذلك أيضًا قائلاً: إنّ بعض الأمراء وشوا عند السلطان محمد

ابن قلاوون بمماليكه الذين يناوئنهم السلطة والنفوذ فقام السلطان بنفيهم إلى مدينة القدس. (طقوش، ١٩٩٧)

بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون تسلطن ثمانية من أولاده، ولم يأتِ واحدٌ منهم بأيّ عملٍ يُذكَر لا في مدينة القدس ولا في غيرها من البلدان، إذ ما كان يأتي الواحد منهم إلى المُلك حتى يقوم أخوه عليه أو أحد أقاربه فيقتله أو يخلعه عن العرش وينتزع السلطة من يده وكذلك كان الوضع على أيام المماليك الذين تسلطنوا من بعدهم، لم يحدث أيّ تغييرٍ له صلة بمدينة القدس سوى أنّ حاكم القدس وكان يُدْعى الوالي أصبح بعد سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٦م يُدْعى النائب –أيْ نائب السلطان –وكان هذا يخابر السلطان رأسًا. وبقِيَ الحال هكذا إلى أواخر عهد الملك الصالح حاجي ابن شعبان ٧٨٣هـ/١٣٨١م وهو آخر من حكم من دولة المماليك البحرية أو التركمانية. (المصدر السابق)

٣-٣-٤ العصر المملوكي البرجي ٨٠٣هـ/- ١٤٠٠م - ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م

المماليك الشراكسة أو الأبراج، وأصلهم من بلاد القفقاس وبلاد الشراكس وقد استقدمهم الملوك العرب وأكثر من استخدامهم العباسيون والأيوبيون والمماليك البحرية، وفي عهد السلطان المنصور قلاوون التركي كثُر عددهم حتى وصل إلى ٣٧٠٠ محارب، وكانوا يسكنون في أبراج قلعة القاهرة فعُرِفوا بالبرجية. (www.ar.wikipedia.org)

امتدّ نفوذ الدولة الشركسية ومقرّها القاهرة إلى جميع المناطق التي كانت بحوزة الدولة المملوكية السابقة، ومنها مصر وبلاد النوبة وسورية الطبيعية ومناطق كليكيا وجبال طوروس الوسطى ومدائن صالح والحجاز حتى عسير من شبه الجزيرة العربية. وكان لفلسطين شأن خاصّ عند السلاطين الشراكسة لقدسيتها وموقعها الهام، وكانت نيابة القدس من المناصب التي يتنافس عليها كبار القادة والأمراء. (المصدر السابق)

بلغ عدد السلاطين الشراكسة ٢٤ سلطانًا، أوّلهم الملك الظاهر سيف الدين برقوق وآخرهم الملك الأشرف طومان باي وقد حكم خمسة منهم ٨٩ سنة من أصل ١٣٥ سنة دامت فيها دولتهم وهؤلاء هم: الظاهر برقوق، والأشرف برسبابي، والظاهر جقمق، والأشرف قايباتي، والظاهر قانصو الغوري. (وزيري،2005)

كان تنصيب السلاطين يتمّ بانتخاب أكثر المرشّحين كفاية وكان يعاونهم في الحكم مجلس سلطنة يتألّف من كبار القادة والأمراء ويسمّى أعضاؤه أصحاب السيف وهم الذي ينتخبون السلطان ويبايعونه، ثم يبارك البيعة الخليفة العباسيّ وقضاة المذاهب الأربعة، وبذلك لم يكنْ هناك مكان للحكم الوراثي في عهدهم كما كان الحال عند المماليك الأتراك. (المصدر السابق)

٣-٣-٥ سلاطين المماليك البحرية وعلاقتهم بالعمارة

كان المماليك من أكثر الفئات حباً للعمارة ولما كانوا في الأصل ظاهرة سياسية فقد كان للسياسة دور في تشجيعهم على تشييد المنشآت ويجئ بذلك كون النظام المملوكي فريدا إذا لا يوجد ما يشبهه في الحضارات القديمة بالرغم من اعتمادها على الرق في أعداد جيوشها وتأتى فرادة النظام المملوكي في تمكنه من التحول إلى مؤسسة لها قوانينها الصارمة وهو ما مكنها من الاستيلاء على السلطة والدفاع عن ديار الإسلام ومحاربة أعدائه الشرسين الذين تمثلوا بالأخص فى الصليبين والمغول لقد تنبه المؤرخون المسلمون إلى أهمية النظام المملوكي وتمكنه من الدفاع عن الإسلام بعد أن انهارت الخلافة العباسية وسقطت بغداد فى يد المغول ومن أشهرهم ابن خلدون الذي أرجع هذه الظاهرة إلى انغماس العرب فى الترف.(ابن خلدون، ١٣٧٧)

عادت وحدة مصر والشام مرة أخرى في ظل حكومة مركزية قوية، مما رسخ قدراً من الإستقرار لأول مرة منذ أمد طويل في بلاد الشام بوجه عام ومدينة القدس بوجه خاص، لم يدخر سلاطين المماليك وسعاً في العنايه بالحرم القدسي الشريف وقبة الصخره المباركه، سواء بالإضافة أو الإصلاح أو الترميم. هذا فضلاً عن عنايتهم الكبيره بإقامة المنشآت الدينيه والعلمية والخيرية والاجتماعية في مدينة القدس.(القدسي،١٩٩٧)

وكان أول سلاطين المماليك الذين اعتنوا بالقدس هو السلطان الظاهر بيبرس الذى كان يغدق على المدينة بالأموال فى سبيل ترميم مبانيها وتعميرها فقد رمم السلطان بيبرس قبة مسجد الصخرة فى القدس واهتم بتجديدها وزخرفتها، وقد نظم وقف المدينة واهتم بوقف كثير من المقدسات الإسلامية وقد خلف السلطان بيبرس خانا كان قد بناه للسبيل سمى خان الظاهر بيبرس وألحق به مسجدا وفرنا، وجدد السلطان بيبرس الفصوص التى كانت على رخام مسجد الصخرة وأقام درابزين حول الصخرة وعمل لمسجدها منبرا اهتم بزخرفته واهتم به وسقفه بالذهب، إن هذه المنشآت ترينا مدى اهتمام السلطان بيبرس بالمبانى الدينية والخيرية وهى صورة للسياسة المملوكية التى اشتهرت بالجهاد والكفاح ضد الإفرنج والمغول من جهة والعمران من جهة أخرى فقد أنشا الأمير عيسى الهكارى مدرسة دار الحديث فى عهد السلطان بيبرس كما وأقيمت فى عهده أبنية أخرى ذات

صبغ دينية مثل رباط البصير الذى أوقفه الأمير علاء الدينابن عبد الله الصالحى النجمى. (النتشة واخرون،١٩٨٤)

كان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ٦٥٨هـ/١٢٦٠م–٦٧٦هـ/١٢٧٧م في خاصةٍ خدم الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم أعتقه وارتقى حتى أصبح أتابك أيّ قائد العساكر بمصر في أيام قطز، وتولى سلطنة مصر والشام من بعده.

يُعَدّ الظاهر بيبرس أول المماليك العظماء، ومؤسس سلطانهم الحقيقي وتستند عظمته إلى الحملات الموفقة التي جرّدها على الصليبيين ومهّدت السبيل للانتصارات التي جناها حلفاؤه من بعده، حيث قضى على مملكة أنطاكية الصليبية عام ٦٦٦هـ/١٢٦٨م واستولى على كثيرٍ من مواقع الصليبيين وقلاعهم، وفتح قيسارية وصفد وهونين وتبنين والرملة وقلعة شقيف، كما هاجم مدينتي صور وعكا أكثر من مرة حتى سعى إليه الفرنجة ليعقدوا معه الصلح، فوافق على عقد هدنة معهم مدتها عشر سنين وعشرة أشهر وعشر ساعات تبدأ من ٢١ رمضان من عام ٦٧٠هـ/١٢٧٢م، وإلى جانب المآثر الحربية اهتمّ الظاهر بيبرس بتجديد الخلافة العباسية في القاهرة لإعطاء الصفة الشرعية لسلطتهم الوليدة، فكان بيبرس أول من تلقّب بإسم أمير المؤمنين من قِبَل الخليفة" وهذا اللقب أجلّ الألقاب، كما اهتمّ الظاهر بيبرس بتعمير البلاد التي دخلت في حوزته وبتدبير شئونها كما أولى مدينة القدس عناية كبيرة لما لها من مكانة خاصة ومقدسة لدى المسلمين جميعًا، وتمثّل ركيزة دينية هامة من الجانب الديني في سياسته، وقد قام الظاهر بيبرس بزيارة مدينة القدس عدة مرات، كانت على التوالي:

- **الزيارة الأولى** :تمت في عام ٦٦١ هـ/١٢٦٢م وهو في طريق عودته من الشام إلى مصر فكان أوّل من زار المدينة من سلاطين المماليك فاطّلع على أحوالها ونظّم أوقافها ثم أمرَ بترميم المسجد الأقصى وخصّص له في كلّ سنة خمسة آلاف درهم.
- **الزيارة الثانية** :وقد تمّت في سنة ٦٦٢ هـ/١٢٦٣م أمرَ خلالها بإنشاء خان السبيل ولما تمّ بناء الخان نقل إليه باب قصر من قصور الفاطميين معروف بالقاهرة باسم قصر باب العيد. وبنى بالخان مسجداً وطاحونةً وفرناً ولما تم بناء هذا الخان أوقف عليه أوقافًا عدة على أنْ يُصرَف ريع هذه الأوقاف على من يرد هذا الخان من المسافرين المشاة للإنفاق عليهم في خبزهم وإصلاح نعالهم وغير ذلك.

- **الزيارة الثالثة** :تمت في سنة ٦٦٤ هـ/١٢٦٥م، لم يكن فيها الكثير من الإنجازات التي تذكر.
- **الزيارة الرابعة** :وهي الزيارة الأخيرة التي قام بها الظاهر بيبرس للقدس، وتمّت في عام ٦٦٨ هـ/١٢٧٠م وجدّد خلالها الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة المشرفة كما أمرَ في السنة نفسها بوضع الدرابزين حول الصخرة المشرفة وعمل فيها منبرًا وسقفه بالذهب.

وفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م توفّيَ الملك الظاهر بيبرس في دمشق بعد أنْ ملك مصر والشام سبع عشرة سنة وشهرين، وتولّى المُلك من بعده ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد ثم ابنه الثاني الملك العادل بدر الدين سلامش ولم يذكرْ التاريخ أنهما قاما بعملٍ في القدس وقد ترك المُلك كلاهما خلعًا.

كان أوّل من تولّى السلطنة من أبناء قلاوون هو السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ٦٧٩هـ/١٢٨٠م-٦٨٩هـ/١٢٩٠م، وكان يلقّب بالصالحي الألفيّ، وقد برز في أواخر عهد الأيوبيين وخلع ابن الظاهر بيبرس سلامش وبويع بالسلطنة كان على ما وصفه المؤرّخون فارسًا شجاعًا لا يحبّ سفك الدماء واهتمّ بجمع المماليك من كلّ جنس، وفي أيامه كان ظهور جماعة المماليك البرجية. (وزيري،٢٠٠٥)

اهتم السلطان المملوكى الثانى الملك المنصور سيف الدين قلاوون بأمر مدينة القدس فأنشأ فيها رباطا سمى بالرباط المنصورى وقفه على الفقراء من زوار مدينة القدس عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م وجدد عمارة المسجد القلندرى ووقف عليه أملاكً(الحنبلى، ١٥٢٢م)

وشهدت مدينة القدس حركة عمرانية كبيرة لا مثيل لها فى جميع العهد المملوكى بعد وفاة السلطان قلاوون بخاصة تلك الحركة التى واكبت عهد السلطان ناصر الدين محمد بن قلاوون ونائبه فى الشام الأمير تنكز فأنشئت المدارس مثل المدرسة الوجيهية وقفها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد المنجا الحنبلى والمدرسة السلامية وقفها الخواجة مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامى والمدرسة الجاولية نسبة إلى الأمير علم الدين الجاولى والمدرسة الكريمية نسبة إلى الصاحب كريم الدين والمدرسة التنكزية نسبة الى الأمير تنكز وغيرها وفى عهده أقيمت الزاوية المعروفة بزاوية المصمودى التى وقفها الشيخ عمر بن عبد الله المصمودى على الفقراء والمساكين وزاوية الشيخ الإمام العارف أبى مدين وفى عهد هذا السلطان أقيمت فى مدينة القدس قنوات مائية وتم تعمير قناة السبيل وعمرت خانقاه وحمام قيسارية وبركة من الرخام بين الصخرة المشرفة

والاقصى الشريف، وعمر فى عهده السور القبلى الذى هو عند محراب النبى داوود عليه السلام وفى عهده رخم صدر المسجد الأقصى ومسجد إبراهيم الخليل عليه السلام وجدد تذهيب قبتين قبة الأقصى القبلي وقبة الصخرة المشرفة.(النتشة واخرون، ١٩٨٤)

تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون حكم السلطنة ثلاث مرات:

الأولى :دامت حوالي ثلاث سنوات في الفترة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م–٦٩٦هـ/١٢٩٦م.

الثانية :وكانت مدّتها حوالي عشر سنوات في الفترة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م– ٧٠٨هـ/١٣٠٨م.

الثالثة :وهي الأخيرة وقد دامت أكثر من ثلاثين سنة امتدت في الفترة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م– ٧٤١هـ/١٣٤١م.

وهكذا امتاز عهد الملك الناصر محمد بدوراته الثلاث، والذي دام قرابة خمسة وأربعين عامًا والذي عُرِف بأنّه أطول عهود السلاطين المماليك.

وفي عهده بلغت المناوشات بين المماليك والتتار أشدها، إذْ استولت قوات غازان التتاري على دمشق، واجتاحت منطقة الأغوار ونهبت مدينتيْ القدس والكرك ومن ثم انتهت هزيمة التتار في مرج الصفر جنوب دمشق.

ولقد اشتهر عهد الناصر محمد بإنشاء الأبنية الكثيرة والمآثر الحضارية المختلفة فشهدت المدينة المقدسة على يده ويد نائبه بالشام الأمير تنكز حركةً عمرانية لا مثيل لها في كامل العهد المملوكي. (النتشة واخرون، ١٩٨٤)

وفي عهد حسن بن محمد بن قلاوون أقيمت المدرسة الفارسية التى وقفها الأمير فارس الدين بن الأمير قطللو الذى تولى نيابة غزة والمدرسة الأرغونية نسبة إلى الأمير أرغون الكاملى نائب الشام والمدرسة الخاتونية نسبة إلى أوغل خاتون والمدرسة القشمرية نسبة إلى الأمير قشتمر السيفى ومدرسة دار القرآن نسبة الى سراج الدين عمر بن أبى بكر السلامى والمدرسة الحسينية نسبة إلى شاهين الحسنى والمدرسة الأسعردية نسبة الى الخواجة مجد الدين عبد الغنى بن سيف الدين الأسعردى.(النتشة واخرون، ١٩٨٤)

في عهد الملك المنصور صلاح الدين بن يوسف الدين حاجى بن الناصر محمد قلاوون أقيمت المدرسة الطازية نسبة إلى الأمير طاز والمدرسة المنجكية نسبة إلى العالم عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمى الأردبيلى والمدرسة الباوردية نسبة إلى الست الحاجة سفرى خاتون ابنة شرف الدين المعروف بالباوردى والمدرسة الحنبلية نسبة إلى الأمير بيدر نائب الشام والمدرسة اللولوية نسبة إلى الأمير لولو غازى وفى عهده أقيمت منارة عند باب الأسباط وجددت الأبواب الخشبية المركبة على أبواب الجامع الأقصى والقناطر.

وظل السلاطين المماليك طيلة العهد المملوكى الأول فى مدينة القدس يقيمون المدارس العلمية فاقيمت مدرسة البلدية نسبة إلى الأمير منكلى بغا الأحمدى نائب حلب وأقيمت المدرسة الطشتماريه نسبة إلى الأمير طشتمر العلائى الذى نزل القدس فى أواخر العهد المملوكى التركى أاو العهد المملوكى الأول.(الحنبلى، ١٥٢٢)

٣-٣-٦ سلاطين المماليك البرجية وعلاقتهم بالعمارة

اهتم السلاطين المماليك البرجية بمدينة القدس فالسلطان برقوق أمر بالغاء المكوس والمظالم والرسوم وذلك لتحسين احوال السكان وبنى قناطر جلب لها الماء من قنوات عرفت باسم قناة العروب وبنى بركة للماء عرفت ببركة السلطان وبنى دكة لمؤذنين فى مسجد الصخرة وفى عهده انشئت المدرسة الجهاركسية التى عرفت بالزاويه اليونسية وسميت بالجهاركسية نسبة إلى الامير جهكرس الخليلى والمدرسة الطولونيه نسبة إلى أحمد بن الناصرى محمد الطولونى الظاهرى وفى عهد السلطان الناصر فرج أنشئت المدرسة الصبيبية نسبة لواقفها الأمير على بن ناصر الدين محمد نائب قلعة الصبيبية.(النتشة واخرون، ١٩٨٤)

لعل أهم سلاطين المماليك البرجية الملك الناصر فرج والمعروف بأبي السعادات زين الدين الذي حكم مرتين؛ وكانت فترة حكمة من ٨٠٣هـ/١٤٠٠م إلى ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، وحكم أيضاً في الفترة من ٨٠٨هـ/١٤٠٥م إلى ٨١٥هـ/١٤١٢م، وعلى الرغم مما اشتهر به في التاريخ من سوء السيرة إلا أنّه في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م قام بزيارة لمدينة القدس ونزَل بالمدرسة التنكزية، ووزّع على الناس خمسة آلاف دينار وعشرين ألف فضة، وهو مبلغ كبير بالنسبة لمقاييس ذلك العصر. ومن جملة الأمور التي نظّمها في مدينة القدس أنْ لا يكون نائب القدس هو نفسه ناظر الحرمين الشريفين. (www.ar.wikipedia.org)

وقد تولى الملك الظاهر سيف الدين برقوق الحكم في الفترة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م- ٨١٥هـ/١٤١٢م، يُعَدّ الملك الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك البرجية، وهو من موالي بني قلاوون وتمكّن من القضاء على دولة المماليك البحرية وتولّى الحكم عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م وأقرّه الخليفة العباسي المتوكل على الله، ويذكر مجير الدين الحنبلي أنّه تولى الحكم مرتين ودام حكمه سبعة عشر عامًا، زار الملك الظاهر مدينة القدس وأبطل المكوس والمظالم والرسوم التي أُحدِثت من قبْله في مدينة القدس، كما ردّ الأمير شهاب الدين أحمد اليغموري ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس والخليل إلى القدس الشريف كما أقيمت في عهده بعض المنشآت الهامة. (طقوش،١٩٩٧)

وبعد وفاة الملك الناصر فرج تسلطن العديد من المماليك البرجية إلا أنّه لم يحدُثْ في القدس أية حوادث تستحق الذكر إلى أنْ تسلطن الملك الأشرف برسباي.

ومن السلاطين المماليك البرجية الذين اهتموا بمدينة القدس السلطان الملك الأشرف برسباى الظاهرى الذي حكم في الفترة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م- ٨٤١هـ/١٤٣٧م، وهو من عتقاء الملك الظاهر برقوق وكان يلقّب بأبي النصر البرسباي الدقماني، وقد بويع بالسلطنة عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م ودام في الحكم ستة عشر سنة، وأقيم في عهده إنشاءات عديدة كان أهمها على الإطلاق بناء وتشييد المدارس في المدينة المقدسة. (المصدر السابق)

ففى عهده أنشئت المدرسة الباسطية نسبة إلى شيخ الإسلام محمد الهروى شيخ الصلاحية وناظر الحرمين والمدرسة الغادرية نسبة الى واقفها الأمين ناصر الدين محمد بن دلغار والمدرسة الحسنية نسبة إلى واقفها الأمير حسام الدين بن محمد ناظر الحرمين ونائب السلطنة والمدرسة العثمانية نسبة إلى إمرأة اسمها أصفهان الحرمين ونائب السلطنة والمدرسة العثمانية نسبة إلى امراة اسمها اصفهان شاه خاتون وتدعى خانم، وفى عهد هذا السلطان تم إنشاء سبيل للماء فى غربى الحرم القدسى الشريف وجدد سبيل شعلان ووقف مالا وضياعا لتصرف على مصالح المسجد الأقصى والصخرة المشرفة. (وزيري،٢٠٠٥)

وظل سلاطين المماليك البرجية يعملون جاهدين فى سبيل تقدم مدينة القدس وعمرانها فعندما حكم السلطان الظاهر خشقدم أمر بإبطال المظالم من المدينة وعمر قناة السبيل التى تصل القدس من عين العروب وهى عين ماء قوية وفى عهد هذا السلطان بوشر ببناء المدرسة الأشرفية التى كانت تدعى بالمدرسة السلطانيه فى عهد السلطان الظاهر وتغير الاسم فيما بعد إلى الأشرفية نسبة الى الملك الأشرف ابي النصر قايتباى الذى تولى الأمر بعد وفاة السلطان الظاهر فى عهد السلطان الأشرف سيف الدين ابي النصر قايتباى تم ترميم العديد من الأماكن فى المسجد الأقصى التى كانت تصدعت نتيجة العوامل الطبيعية.(النتشة واخرون،١٩٨٤)

وهكذا نلاحظ ان مدينة مدينة القدس لقيت الكثير من الاهتمام من قبل السلاطين الذين عنوا ببنائها وعمرانها وإصلاحها والاهتمام بترميم أبنيتها الدينية والخيرية كما ان السلاطين المماليك البرجية كانوا دائما يحاولون الاهتمام بأحوال السكان الاقتصادية والاجتماعية وسر ذلك هو مكانة مدينة القدس الدينية فى نفوس السلاطين فكانت هذه الأعمال فى نظرهم تشكل واجبا دينيا مقدسا يجب الاعتناء به والعمل على دعمه وتطويره. (وزيري،٢٠٠٥)

كما تولى الحكم أيضا الملك الأشرف قاتيباي الظاهري، وهو من مماليك السلطان الأشرف برسباي ثم انتقل إلى خدمة السلطان الظاهر جقمق فأعتقه، وكانت فتره حكمه من ٨٧٢هـ/١٤٦٧م–٩٠٢هـ/١٤٩٧م، وقد بويع بالسلطنة بحضرة أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر العباسي وكان يُلقّب بخادم الحرمين الشريفين :المسجد الأقصى ومسجد الخليل، وقد دام في الحكم قرابة ثلاثين عامًا، وكان يحبّ مدينة القدس كثيرًا وله فيها أصدقاء وذلك لقضائه فيها زهاء خمسة أعوام منفيًا ومغضوبًا عليه من السلطان قبل تولّيه السلطنة. (طقوش،١٩٩٧)

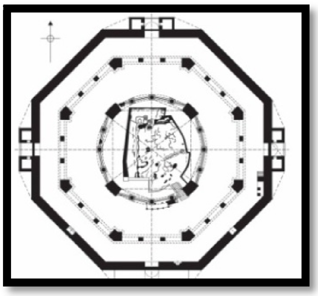
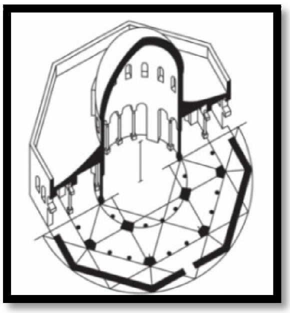
ولقد شهدت المدينة المقدسة في عهده عدة حوادث هامة كانت لها انعكاسات واضحة وهامة على الحياة الاجتماعية والحضارية لسكان المدينة.

٣-٣-٧ الأعمال المعمارية لسلاطين المماليك في مدينة القدس

سوف نتعرض فذ هذه الجزئية إلى سرد بعض أعمال سلاطين عمارة المماليك في مدينة القدس كل حسب الفترة الذي عاش فيه من فترة حكم المماليك سواء كانت بحرية أم برجية، وسيتم توضيح ذلك في الجداول الآتية:

جدول ٣-١ يوضح أهم أعمال الملك الظاهر بيبرس

مصدر صور الجدول:"http://www.alqudsonline.org "

أهم التعميرات التي تمت في عهد الملك الظاهر بيبرس وهو (مملوكي بحري)	
١- عمارة قبة الصخرة المشرفة: في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م جهّز الظاهر بيبرس الأموال والآلات والصناع لعمارة قبة الصخرة التي كانت قد تداعت للسقوط. (المقريزي، ١٩٥٨-١٩٧٠)	 مخطط أفقي لقبة الصخرة  منظور لقبة الصخرة المشرفة

٢- تجديد قبة السلسلة وزخرفتها: وهي القبة الموجودة داخل الحرم القدسي الشريف وتم ذلك في سنة ٦٩٥هـ/١٢٦٠م. (المرجع السابق)	 قبة السلسلة
٣- رباط البصير: وهو من العمائر ذات الصبغة الدينية المهمة التي أقيمت في عهد السلطان الظاهر بيبرس في مدينة القدس، وقد عمره الأمير علاء الدين آيدغيدي البصير ووقف عليه أوقافًا كثيرة سنة ٦٦٦ هـ/١٢٦٧م، كما أقام الأمير علاء الدين أبنية أخرى منها المطهرة بجانب المسجد الأقصى، وكذلك بلّط صحن الصخرة المشرفة. (العارف، ١٩٥١)	 رباط البصير

جدول ٣-٢ يوضح أهم أعمال الملك المنصور قلاوون

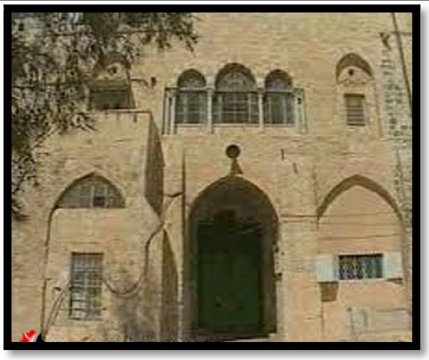
مصدر صور الجدول:"www.ar.wikipedia.org "

أهم التعميرات التي تمت في عهد الملك المنصور قلاوون وهو (مملوكي بحري)	
١- الرباط المنصوري ويقع في الجهة الجنوبية من طريق باب الناظر المؤدّي إلى الحرم القدسي، قبالة رباط علاء الدين البصير، وقد أمرَ ببنائه السلطان قلاوون سنة ٦٨١هـ/١٢٨٨م وأوقفه على الفقراء وزوار مدينة القدس، والرباط المنصوري من المؤسسات السلطانية القليلة التي بُنِيَت خارج الحرم، لأنّ السلاطين كانوا يقيمون منشآتهم داخل الحرم نفسه، وقد أشرف على بنائه علاء الدين آيدغدي بعد بناء رباطه.(المرجع السابق)	 الرباط المنصوري
٢- المسجد القلندري: في عهد السلطان قلاوون وتحديدًا في سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م جدّدت عمارة هذا المسجد، وهو واقع على طريق دير اللاتين في الناحية الجنوبية من المدينة المقدسة ولم يبقَ منه اليوم إلا الاسم، وقد زار السلطان قلاوون فلسطين أكثر من مرة ونزل في مدينة القدس سنة ٦٨٢هـ/1283م وأقال نائبها عماد الدين بن أبي القاسم وأقام مكانه نجم الدين السونجي، بعد أنْ توقّي السلطان قلاوون تولى ابنه الملك	 مسجد القلندري

الأشرف صلاح الدين خليل، ثم ابنه الثاني السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير، وبعد مقتل الملك المظفر المنصور لاجين تولّى الملك للمرة الثانية الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم تسلطَن الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري، ثم عاود للمُلك الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثالثة. (المرجع السابق)	

جدول ٣-٣ أهم أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون

مصدر صور الجدول:" www.ar.wikipedia.org "

أهم التعميرات التي تمت في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو (مملوكي بحري)	
١- رباط الكرد ويقع في الجانب الشمالي من طريق باب الحديد تجاه المدرسة الأرغوانية، وملاصقًا لسور الحرم وعلى يمين الخارج منه من هذا الباب وقد أنشأه المقر السيفي كُرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م وكان السيفيّ كُرد من مماليك السلطان قلاوون، وقد أسّس رباطه في القدس عندما كان ساقي السلطان ويسكن رباط الكرد الآن جماعة من آل الشهابي وهو يعرف بهم.(http://www.alqudsonline.org)	
٢- المدرسة الدويدارية (الدوادارية) وتقع هذه المدرسة على يمين الخارج من الحرم القدسي الشريف من باب العتم أو كما كان يسمّى قديمًا بباب شرف الأنبياء، والذي أُطلِق عليه أيضًا اسم باب الدويدارية نسبةً إلى هذه المدرسة الكائنة شرقي هذا الباب. أمّا تسميتها بالمدرسة الدوادارية فترجع إلى منشئها وواقفها الأمير علم الدين أبو موسى سنجر الدوادار الصالحي النجمي، الذي أوقف عليها أوقافًا كثيرة في مناطق متعددة في فلسطين وكانت عمارتها في سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م. المدرسة الدوادارية هي وقفٌ إسلامي، كانت في السابق خانقاة للصوفية من العرب والعجم وكانت تُدْعى بدار الصالحي، وهي ما تزال مدرسة حتى يومنا هذا، ويشغلها حاليًا المدرسة البكرية الابتدائية للذكور.(المرجع السابق)	  صور مختلفة لمدرسة الدوادارية

٣- التربة الأوحدية:

وتقع على ميسرة الخارج من الحرم من باب حطة، وواقفها هو الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م. (المرجع السابق)

٤- المدرسة السلامية (الموصلية):

وتقع خارج الجهة الشمالية للحرم وإلى الشمال من المدرسة الدوادارية بباب العتم أو باب شرف الأنبياء، وواجهتها الرئيسية على الجانب الشرقي من طريق باب العتم المعروف بطريق المجاهدين والمؤدّي إلى باب سور القدس المعروف بباب الأسباط.

والمدرسة عبارة عن بناية ضخمة وفيها بوابة تمتاز بروعة جمالها وتعلوها المقرنصات وعلى جانبي قوس البوابة النقش التالي: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

كلّف بناء هذه المدرسة أموالاً طائلة وواقف المدرسة هو الخواجا مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامي وكان تاجرًا كبيرًا في القاهرة، وتاريخ المبنى والوقوف غير معروف بوجه الدقة، ويقول مجبر الدين الحنبلي إنها وقفت بعد السبعمائة للهجرة. (http://www.alqudsonline.org)



المدرسة السلامية

٥- زاوية المغاربة:

وهي تقع بأعلى حارة المغاربة في الجهة الغربية خارج الحرم، وواقفها هو الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد، وقد عمر الزاوية وأنشأها من ماله ووقفها على الفقراء والمساكين في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م وأوقاف هذه الزاوية كانت تشمل على حوانيت في سوق القصاص وجسر الليمون وفرن موجود بحارة المغاربة وطاحونة قرب المنطقة ذاتها بالإضافة إلى بيت في حارة الشرف.

وفي سنة ١٩٦٧م قامت سلطات الاحتلال "الصهيونية" باستملاك هذه الزاوية وهدمتها. (المرجع السابق)





حي المغاربة

٦- التربة الجالقية: وتُعرَف اليوم بدار الخالدي. وموقعها بالزاوية الشمالية الغربية عند ملتقى طريق الواد بطريق باب السلسلة. وواقفها هو ركن الدين بيبرس بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالجالق ومعناه الحصان القوي الشديد المراس وكان من جملة الأمراء بالشام وقد توفّي في الرملة سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م ودُفِن في تربته بالقدس. (http://www.alqudsonline.org)	 التربة الجالقية
٧- جامع قلعة القدس: بُنِي الجامع بداخل القلعة عند زاويتها القبلية الغربية، وقد كُتِب على عتبة بابه العليا أنّ الجامع أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م.(المرجع السابق)	 جامع قلعة القدس
٨- التربة السعدية: وتقع بطريق باب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية بالقرب من باب الحرم الرئيسي المعروف بباب السلسلة لجهة الغرب، وواقفها هو الأمير سعد الدين مسعود بن بدر سنقر عبد الله الروحي الحاجب بالشام في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١هـ/١٣١١م.(المرجع السابق)	 التربة السعدية
٩- المدرسة الكريمية: تقع في منطقة باب حطة شمالي الحرم، وعلى يمين الخارج من الحرم من الباب مباشرة وواقفها هو كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية، أي أنّه كان من أصحاب السلطة والنفوذ في دولة السلطان الناصر محمد وكان ذلك في سنة ٧١٨هـ/١٣١٩م. (المرجع السابق)	 صورة للمدرسة الكريمية

١٠- المدرسة التنكزية:

وهي من المدارس الشهيرة في القدس، وتقع على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة وهو باب الحرم الرئيسي، ومبناها متقَن البناء ولا يزال قائمًا حتى يومنا هذا، ولقد وصف مجير الدين الحنبلي هذه المدرسة قائلاً: هي مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها، وهي بخط باب السلسلة، ولها مجمع راكب على الأروقة الغربية للمسجد.

أمّا واجهة المدرسة الشمالية فهي تطلّ على ساحة صغيرة بباب السلسلة وواجهتها الشرقية تطلّ على رواق الحرم، والواجهة الجنوبية تشرف على حائط البراق، والواجهة الغربية تطل على المباني المجاورة لها.

عمّر هذه المدرسة سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام، وكان من أشهر نواب السلاطين الذين حكموا الشام في عصر المماليك وكان ذلك سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م. ويقول د. كامل العسلي: يتّضح من الوقفية أنّ الصرح الذي شيّده سيف الدين تنكز كان في الواقع مجمّعًا مؤلفًا من عدة أجنحة، وكان البناء يشتمل على مدرسة وخانقاة للصوفية ودار حديث ورباط للعجائز من النساء، وكانت المدرسة تشغل الطابق الأرضي، أمّا الخانقاة فكانت كما هو ظاهر فوق رواق الحرم الملاصق لمبنى المدرسة وكان في علوّ المدرسة أحد عشر بيتًا للصوفية، وكان هناك فوق سطح المدرسة بيت كبير مخصص لرباط النساء في المدرسة. (المرجع السابق)





صورة للمدرسة التنكزية

١١- تعميرات في المسجد الأقصى:

من الآثار التي تمّت على يد الأمير تنكز نائب السلطنة في الشام، الرخام المبني في الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى عند المحراب لجهة الشرق، كما بنى أيضًا الحائط الغربي للمسجد الأقصى. (http://www.alqudsonline.org)

كما تمّ في عهده بناء أروقة في ساحة الحرم القدسي، وهي محكمة البناء وممتدة من جهة القبلة إلى جهة الشمال، وأوّلها عند باب الحرم المعروف بباب المغاربة وآخرها عند باب الغوانمة وكلّها عُمّرت في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون في فترات مختلفة، وعلى النحو التالي:

أ- الرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة، عمّر سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م.

ب- الرواق الممتدّ من باب المغاربة إلى باب السلسلة، عمّر سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م.

ت- الرواق الممتدّ مما يلي منارة باب السلسلة إلى قرب باب الناظر، وقد عمّر سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م.



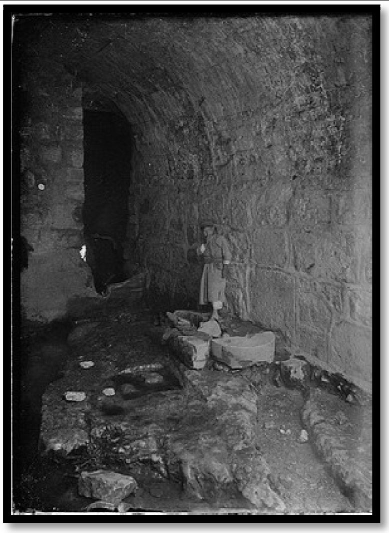




أروقة المسجد الأقصى

١٢- قناة السبيل:

وهي القناة الواصلة من منطقة العروب إلى مدينة القدس، وقد أمرَ بتجديدها الأمير تنكز، فابتدأ عمارتها سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، ووصلت إلى القدس ودخلت الحرم الشريف سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م.(المرجع السابق)



قناة السبيل

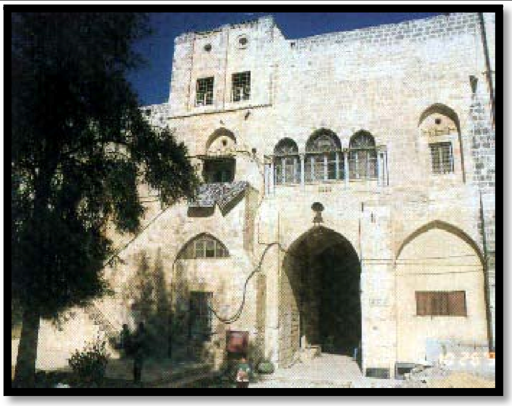
١٣- المدرسة الأمنية:

وتقع على الجانب الغربي من الطريق المؤدي إلى باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء. ومبناها الذي لا يزال قائمًا وهو مؤلّفٌ من طابقين، وقد كانت المدرسة في الطابق الأرضي، أمّا الطابق العلوي فقد بنِيَ جزءٌ منه فوق رواق الحرم وجزءٌ آخر فوق باب العتم الدوادارية.

كان شيخ هذه المدرسة يُعيّن بتوقيع من نائب السلطنة في دمشق، وواقفها هو الصاحب أمين الدين عبد الله في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م.

والمدرسة الأمينية اليوم عامرة ومسكونة من قِبَل آل الإمام، فقد كانت هذه المدرسة وقفًا لهذه العائلة المقدسية منذ عدة قرون، وقد سكنها أفراد هذه العائلة لعدة أجيال متعاقبة.

(العارف ، ١٩٥١)



صورة المدرسة الأمينية

١٤- الخانقاة الفخرية:

وهي بداخل سور الحرم في أقصى الجنوب الغربي منه، وبابها عند الباب الذي يخرج منه المارة إلى حارة المغاربة، وواقفها هو القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الإسلامية، وكانت وفاته سنة ٧٢٣هـ/١٣٣٢م.

كانت في البداية مدرسة ثم أصبحت خانقاة للصوفية، وفيها مسجد وأماكن لإقامة الأذكار وأماكن أخرى خاصة لتهجّد الصوفيين. وقد هدمتها السلطات "الصهيوني" سنة ١٩٦٩م.

(المرجع السابق)



الخانقاة الفخرية

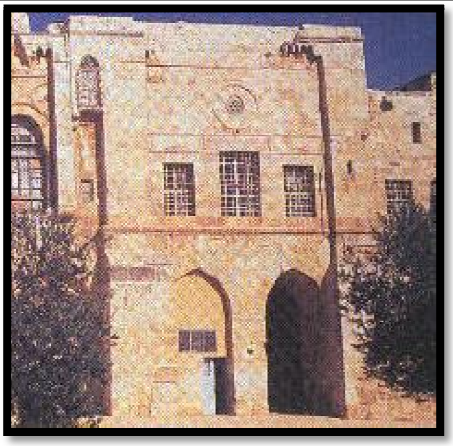
١٥- سوق القطانين:

يبلغ طول هذا السوق ١٠٠متر وعرضه ١٠ أمتار، وعلى جانبيه دكاكين، وكانت عند إنشائها سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م معدّة لبيع جميع أنواع الأقمشة والبضائع التي كانت تحملها القوافل التجارية من الهند إلى القدس عن طريق بُصرى وبغداد والموصل، ولكنّ أهمية هذا السوق تضاءلت عند اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧م ومن ثمّ أُهمِل هذا السوق تمامًا في أواخر العهد العثماني.

(المرجع السابق)

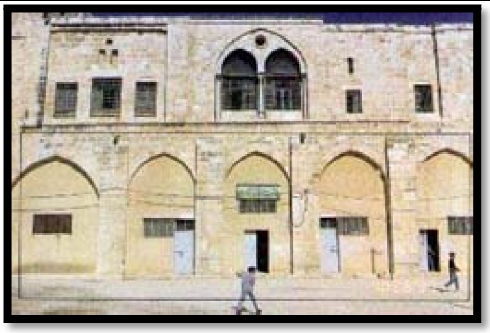


سوق القطانين

١٦- **المدرسة الملكية (المالكية):** وهي تقع في الجهة الشمالية من الحرم ومجاورة للمدرسة الأسعردية من جهة الشرق، وقد ذكَرها مجير الدين الحنبلي قائلاً: عمّرها الحاج الجواكندار وكان بناؤها في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون في مستهلّ محرّم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. وأمّا الوقف عليها فإنّه من زوجته ملَك بنت السيفي قلطقتم الناصري. وتاريخ وقفها في السادس عشر من ربيع الآخر من سنة خمس وأربعين وسبعمائة والظاهر أنّ زوجها عمرها لها من مالها والله أعلم ،أمّا د. كامل العسلي فقد قال فيها: يبدو أنّ المدرسة المالكية كانت تُعرَف قديمًا باسم القبة، فالسجلّ ٦٠٢ من سجلات الأراضي في إسطنبول يذكر وقف المدرسة المالكية المعروفة بالقبة، وتاريخ سجلّ محضر الوقف في سنة ٧٧٠هـ والمدرسة المالكية أصبحت في وقتنا الحاضر كمعظم المدارس دارًا للسكن، ويسكنها هذه الأيام جماعة من آل الخطيب، وفي المدرسة ضريح السيدة ملك السابق ذكرها. (العارف ، ١٩٥١)	 صورة المدرسة المالكية
١٧- **خان تنكز:** ويقع في الجهة الجنوبية من سوق القطانين، والمرجّح أنّ الباني لهذا الخان هو الأمير تنكز نائب الشام وقام ببنائه عندما بنى سوق القطانين وفي العام ٧٣٧هـ نفسه. (ابن تغرى بردى،١٣٤٨هـ)	 خان تنكز
١٨- **بناء حمام:** وهو واقعٌ على يمين الداخل إلى سوق القطانين من طريق الواد ويعرف اليوم بحمام العين، هذا وقد قام الملك الناصر محمد بزيارة لمدينة القدس الشريف وقد ذكرها ابن تغري بردي قائلاً :بدأ زيارته في يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م وقد سار معه خمسون أميرًا وناظر الخواص كريم الدين الكبير، وفخر الدين ناظر الجيش، وكتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه لزيارة القدس، فقام بزيارة معالم المدينة ثم زار الكرك، وعاد إلى الديار المصرية وكانت غيبته أربعين يومًا.(المرجع السابق)	 حمام العين

جدول ٣-٤ يوضح أهم أعمال الملك الأشرف برسباي الظاهري

مصدر صور الجدول:"http://www.alqudsonline.org "

أهم التعميرات التي تمت في عهد الملك الأشرف برسباي الظاهري وهو (مملوكي برجي)	
١- المدرسة الباسطية: وهي تقع شمالي الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب العتم) ويلاصق بعضها المدرسة الدوادارية من جهة الشمال الشرقي. وواقفها هو القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة. أوّل من اختطّ أساس المدرسة وقصد عمارتها شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين الشريفين، إلا أنّه توفّي قبل إتمام عمارتها فعمّرها القاضي زين الدين عبد الباسط المذكور ووقفها على الصوفية سنة ٨٣٤هـ/١٤٣١م وهي لا تزال عامرة حتى يومنا هذا حيث يشغل جزءٌ منها دارًا للسكن والجزء الآخر يؤلّف مع المدرسة الدوادارية المدرسة البكرية للبنين. (العارف، ١٩٥١)	 صورة المدرسة الباسطية
٢- المدرسة الغادرية: وكانت تقع في الجهة الشمالية من ساحة الحرمين الشريفين بين باب حطة ومئذنة باب الأسباط. وواقفها هو الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بعد أنْ عمرتها زوجته (مصر خاتوم) سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م وقد وصفها الشيخ عبد الغني النابلسي في أواخر القرن الحادي عشر قائلاً: ثم توجّهنا ودخلنا المدرسة الغادرية فوجدناها عظيمة البناء واسعة الفناء مشتملة على أشجار الورد ولها الرونق واليها بين المدارس كالعلم الفرد...)، أما اليوم فقد استحالت المدرسة إلى خرابة. (المرجع السابق)	 صورة المدرسة الغادرية
٣- المدرسة الحسنية وهي آخر المدارس في الجهة الشمالية من ساحة الحرم، وتقع عند باب الأسباط بالضبط، وحدّثنا مجير الدين الحنبلي عنها قائلاً: إنّه لم يتحقّقْ من أمرها ولكنّه أُخْبر أنّ واقفها هو شاهين الطوشي من دولة الملك الناصر حسن المتوفى سنة ٧٦٢هـ. (المرجع السابق) ويقول فيها د. كامل العسلي: الظاهر أنّ الإجراءات الخاصة	

بوقف هذه المدرسة لم تتمْ لأنّ الواقف توفّي قبل ذلك ولهذا فإنها لم تصبحْ مدرسة بالفعل فصارت دار سكن، وأصبح ريعها يُستَوْفى لجهة أوقاف المسجد الأقصى. وبذلك يكون بناؤها حوالي العام ٧٦٠هـ. (العارف ، ١٩٥١م)	
٤- المدرسة العثمانية: وهي واقعة على يسار الخارج من الحرم من باب المطهرة (باب المتوضأ قديمًا) وكانت المدرسة العثمانية من المدارس الهامة في القدس، ويظهر ذلك من أسماء الذين تولوا التدريس فيها، وأكثرها من كبار علماء الحنفية في القدس منهم: الشيخ الإمام سراج بن مسافر بن يحيى عالم الحنفية بالقدس الشريف. وهو روميّ الأصل وقدِم إلى مدينة القدس سنة ٨٢٨هـ. والشيخ سراج الدين عمر بن أبي اللطف المفتي بالديار المقدسية سنة ٩٩٠هـ. والشيخ جار الله بن أبي بكر بن محمد المعروف بابن أبي اللطف مفتي الحنفية بالقدس، وقد توفّي سنة ١٠٢٨هـ. (http://www.alqudsonline.org) واقف المدرسة العثمانية هي امرأة من أكابر الروم واسمها أصفهان شاه خاتون، وتُدْعى خانم، وقد عيّنت لها أوقافًا كثيرة ببلاد الشام وغيرها من البلاد وقد توفّيت الخاتون بالقدس ودُفِنت بالتربة المجاورة لسور المسجد الأقصى الشريف .وعلى مدخل المدرسة نقشٌ يفيد بأنّ بناء المدرسة كان سنة٨٤٠هـ/١٤٣٧م والمدرسة اليوم هي دار للسكن وتُعرَف بدار الفتياني حيث يسكنها جماعة من آل الفتياني. (المرجع السابق) وفي عهد الملك الأشرف برسباي تمّ وضع مصحفٍ كبير تجاه محراب المسجد الأقصى، ووقف على هذا المصحف مالاً لمنْ يقوم بالقراءة فيه. ومالاً لخادمٍ يسهر على سلامته من التلف. كما اشترى الأمير أركاس الجلباني نائب السلطان بالقدس ضياعًا للوقف على مصالح المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، وقد نُقِش بذلك على رخامة ألصقت بحائط الصخرة. كما تمّ تجديد سبيل علاء الدين البصيري والكائن غربي الحرم سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م. (المرجع السابق)	 المدرسة العثمانية

جدول ٣-٥ يوضح أهم أعمال الملك الظاهر سيف الدين برقوق

مصدر صور الجدول:"www.ar.wikipedia.org "

أهم التعميرات التي تمت في عهد الملك الظاهر سيف الدين برقوق وهو (مملوكي برجي)	
١- خان السلطان: وهو أشهر خانات القدس على الإطلاق، وقد عُرِف أيضًا بدار الوكالة ويقع الخان قرب طريق باب السلسلة، ويتوصّل إليه من زقاقٍ قصير يمتدّ من طريق باب السلسلة إلى جهة الشمال، وهو قريب من سوق الخواجات (أي التجار) الذي يقع غربي الخان. والخان عبارة عن مبنى مؤلف من طابقيْن وله ساحة كبيرة نسبيًا وهي محاطة بالحواصل والدكاكين والعنابر، وهذه كلها تقع في الطابق الأول. أمّا في الطابق الأرضي للخان، فيوجَد قاعات كبيرة تقوم على دعامات مربعة، وكان هذا الطابق يُستَعمل لتخزين البضائع ولإجراء المعاملات التجارية إلا أنّ مبنى هذا الخان حاليًا في وضعٍ مهمَل بعد أنْ كان فخمًا في قديم الزمان. وفي الجهة الغربية من الزقاق المؤدّي إلى هذا الخان، توجَد لوحة من الرخام مكتوبٌ عليها بالخط النسخي المملوكي: "بسم الله الرحمن الرحيم، جدّد هذه القيسارية المباركة وقف حرم القدس الشريف مولانا السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق خلد الله ملكه. بنيابة مولانا ملك الأمراء كافل المماليك بالشام عز الله أنصاره أنشأه الفقير إلى الله تعالى السيفي أصبغا بن بلاط ناظر الحرمين الشريفين في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة."(العارف ، ١٩٥١)	 خان السلطان
٢- بركة السلطان: وهي تقع مقابل جبل صهيون إلى جهة الغرب، وتُعتَبر أكبر برك القدس مساحة إذ يبلغ طولها ١٧٠ مترًا وعرضها ٨٠ مترًا ومساحتها حوالي ١٤ ألف متر مربع، من خلال الدراسات التي نشرت عن المواقع والآثارات المقدسية تدلّ على أنّ البركة قديمة جدًا وأنها كانت موجودة منذ أنْ دمّر تيطس الروماني المدينة سنة ٧٠م، وقد جرى تعميرها عدة مرات إحداها كان في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، أيْ في عهد الملك الظاهر برقوق.(المرجع السابق)	 بركة السلطان

٣- دكة المؤذنين: في عهده أيضًا تمّ تجديد دكة المؤذنين الكائنة داخل قبة الصخرة تجاه المحراب ويظهر أنّ هذه الدكة قديمة البناء وقد نُقِش عليها: "بسم الله الرحمن الرحيم جدّدت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان الظاهر ابن سعيد برقوق.. تاريخ مستهلّ شوال ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م. (العارف ، 1951)	 دكة المؤذنين
٤- مسطبة الظاهر: وهي الكائنة أمام باب الغوانمة وتم تعميرها سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م وبوفاة الملك الظاهر برقوق تسلطن ولده الملك الناصر فرج. (المرجع السابق)	 مسطبة الظاهر

٣-٤ خصائص العمارة المملوكية المقدسية

أصبحت المدينة وحدة حيوية تنمو وتتطور مع مراعاة الظروف السياسية، والعسكرية، والتقاليد الدينية، والأسس المعمارية والبيئية، ومراعاة الإرث التكنولوجي من أسلوب العمل والتنفيذ واختيار المواد وطرق معالجتها، والرجوع الى الماضي واختيار المناسب منه. وكانت المدن إنسانية التكوين، عسكرية التركيب، إسلامية الطابع.

كما ظهر التنوع والإتقان والأناقة في شتى العناصر المعمارية من واجهات ومنارات وقباب، واشتهرت لديهم الجصية والرخامية وخاصة الحجر الأبلق باللونين الأبيض والوردي. مثال على ذلك بناية الأشرفية والتي تشبه إلى حد ما مسجد فرج بن برقوق- في القاهرة والتي بنيت عام ١٤٠٩م أما الأشرفية فيعود تاريخها إلى ١٤٨٢ م.

مع أن الخطوط الأفقية والعناصر العمودية والأشكال المستطيلة هي المسيطرة على الواجهات إلا أن الدائرة والأقواس الدائرية (نصف دائرة أو ثلاثة أرباع الدائرة) هي التي تعطي الواجهة خفة ورشاقة. الفتحات متعددة الأشكال فمنها الفتحات الكبيرة والصغيرة والدائرية والمربعة وذات القوس الواحد أو ثلاثية الأقواس كلها مجتمعة معاً تتوحد في تناغم رغم ما بينها من تباين، ويظهر ذلك في مقطع الأشرفية يتضح أن الشبكة الدائرية هي الشبكة التحتية التي اعتمدها المصمم في إيجاد

المقاسات والنسب، إما الدائرة الحرة والمستقلة فتظهر أحيانا في شبابيك دائرية مكتملة كما في دار الست طنشق ١٣٨٨ م وتدعى "شمسه".(برجويني،١٩٨٧)

إن الأبواب عادة عالية ومرتفعة ومفتوحة بقوس ثلاثي أو مزينة بالمقرنصات كما في باب القطانين (شكل رقم ٨)، أما الشبابيك فهي غالباً ما تكون شباكين بقوسين فتسمى " روحين في جسد" أو شباكين بقوسين فوقهما فتحة دائرية فتدعى "شنك قمريات" أو ثلاثة شبابيك متجاورة فوقها فتحتين دائرتين فوقهما فتحة ثالثة دائرية وتدعى "دست قمريات" أو تدعى "شباك قندلون". كان يفضل أن لا يكون المدخل في وسط الواجهة بل في ركن منها.وكان المهندس يحرص على ابراز الواجهة وما فيها من تجاويف وحنايا عمودية طويلة تفتح فيها نوافذ وقد تنتهي في أعلاها بزخارف معمارية من المقرنصات ،كما تتجلى في أشرطة من الزخارف والكتابات وفي شرافات مسننة تتوج بها الواجهة. (القدسي ،١٩٩٧م)

٣-٥ العوامل المؤثرة في عمارة مدينة القدس في الفترة المملوكية

بدا ظهور المماليك على ساحة الحياة السياسية منذ العصر العباسى حين اتى بهم الخليفة المعتصم لصد الخطر الفارسى الذى زاد فى عهد الخليفة المامون ومنذئذ كثر شراؤهم فى العصور اللاحقة، وكان المماليك ذوى جنسيات متعددة سواء كانت آسيوية : من الترك والجركس والتتار والصينيين أو أوربية من الروم واليونانين والأسبان ومن هنا أتى المماليك الى مصر حيث أتى المماليك إلى مصر وهم صغار السن ليربوا تربية إسلامية ويعدوا ليصبحوا أداة الحكام (سليمان ، ٢٠٠٠)

٣-٥-١ الجانب السياسى

واجه المماليك فى مصر الأحداث الخطيرة التى منيت بها البلاد والتى تمثلت فى مواجهة الغزو المغولى والقضاء على حكم الصليبيين بالشام فى عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون حيث سقطت عكا والتى تعد آخر معاقل الصليبيين فى عهده عام ١٢٩١م

ويعد الظاهر بيبرس المؤسس الفعلى لدولة المماليك فى مصر لما قام به من أعمال كبيرة على الصعيدين الخارجى والداخلى للبلاد، فمن أهم أعماله الخارجية نجاحه فى إحياء الخلافة العباسية بمصر لتثبيت حكم المماليك فيها وإيجاد شرعية لهم لمواجهة الأيوبيين ومؤيديهم.

أما الأعمال الداخلية : والتى قام بها من الناحية الدفاعية على سبيل المثال تنظيم الجيش وتجديد بناء الأسطول المصرى وإصلاح حصون الإسكندرية والاهتمام بحراسة مدخل النيل عند دمياط ورشيد الى غير ذلك من الأعمال والقضاء على الثورات الداخلية.(سليمان ، ٢٠٠٠)

١- السياسة الخارجية:

يعد عصر سلاطين المماليك من أزهى عصور التاريخ المصرى الوسيط فى السياسة الخارجية إذ اتسمت العلاقات الدوليه لمصر مع الدول الأخرى بالقوة إلى جانب الود والهيبة وذلك لما احتلته مصر من قاعدة للخلافة العباسية بالنسبة للدول الإسلامية ولذا اتجه لها حكام الدول العربية طالبين تأييدها ومساعدتها ضد أعدائهم أما الدول غير الإسلامية وخاصة المسيحية فقد اتخذت مصر مركز المقاومة الإسلامية والمتحكمة فى طرق التجارة بين الشرق والمغرب .

ومن البلاد ذات العلاقات الطيبة مع مصر عدا الدول العربية الدولة البيزنطية والدلائل التى تشير على هذا رسالة السلطان المنصور قلاوون والتى تفيد الامبراطور ميخائيل الثامن بتوليه السلطنة وحرصه فى الإبقاء على صداقة الإمبراطور هذا إلى وجود العلاقات الجيدة مع المغول والتى قويت عندما تزوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون من ابنة جانكيز خان.(سليمان ، ٢٠٠٠)

٢- السياسة الداخلية

اتبع المماليك نفس سياسة الأيوبيين فى ادارة البلاد فنظم الحكم واحدة فى الدولتين بخلاف بعض النظم الجديدة ، اذ كانت حكومة المماليك مدينة عسكرية بخلاف حكومة الأيوبيين العسكرية فقط والتى اقتبسوها عن المغول بحكم اتصالهم وتأثرهم بهم(سليمان،٢٠٠٠).

وقد استأثر المماليك بالحكم والشئون الدفاعية عن البلاد ولم يسمحوا للشعب بالاشتراك فيها الا فى حدود ضيقة.

وكان لدى المماليك اعتقاد بأحقيتهم فى الحكم والسلطنة وذلك بحكم رؤيتهم انه لا يميز مملوك عن اخر إلا بشجاعته ومهارته القتالية وخاصة انهم مختلفى الاصول والنشأة ومتساوى التربية وقد ادى هذا الامرٍ الى عدم نجاح نظام الوراثة الشرعية فى الحكم بينهم مما جعل هذا العصر يتسم بعدم الاستقرار نتيجة الفتن والثورات

خلفت دولة المماليك الجراكسة دولة المماليك البحرية عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م التى زالت نتيجة عدة عوامل أهمها ضعفها إثر إنتشار وباء الطاعون فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى(سليمان ، ٢٠٠٠).

٣-٥-٢ الجانب الدينى

اتسم النشاط الدينى فى العصر المملوكى بتدعيم المذهب السني ومحاربة بقايا التشيع إذ يذكر سعيد عاشور أنه برغم الجهود التى بذلت من قبل الأيوبيين فى مصر للقضاء على المذهب

الشيعى ، فقد بقى الكثير من آثاره فى عصر دولة المماليك . ولذا قام سلاطين المماليك باتباع سياسة واضحة تم من خلالها القضاء على المذهب الشيعى وآثاره المتبقية. ومن تلك ماقام به السلطان بيبرس عام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م من تحريم اى مذهب عدا المذاهب السنية الأربعة، بحيث لا تقبل شهادة أحد ولا يرشح لوظائف القضاء أو التدريس إلا من كان يتبع تلك المذاهب.

بالإضافة لأتباع سنة الأيوبيين فى إنشاء العديد من المدارس حيث تعد مراكز لتدريس الحديث وفقه أهل السنة ، والتى وصف القلقشندى كثرة إنشائها فى الحارات بقوله من أنه بنى بمصر من المدارس " ما ملأ الاخطاط وشحنها"

ومن اهم مظاهر النشاط الدينى فى هذا العصر انتشار التصوف(وهو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنئ) واتساع نطاقه إلى درجة كبيرة بين طبقات الشعب المختلفة، وإذا كان له كبير الأثر على النواحى الفكرية فى ذلك الوقت.

٣-٥-٣ الجانب الاجتماعى

إن الباحث في الأوضاع الاجتماعية للمماليك لا يمكن أن يتجاوز مسألة مهمة، وهي أن المماليك تم شراؤهم من أسواق النخاسة ،فهم رقيق وعبيد لأسياده وسلاطينهم ، لكنهم استطاعوا تغيير أوضاعهم ،كل حسب كفاءته وقدراته، ولما سنحت الفرصة لهم أصبحوا أسياد البلاد، وتحكموا في رقاب العباد ،فمنهم من أصبح سلطانًا لمصر والشام من بداية العهد المملوكي وحتى نهايته، ومنهم من تبوأ مكانة رفيعة داخل الجيش، ومنهم من كان من الأثرياء ،وقد كان يظهر ثراء بعض المماليك حينما يتوفى الواحد منهم ، حيث إن بعضهم لم يتزوج ولم ينجب ولم يكن له وريث لثروته، فيتم الاستيلاء عليها من قبل الدولة ويتم بيع أملاكه فيشتريه من يري ، ومن ذلك أن أحد المصريين اشترى بيتاً للمملوك المتوفى واستولى على ما كان به من ذهب ومال و به اشترى ضياعا وأملاكا كثيرة وكان ذلك المصري قد عرف سر هذا الذهب أثناء مهمة له داخل البيت قبل وفاة هذا المملوك.(سليمان،٢٠٠٠)

اتسم المجتمع المصرى فى العصر المملوكى بالطبقية فتضمن عدة طبقات اجتماعية مختلفة الصفات والخصائص وهى كما يذكرها سعيد عبد الفتاح عاشور : طبقة المماليك ، طبقة العلماء(المعممين)، التجار ، طوائف السكان والعامة وأصحاب المهن ، أهل الذمة ، الفلاحون، الأقليات الأجنبية.(سليمان ، ٢٠٠٠)

أما الطبقة الثانية فهي رجال القلم من موظفي الدولة والدواوين والقضاة ورجال التعليم،

فيما يلى بعض الطبقاتٍ بشئ من التفصيل لأهميتها فى نقطة البحث

رجال السيف أو الطبقة الحربية الأرستقراطية بعناصرها المختلفة

طبقة الحكام من المماليك: وتتضمن السلاطين والأمراء والجنود ، التى عاشت بمعزل عن باقى طبقات الشعب لعدم وجود أى روابط بينهم كالنسب والدم مما نتج عنه فجوة كبيرة بين هؤلاء الحكام والشعب الامر الذى ادى الى عدم اهتمام الشعب باى من الاحداث الكبيرة الخاصة بمجتمعهم تلك الطبقة هى صاحبة معظم المبانى محل الدراسة وقد نالت تلك الطبقة احترام السلاطين وقد عملت على تدعيم وتثبيت حكم المماليك إلى جانب عيشها فى سعة.(سليمان ، ٢٠٠٠)

وعلى سبيل المثال فإن بيبرس المنصوري وهو صاحب عدة مؤلفات منها التاريخ الذي وضعه في أحد عشر مجلدًا وكتابه مختار الأخبار، وكتابه الآخر التحفة الملوكية، وبعض الكتب الأخرى في تفسير القرآن الكريم يعطينا مثالا عن مدى ما وصل إليه المماليك من رفعة الشأن وعلو المكانة، وعظيم الهيبة، وهذا التطور لعنصر المماليك لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة للتربية التي ت لقاها المماليك منذ صغرهم، من تعلم الفقه والقرآن والحديث والفنون الحربية والعسكرية ، إضافة إلى أن السلطة الحاكمة هي من المماليك أنفسهم، مما يجعل حظ المملوك وافرًا بالترقي اجتماعيًا وعسكريا واقتصاديًا، ولم تكن تلك الصورة هي الوحيدة في المماليك من أنهم ذوي علم وأخلاق، وإنما ظهر من المماليك من كان للفساد لاهثًا، ومن ذلك أن السلاطين أنفسهم اختلفوا في تعاملهم مع قضايا الفساد، فمنهم من غض الطر ف وتبعه عدة من المماليك في الفساد، ومنهم من كان سيفًا مسلطًا على المفسدين كالظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشر ف خليل والناصر محمد الذي أمر ذات مرة بضرب جندي مملوكي لأنه كان سكرانًا (سليمان،٢٠٠٠). ولا يمكن تجاهل تنافس أمراء المماليك وتنازعهم على السلطة اغتيالهم لبعضهم البعض، بل وصل الأمر بين أمراء المماليك أن يقول احدهم لجماعاته :"من جاءني برأس فلان من منافسيه فله إقطاعه" وحتى بيبرس نفسه والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك ،على حد تعبير أحد الباحثين المحدثي ن له صفحتان الأولى قبل توليه الحكم وكلها غدر وقتل ومؤامرات وبطش ، والثانية بعد توليه السلطنة وكلها إصلاح وبطولة ونبل وعظمة (ابو شلوف ،٢٠٠٩)

والطبقة الثالثة هي أرباب الحرف المختلفة

طبقة العوام وأصحاب المهن: شملت تلك الطبقة الباعة والسقائين والحرفيين وغيرهم عاشت تلك الطبقة في ضيق مقارنة بحياة المماليك وغيرهم من الطبقات الميسرة وخضعت طبقة العمال وأصحاب المهن لنظام الحسبة هو نظام من المراقبة اتبع فى ذلك الوقت(سليمان،٢٠٠٠) وسيوضح هذا النظام ليمكن من خلاله تكوين رؤية واضحة عن وضع الاسواق فى تلك الفترة ونظم عملها

ويخص بالذكر هنا طبقة الحرفيين والقائمين على عملية البناء والتى تنقسم فى داخلها الى العديد من المهن وكل منها الى عدة منازل التى خضعت لاشراف المحتسب ومراقبته ومن اعمال المحتسب خلاف المراقبة والتى تخص مجال العمارة القيام بتنفيذ لوائح المبانى على سبيل المثال

- منع بروز المحلات(الحوانيت) حتى لا تعوق نظام المرور
- إلزام أصحاب المنازل الآيله للسقوط بهدمها وإزالة أنقاضها لما قد يقع من ضرر على المارة.
- الإشراف على الأسواق والشوارع والطرقات من حيث ملاءمتها وارتفاعها واتساعها للمارة.
- فصل الخلاف بين المقاولين وعملائهم (سليمان،٢٠٠٠)وكان للمحتسب نظرا لاتساع واجباته الاقتصادية والاجتماعية وغيرها الحق فى ان يتخذ مساعدين له ذوى خبرة فى الصناعة يقومون بالاشراف على الاعمال فى الاسواق(سليمان،٢٠٠٠).

امتازت الحياة الاجتماعية فى العصر المملوكى بكثرة الاعياد والحفلات الدينية والقومية بالإضافة الى كثرة الأنشطة التى تمتلئ بها المدن الكبرى فأنشئت المؤسسات والمبانى لخدمة الأنشطة المختلفة من اجتماعية ودينية وتعليميه وغيرها كالوكالات والخانوقات والمساجد والمدارس وغيرها.

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية تأثيرا سلبيا بانتشار حركة التصوف لما حملته من الزهد والرغبة عن الدنيا فانتشرت روح الاستكانة والتذلل بين العامة فضلا عن انتشار بعض الامراض الاجتماعية كالاعتقاد فى قدرة المشايخ والأولياء وتقديس سكان الأضرحة والتعاويذ (سليمان،٢٠٠٠)

٣-٥-٤ الجانب الفكرى

ازدهرت الحياة فى العصر المملوكي بالعلم والبحث لانتقال مراكز الاهتمام بالعلم اليها ولكثرة وجود العلماء فيها وذلك لما حاق ببغداد على أيد المغول وتدميرهم للمخطوطات والكتب الموجودة بها بالإضافة لتعرض قرطبة فى الأندلس لحركة الاسترداد المسيحية وما لحق بلاد الشام من الضرر على ايدى الصليبين والمغول (سليمان،٢٠٠٠)

وهنا يذكر احقاقا للحق فضل المماليك فى عملهم على الإبقاء على بقاء اللغة العربية والحفاظ عليها فى ظل تلك المحن ومن آراء بعض مؤرخى الادب فى هذا الشأن على سبيل المثال ان الفضل فى بقاء اللغة العربية بعد كسر جناحى الإسلام فى المشرق والمغرب انما كان للذكر الحكيم والأزهر الشريف ولسلاطين المماليك(سليمان،٢٠٠٠)

ومن مظاهر اهتمام المماليك بالعلم واللغة العربية بالرغم من عدم مشاركتهم الفعلية فى الحركة العلمية كما فعل من سبقهم لاختلاف لغتهم وبحكم نشأتهم أن أنشاوا عدداً كبيراً من المدارس ، كما تقربوا من العلماء وحضروا مجالسهم العلمية وأسندوا إليهم الاعمال المختلفة كالترجمة (سليمان،٢٠٠٠)

وتميزت حركة الثقافة فى العصر المملوكى بظهور طبقة ثقافية من بين الطبقة الوسطى التى لا تقتصر على العلماء فقط وقد اثرت فى تشكيل تلك الطبقة العوامل الدينية والاقتصادية والأدبية معا.(سليمان،٢٠٠٠)

وجود الفوارق الكبيرة فى مستوى التعليم بين افرادها مثل الذين تعلموا القراءة والكتابة لتسهيل اعمالهم اليومية او الذين تعلموا بالقدر الكافى لاستيعاب العلوم المعرفية من خلال معاهد التعليم ولكنهم لم يصلوا لمنزلة العلاء لاسباب اقتصادية واجتماعية معينة(سليمان،٢٠٠٠)

الحصول على المعرفة والثقافة من مصادر اخرى غير المدارس كالمقاهى والمجالس الثقافية التى زادت اعدادها فى ذلك الوقت وقد امتازت الحياة الفكرية فى العصر المملوكى بعاملين هامين هما حركة التصوف الفكرى و تاليف الموسوعات.(سليمان ، ٢٠٠٠)

٣-٥ خلاصة الفصل الثالث

حيث إن هذه الدراسة تختص بدراسة أثر السلطة والسياسة على العمارة إبان العصر المملوكي في مدينة القدس، فقد تم التعرض في هذا الفصل لدراسة الحكم المملوكي في مدينة القدس، حيث تمت دراسة مكانة القدس لدى المماليك والسلطة والسياسة للماليك في المدينة آنذاك، كما تطرق إلى دراسة تاريخ المماليك البحرية في مدينة القدس، ثم تاريخ المماليك البرجية التي حكمت المدينة، لمعرفة أهم أثار المماليك تم دراسة كلا الحقبتين والذين حكموا المدينة ومن ثم تم استعراض أهم أعمالهم بشكل موجز، وذلك لأنها أحد أهم آثار السلطة والسياسة المادية على المدينة، إضافة إلى التعرف على الخصائص المعمارية المقدسية وأهم العوامل المؤثرة في زمن المماليك وذلك تمهيداً لمعرفة أهم العناصر المعمارية المملوكية في القدس

وحيث إن السلطة والسياسة هي أحد المحاور الأساسية للدراسة فسيتم التعرض لدراسة السلطة والسياسة بشكل مسهب للوصول إلى أهم العناصر التي سيتم اعتمادها في الدراسة.

الفصل الرابع

العلاقة المتبادلة بين السلطة والسياسة والعمارة

(من صفحة ٨٧ إلى صفحة ١١١)

٤-١ تعريف السلطة

٤-٢ تعريف السياسة

٤-٣ تعريف السلطة السياسية

٤-٤ السلطة والمدينة

٤-٥ ماهية السلطة والمدينة في العمارة الإسلامية

٤-٦ العمران والعمارة بين السياسة والسلطة

٤-٧ الدور السياسي للعمارة وعلاقتهما معاً

٤-٨ خلاصة الفصل الرابع

تمهيد

يتناول هذا الفصل العلاقة ما بين السلطة والسياسة والعمارة، وعرف السلطة السياسي وحيث إن العمارة هي المحرك الأساسي للموضوع فسوف يتم دراسة تعريف العمارة ثم ربطها بالفلسفة المتبعة لعمارة المدن وأخيراً سيتم التعرض لدراستين تحليليتين للعلاقة ما بين العمارة من جهة والسلطة السياسية من جهة أخرى وذلك للوصول لنتيجة موحدة تجمع أهم مبادئ العلاقة ما بين السلطة والسياسة والعمارة والتي سيتم اعتمادها في هذه الدراسة.

٤-١ تعريف السلطة

إن ميراث مفهوم السلطة يحتوي على رصيد تراكمي ضخم وثري تشكّل منذ غابر العصور إلى اليوم تنظيرا وممارسة. ولذلك تضيق "السلطة" بتعريف محدّد وتتّسع لمفاهيم واسعة تشمل مفاهيم دينية وسياسية، روحية ومادية. كما وتشمل دلالات متعدّدة ومتشعّبة ومعقّدة وذلك تبعا لمجال البحث فيها وعن أسبابها وأغراضها، فعلى سبيل المثال علاقة الإنسان بنفسه خاضعة لسلطة، هي سلطة الضمير -وفقا لمعيار ثقافي أخلاقي-والغرائز وفقا لمعيار حيواني بدائي...والرابطة العائلية بين أفراد أسرة متماسكة هي محكومة بسلطة عائلية وهكذا تتدرج السلطة حتى تصل إلى مفاهيم تعني شعبا أو أمة وهي ما تسمى بسلطة الدولة والتي تتوافق مع مصطلحات كل من القانون(سلطة القانون والمؤسسات)، والشعب(سلطة الشعب ووسيلتها الديمقراطية)، والدين (سلطة الدين أو المرجعية الدينية) وبذلك قد تكون هذه السلطة سلطة شمولية أو لاهوتية أو دستورية إلا أنها وفي نفس الوقت مركزية وفدرالية. (www.annabaa.org)

وبشكل عام لا يمكن أن يُتصور أي تجمع إنساني دون أن تكون به سلطة بأي شكل من الأشكال، فمثلا وُجد في المجتمع اليوناني القديم إشارات واضحة من خلال أفكار أرسطو في موضوع الدولة حيث أشار إلى إن شرعية الدولة تقوم على السلطة، وشرعية السلطة هي قيامها لمصلحة التابعين، كما أنه يرى أن سلطة السيد على العبد هي لمصلحة العبد ، أما بالنسبة لسلطة الوالد على الأسرة فإن غايتها تكون مصلحة الخاضعين لها، واعتبرها مصلحة مشتركة. (www.ar.wikipedia.org)

- **تعريف السلطة لغوياً:**

السلطة لغة مشتقّة من القهر وتفيد التسلّط والتحكم "سلط السلاطة القهر ،وقد سلّطه الله فتسلّط عليهم، والاسم سلطة، أما السلطان فهو الحجة والبرهان، ولذلك قيل للأمراء؛ سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق." (ابن منظور، ١٩٩٢).

- **تعريف السلطة اصطلاحا:**

معنى كلمة السلطة عند بعض المفكرين للوصول للتعريف الأمثل والذي سيتم الاعتماد عليه في هذه الدراسة. بداية فقد عرفها المفكر **(أحمد زكي بدوي) على أنها** القوة الطبيعية أو الحق الشرعي في التصرف وإصدار الأوامر في مجتمع معين، ويرتبط هذا الشكل من القوة بمركز اجتماعي، يقبله أعضاء المجتمع بوصفه شرعياً ومن ثم يخضعون لتوجيهاته وأوامره وقراراته، إلا أنه يشير إلى أن التركيز المفرط للسلطة أو عدم وجود رقابة شديدة على ممارستها، يؤدي إلى إساءة استعمالها، ويطلق على من يتصف بهذا الاتجاه أنه استبدادي، أي أنه لا يستمد سلطته من إرادة الشعب، بل يفرضها على الناس بالقوة. كما عرفها بأنها القدرة أو القوة التي تمكن من السيطرة على الناس ومن الضغط عليهم ورقابتهم، للحصول على طاعتهم والتدخل في حريتهم وتوجيه جهودهم إلى نواح معينة. وفي مقارنة منه لأفكار " ماكس فيبر " ، فإنه يشير إلى أن السلطة هذه تُستمد من شخصية الحائز عليها أو من التقاليد، أو كنتيجة لاحتكار الثروة، أو من القوة العسكرية.

وللتفريق بين المصطلحين فإن المصطلح الأول وهو السلطة ليس له أي معنى سياسي إلا إذا أضيفت له كلمة سياسية، أما المصطلح الثاني القوة فهو يعني السلطة المجردة ويعني كذلك السلطة السياسية بمعنى آخر سلطة الدولة.(www.almustakbal.societyforum.net)

إلا أن التشابه الواضح بين التعريفين هو اعتبار السلطة ظاهرة كمية والمراد منها الأدوات والوسائل المتوفرة لدى الفرد أو المؤسسة السياسية أو الدولة.

أما جان وليام لابيار فقد عرف السلطة قائلاً: " السلطة هي الوظيفة الاجتماعيّة التي تقوم على سنّ القوانين، وحفظها، وتطبيقها، ومعاقبة من يخالفها، وهي التي تعمل على تغييرها وتطويرها كلّما دعت الحاجة، إنّها الوظيفة التي لا غنى عنها لوجود الجماعة ذاتها، لاستمرارها، ولمتابعة نشاطها.

أما د. محمد بالروين فقد عرف السلطة: أصبحت السلطة من أهم المفاهيم السياسية وأكثرها شيوعا وتداولا في العالم، وهي قوّة حيث لا يوجد سلطة بلا أسباب القوة و"من عانى السلطة، أية

سلطة، يسمع في نهاية المطاف كلمة دولة التي تتجمّع فيها ينابيع جميع السلطات." (العروي، ٢٠٠٧)، وهي تعتمد بالدرجة الأولى على الفرضيات الأساسية التي ينطلق منها الباحث في فهم هذا المصطلح والتي يمكن تفصيلها فيما يلي:

(١) هي محاولة فهم السلطة علي أنها "مقدرة." بمعني عندما يقول شخص ما أن هناك سلطة في دولة ما هذا يعني إن حُكام هذه الدولة لهم الاستطاعة علي اتخاذ القرارات وتنفيذ السياسات التي أقرها الشعب.

(٢) هي محاولة فهم السلطة علي أنها "علاقة." بمعني عندما يقول شخص ما إن هناك سلطة في دولة ما هذا يعني بالدرجة الأولي وجود علاقة معينة بين الحاكم والمحكوم قائمة علي أساس اختيار الحاكم والقبول بما يقوم به.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد تعريف واحد مُحدد ومُتفق عليه لمعني مفهوم السلطة إلا أنه يمكن حصر معناها في مجموع الصلاحيات التي يُخولها الشعب للمسئولين في الدولة، واختيار الشعب للأداة السياسية التي تحدد نوع وطبيعة هذه الصلاحيات. وشمول هذه الصلاحيات علي حق المسئولين في إتخاذ القرارات وإصدار الأوامر المُلزمة للجميع.

أما والتر بكلي فقد عرف السلطة بأنها: التوجيه أو الرقابة على سلوك الآخرين لتحقيق غايات جمعية معتمدة على نوع ما من أنواع الاتفاق والتفاهم، وهكذا تتضمن السلطة الامتثال الطوعي الذي هو حالة سيكولوجية تعبر عن تنسيق أو تطابق في التوجه نحو الهدف لدى كل من الطرفين سواء الممارس للسلطة أو الممتثل لها، أي أن الرغبة في الوصول إلى الغايات والأهداف المجتمعية تجعل هناك نوع من التوافق في الوصول إلى المصلحة العامة العليا. ." (العروي، ١٩٨٠)

أما بيرود فيعرّف السلطة: بأنها قوة في خدمة فكرة، بحيث يولدها الوعي الاجتماعي وتتجه تلك القوة نحو قيادة الجموع للبحث عن الصالح العام المشترك، وتكون قادرة على أن تفرض على أعضاء الجماعة ما تأمر به ، ويرى أن السلطة ليست قوة خارجية توضع في خدمة الفكرة، ولكنها قوة ذات الفكرة نفسها. وهنا تكون السلطة مرادفة لمفهوم القوة، إلا أنها ليست القوة القهرية ، بل القوة المقبولة اجتماعياً لأن استخدامها يأتي في إطار البحث عن المصلحة العامة التي تهم كل أفراد المجتمع. .(المصدر السابق)

أما المفكر الفرنسي ريمون آرون فقد عرف السلطة: أنها هي المقدرة على الفعل أو التدبير.

أما برتراند راسل فقد اعتبر السلطة: بأنها عبارة عن إيجاد التأثيرات المنشودة ، إذاً فهي مفهوم كمي تتعلق بالقوة والمقدرة.

أما ماكس فيبر فيعرف السلطة بأنها: الفرصة المتاحة أمام الفرد أو الجماعة لتنفيذ مطاليبهم في مجتمع ما في مواجهة من يقفون حائلاً أمام تحقيقها. و يفهم من هذا التعريف أن السلطة هي العلاقة التي يسعى من خلالها كل فرد أو مؤسسة إلى تسخير الأفراد والمؤسسات الأخرى للعمل طبقاً لإرادتهم. .(المصدر السابق)

ولا يمكن إغفال المعنى الفلسفي للسلطة حيث عرفت الموسوعة النفسية بأن السلطة هي "مفهوم يشير إلى النفوذ المعترف به كليّاً لفرد أو نسق من وجهات النظر أو لتنظيم مستمدّ من خصائص معيّنة أو خدمات معيّنة معمولة، وقد تكون السلطة سياسيّة أو أخلاقيّة أو علميّة." وينضوي تحت هذا المفهوم عدة أنواع من السلطات وعلى سبيل المثال لا الحصر : ٠٠٠٠(المصدر السابق)

١. السلطة النفسيّة : وهي ما يطلق عليها اسم السلطان الشخصي ، والتي تتمثّل في قدرة الإنسان على فرض إرادته على الآخرين ، نظراً لقوّة شخصيته وشجاعته ، وقدراته العقليّة المتفوّقة.
٢. السلطة الشرعيّة : وهي السلطة المُعترف بها في القانون ، كسلطة الحاكم والوالد والقائد.
٣. السلطة الدينيّة : وهي مستمَدّة من الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه، ومن سنن الرسل وقرارات المجامع الدينيّة المقدّسة، واجتهادات الأئمة.
٤. سلطة الأجهزة الاجتماعيّة التي تمارس السلطة ، كالسلطة السياسيّة، والتربويّة، والسلطة القضائيّة وغيرها.(المصدر السابق)

وأخيراً فإن الدراسة ستعتمد على مفهوم مصطلح السلطة والذي يعتبر قديم بقدم التاريخ بأنه كان يهتم ويعتني بمدى القوة والمقدرة على قيادة الناس بشكل يسمح لها بممارسة جميع حقوقهم دون أن يتعدى أحدهم على الآخر وبدون أن يتعدوا على حقوق القائد وسلطته. وتكون هذه القدرة أو القوى بشكل متفق عليه من جميع الأطراف سواء كان القادة أو التابعين، حيث تتنوع طريقة الاتفاق على تحديد القائد والتابع وذلك ليكون هناك ضمان لظروف الولاء والطاعة من التابعين للقادة وفي نفس الوقت ضمان تأمين المتطلبات الخاصة بالتابعين والمقدمة من القائد،

ويدخل تحت هذا المصطلح جميع أنواع السلطات سواء كانت فردية أو جماعية محلية أو دولية سياسية أو اجتماعية نفسية أو مادية.

٤-٢ تعريف السياسة

- **تعريف السياسة لغوياً :**

مصدرها ساس يسوس سياسة، فيقال: ساس الدابة أو الفرس: إذا قام على أمرها من العَلَف والسقي والترويض والتنظيف وغير ذلك.ولذا قال شارح القاموس: ومن المجاز: سُسْتُ الرعية سياسة: أمرتهم ونهيتهم. وساس الأمر سياسة: قام به. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه. (العثماني،٢٠٠٨).

- **تعريف السياسة اصطلاحاً:**

اجتمع كثير من المفكرين على تعريفها بأنها تتعلق بالحكم والإدارة في المجتمع المدني. حيث عرفها **معجم العلوم الاجتماعية بأنها:** أفعال البشر التي تتَّصل بنشوب الصراع أو حسمه حول الصالح العام، والذي يتضمن دائما: استخدام القوة، أو النضال في سبيلها.

أما المعجم القانوني فقد عرفها أنها: (أصول أو فن إدارة الشؤون العامة). (العثماني،٢٠٠٨).

أما أفلاطون فقد اعتبر الفضيلة هي المعرفة وأن المجتمع السياسي لا يقوم بدون فضيلة، والفضيلة لا يوفرها إلا أصحاب المعرفة وهم الفلاسفة والعلماء وان السلطة السياسية وإدارة الحكم لا تكون إلا لهؤلاء وبهذا المعنى يتجاهل الديمقراطية لاعتقاده بعدم صلاحيتها لحكم البلاد. (المصدر السابق)

أما أرسطو فقد عرف السياسة بشكل مختلف عن أفلاطون حيث اعتبر أن الدولة الدستورية هي مثله الأعلى واعتبر الضمان الوحيد للحكم الصالح هو القانون. .(المصدر السابق)

أما علماء الفقه الإسلامي فقد كان تعريف السياسة عندهم مختلف عما سبق حيث أنه تبني التمييز بين الدين والسياسة لا الفصل التام ولا الوصل إلى حد التماهي، وهذا الفكر هو الذي منع التنكر للإنجازات التي حققتها البشرية في مجال الفكر السياسي، ويمكن الاستفادة من تطوراته، ويفسح المجال في نفس الوقت ليكون الدين معينا للقيم الأخلاقية والفكرية، بحيث يتم استصحاب هذه القيم في الممارسة السياسية استصحابا يثريها بالمعاني الإنسانية السامية، كما يمكن أن يبقى الدين محفزا للإصلاح السياسي، ومعالجة الظواهر السلبية في الحياة الإنسانية. (العثماني،٢٠٠٨).

وبشكل عام فإن السياسة تتضمن كثير من المفردات حيث يقع ضمنها الأطفال ويمكن حشر الصبيان معهم، لان هذه المستويات العمرية داخلة في واحدة أو أكثر من تعريفات السياسة، فلكل مستوى عمري تفكيره وتدبيره وسياسته في إدارة الأمور والاختلافات، هذا إذا تم تعريف السياسة بأنها "فن الاقتدار" أو "فن الممكن" أو "قدرة إدارة الاختلافات"، وبشكل عام فإن السياسة من حيث "السياسة والفطرة" أمر تكويني، وهي: "نابعة من صميم الإنسان وفطرته منذ أن يولد، وتابعة في أساليبها للفكرة التي يتغذاها وللبيئة التي يعيشها". وإذا اختلف العلماء في "تعريف السياسة"، فإنهم لا يختلفون بان كل إنسان يمارسها بطريقته، وعلى مستوى الدولة فان تعريف السياسة اختص بمحوري النظام السياسي والسلطة السياسية، فالمحور الأول أي:"النظام السياسي هو القوانين الحكيمة التي تحكم البلاد" والمحور الثاني أي: "السلطة السياسية: هم المنفذون لهذه القوانين من أعضاء الدولة، ولا بد أن يكونوا حكماء أيضا".(الخزرجي،٢٠٠٧)

٤-٣ تعريف السلطة السياسية

نتيجة أهمية موضوع السلطة السياسية فقد تنوعت الأبحاث فيها ولدمجهما معا فسوف يتم التعرف على أهم آراء المفكرين في موضوع السلطة السياسية. بداية فقد قال **د. محمد بالروين** عن السلطة السياسية كمصطلح علمي بأنها تقوم على القوّة بمعناها الشامل، ولا يوجد معنى للسلطة بلا قوّة التي تُستمدّ من قبول المجتمع بها (طوعا أو خوفا) وخضوعه لسلطانها، ولمّا كانت القوّة-في حدّ ذاتها- محايدة، بمعنى أنها ليست خيرا خالصا ولا شرا خالصا، وأنها إذ تكون كذلك إنما هي تعكس الغرض من استعمالها، فإنّه بات لازما النظر إليها من خلال مستعملها، والمثل العربي المأثور يقول:"العبرة في الساعد لا في السيف ." ولذلك في سلطة الحكام أو السلطة السياسية، إن السلطة السياسية هي أحد العناصر المكونة للدولة وقد ساد عبر التاريخ وخاصة في العصور القديمة والوسطى، خلط بين السلطة والدولة نتيجة ترابط السلطة السياسية بشخصية الحاكم كما قال لويس الرابع عشر عبارته الشهيرة "أنا فرنسا" أي أنا الدولة. (الصالح،٢٠١١)

وكان مفهوم السلطة بهذا المعنى يشكل نظاماً من السيطرة والهيمنة المستمدة من القوة والعنف، وبقي هذا التصور هو السائد لحين ظهور الفلسفات المعاصرة والمفاهيم الليبرالية التي مهدت الطريق لبناء الديمقراطيات في العالم الحر، إذ أصبحت السلطة أحد مكونات الدولة وزوالها أو

تبديلها لا يؤثر على كيان الدولة. أي أصبحت الدولة وحدة قانونية مستقلة ومتميزة عن الأفراد المكونين لها.(الصالح،٢٠١١)

أما الفيلسوف الايطالي ميكيافيلي فقد اعتبر غاية السياسة هي المحافظة على قوة الدولة والعمل على ازديادها بجميع الوسائل حتى إذا كانت لا أخلاقية أو مناقضة للتعاليم الدينية . وبالرغم من ان نظرية ميكيافيلي بررت الدكتاتورية والاستبداد، والاستيلاء على السلطة بالقوة، إلا أنها افتتحت عصر الانبعاث الأوربي بفلسفة سياسية تؤكد الأهمية القصوى لفصل السياسة عن الأخلاق.

واتفق ابن خلدون في مقدمته الشهيرة مع ميكيافيلي ، فقد جعل للقوة الدور الأوحد في تأسيس السلطة السياسية للدول، وذلك عندما تحدث عن التغلب والتملك، وعلى الرغم من أنه من فقهاء الدين غير انه لم يجعل العقيدة الدينية المحور الأساس في تكوين السلطة السياسية بقدر ما جعلها للقومية والعصبية.

وقد كانت من أهم مظاهر هذه الأفكار السياسية ظهور السلطة المطلقة لملوك أوربا. وخير مثال على ذلك عندما تعاظمت سلطة الملك لويس الرابع عشر ومن بعده نابليون في فرنسا حيث فتحت الأبواب على مصراعيها أمام فلسفات ونظريات أدت إلى ظهور أنظمة سياسية جديدة أخرى، كالأنظمة الديمقراطية الليبرالية والاشتراكية الماركسية الشمولية والفاشية ابتداء من القرن السابع عشر وحتى الآن.(الصالح،٢٠١١).

أما بتروفسكسي و ياروشفسكي فقد عرفوا أن السلطة السياسية تعني السيطرة على الآخرين من قبل جماعة او فرد وهي مبنية على الاعتراف بكفاءة ذلك الفرد أو تلك الجماعة وسعة اطلاعهم وفضائلهم الأخلاقية، وهذا يختلف عن سابقيه في تعريف السلطة السياسية حيث إنه في الحالة الأولى تتطابق السلطة مع فكرة القوة أما الحالة الثانية فلا يستلزم بالضرورة فكرة القوة إذ يمكن منح السلطة لشخص يملك درجة عالية من المصداقية والثقة في عيون الآخرين رغم عدم تمتعه بأي مصدر شرعي للسلطة. (عبد الجواد ورضوان، ١٩٩٧).

أما المفكر (جيرتز) فقد أقر بأن السلطة السياسية تهدف إلى ضمان تفوّقها داخل المجتمع، ليس فقط باحتكار الاستخدام الشرعي للقوة بل أيضاً بنشر مجموعة أشكال رمزية تعبّر عن واقع أن النخبة الحاكمة هي من يدير المجتمع، ويتواجد النشاط الرمزي في أي نظام سياسي بلا استثناء،

وغالباً ما يعمل كاستعراض للسلطة القائمة ولكن أيضاً كمحاولة لمعارضتها باسم نظام معتقدات آخر. وهو يظهر بدرجات متفاوتة من التطوّر من خلال طقوس، ومراسم وشعائر، وبروتوكولات "وهي التي تحدّد المركز كمركز وتمنح هالة لما يجري".

وحيث إن السلطة في هذا السياق تعتبر هي سلطة (دولة) وليست سلطة (حاكم)، فالمؤكد إن السلطة في الحالة الأولى لا تستدعي فقط جهاز الأيدولوجيا وتوظيف عناصره بما يخدم توجهاتها ويحقق أهدافها فحسب، بل وتستنفر جميع ما تحت سلطانها من أجهزة ومؤسسات لتبرير سيطرتها واستمرار بقائها. لا بل إنه "بقدر ما تكون الأيدولوجيا ضرورة سلطوية فهي أيضاً ضرورة أساسية في المجال السياسي حتى تكاد الأيدولوجيا أن تكون ترادف السياسية ويكاد الصراع السياسي أن يختزل إلى صراع أيديولوجي". (سبيلا،١٩٩٢).

مصطلح " السلطة السياسية " في الفقه الإسلامي :

لم يتم التعرض للمصطلح بنفس اللفظ ولكن عرف مضمونه، والفقه الإسلامي أسبق إلى التشريع في مجال السلطة السياسية من الفقه الدستوري الوضعي، وحيث إن السلطة العامة العليا في حقيقتها هي السيطرة والتي تعني القدرة على الإلزام التي يتمتع بها صاحب الولاية العامة العليا وهو الإمام، فقد شرع الإسلام للإمام ومنحه القدرة على التشريع والتنفيذ على حد سواء، ففي مجال التشريع والقضاء، شرع للإمام المجتهد أن يتخير من الآراء الخلافية في شؤون التشريع، وما تبناه يلزم القضاة أن يتركوا اجتهادهم – إن كانوا مجتهدين – فيه إلى اجتهاده وفي التنفيذ بأن يتم تنفيذ الأحكام الشرعية التي يقرها الإمام، وقد قرر الفقهاء قاعدة تدخل في مجالها هذه الحالة ، نصها(حكم الحاكم يقطع النزاع).(القرافي وإدريس،١٩٩٨).

وينبثق من مفهوم السلطة السياسية عدة مفاهيم من أهمها **السلطة السياسية العليا** والتي عرفت في الفقه الدستوري الوضعي تعريفين معنوي ومادي. أما التعريف المعنوي فهو القوة والقدرة على السيطرة التي يمارسها الحاكم أو مجموع الحكام على المحكومين، وتتمثل في إصدار القواعد القانونية الملزمة للأفراد مع إمكانية فرض هذه القواعد على الأفراد باستخدام القوة المادية. أما التعريف المادي فتتمثل في أجهزة الدولة التي تقوم بممارسة السلطة بمعناها المعنوي، أي ما يطلق عليه عادة لفظ " الحكومة " وأجهزتها التنفيذية (عبد الهادي وماهر،١٩٨٤).

وبالمثل فقد عرفها الفقه الإسلامي تعريفا معنويا وآخر مادياً؛ أما التعريف المعنوي للسلطة السياسية العليا بأنها السيطرة العليا العامة في الدولة، وهذه السيطرة يمارسها وفق النظرية الإسلامية الحاكم أو من يفوضه الحاكم. أما التعريف المادي فهو المؤسسة المختصة بممارسة السيطرة العليا العامة في الدولة، وفي النظام الإسلامي يوجد مؤسسة واحدة تمارس السلطة العليا في الدولة ، هي مؤسسة " الخلافة " وصاحبها الخليفة ، ويتفرع عنها مؤسسة أخرى هي وزارة التفويض، وصاحبها وزير التفويض وهو "من يفوض إليه الإمام تدبير الأمور برأيه وإمضائها على اجتهاده". (الفراء،1394هـ)، "يفوض إليه الإمام أو السلطان جميع الأمور المتعلقة به ، يدبرها برأيه ويمضيها على اجتهاده" وهو ملزم بمطالعة الإمام في الخطير من الأمور دون اليسير ، فإن شاء الإمام أمضاه ، وإن شاء رده" (ابن جماعة،١٤٠٧هـ).

أما السلطة السياسية في الفكر الإسلامي: فقد اتصفت بصفتين أساسيتين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحتى الآن ، الأولى في عدم الفصل بين الدين والدولة أما الثانية فتتمثل في إعلاء قيمة القوة والتأكيد على ارتباط السلطة بالقوة خصوصا بالمراحل التي تلت دولة الخلفاء الراشدين حيث أصبح الحكم يتأسس عن طريق القوة أو عن طريق الوراثة.

وأخيرا يمكن القول بأن السلطة السياسية هي قوة ومقدرة على السيطرة على الآخرين وحكمهم بشكل يتناسب مع سيادة السيطرة وضمان الولاء من الطرف الآخر. وهذا يعني أن السيطرة لا تتم إلا بوجود القوة والتي تساهم في سيادة مظهر السيطرة وتحقيق كل ما يلزم لسيادة القانون ومقتضيات الولاية، وبالمقابل يجب على السلطة السياسية أن تستخدم القوة والقانون ضمن نظام ديمقراطي لبسط المساواة والعدل والحريات للمواطنين دون تمييز وأن تكون الحارس لهذه القيم حتى لا يفرط التلاحم الاجتماعي وتعم الفوضى وتنهدر كرامة المجتمع.

٤-٤ السلطة والمدينة

في هذه الفقرة سيتم التعرف على تعريف المدينة لغويا واصطلاحا ومن ثم ربطها بالسلطة والسياسة والعمارة معاً.

٤-٤-١ تعريف المدينة:

- **التفسير اللغوي:**

أصل كلمة مدينة ترجع إلى كلمة دين وهي آرامية عربية ذات أصل سامي، و الديان في اللغة الآرامية وفي العبرية تعني القاضي بينما عرفت عند الأكاديين والآشوريين بالدين أي القانون، ومصدرها في الآرامية مدينتا وتعني القضاء. وتوافق هذه التفسيرات ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف وما أشارت إليه المعاجم العربية، ومن الأدلة القرآنية قوله تعالى "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون" سورة الأحزاب آية رقم(٨). من أن كل المواضيع التي أطلق عليها لفظ مدينة كان عليها حكام وملوك وفيها على وجه التحقيق الصيغة القضائية، والدينية، والإدارية، والسياسية.

- **التفسير الاصطلاحي:**

تعني كلمة مدينة إقامة تكتلات بشرية داخل أسوار المدن والأمصار والقرى والديار، فهي تشير إلى تحديد كيانها المادي والاجتماعي، وفي هذا دلالة حضارية لإقامة السور الذي يعني الأمن والأمان لساكني المدينة ووجود سلطة في المدينة ممثلة في الحاكم أو الملك، وما يميزها من منشآت حضارية ارتبطت بحياة ساكنيها. أيضا يتصل التفسير الجغرافي والفقهي بهذا المعنى، وهي تعني المكان الذي يوجد به سلطان يقيم الحدود، وقاضي ينفذ الأحكام.

٤-٤-٢ السلطة السياسية والمدينة

تنشأ السلطة السياسية عادة من حاجة البشر إلى التجمع، يعتبر أفلاطون الإنسان حيوان سياسي ترجمها المفكرون بأنه حيوان اجتماعي لأن الصفة الجامعة للبشر هي الاجتماعية لا السياسية "الإنسان حيوان مدني بالطبع وإن لم يكن مدنياً، لا اتفاقاً ولكن بالطبع"، أما أرسطو فيقول "يجب أن يعرف كل فرد الآخر في المدينة" وتكلم عن المدائن الفاضلة وحياة أهل المدينة وحقهم في العمل

والمتعة، فقد أفلاطون وأرسطو "الثقة في التجار وأصحاب الحرف لأن حياتهم مثال للخسة وعدم الفضيلة والكذب".

وهي في اصطلاح ابن خلدون تعني العمران، أما ابن الأزرق فقد فسر ما ذكره ابن خلدون في هذا الشأن بقوله إن «الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية (عند الفلاسفة) ليحفظ به وجوده وبقاء نوعه إذ لا يمكنه انفراده بتحصيل أسباب معاشه». (عزب، ٢٠١٠) وتحدث ابن تيميه عن الاجتماع المدني، وقال «إن بني آدم لا تتم مصلحتهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون على جلب منافعهم والتناحر لدفع مضارهم». وينهي كلامه بقوله: «ولهذا يقال إن الإنسان مدني».(المصدر السابق)

ولتكون هناك مدينة فلا بد من اتخاذ سورًا حصينًا لها، وللسور أبوابًا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج، بل يدخل ويخرج من أقرب باب إليه. واتخذوا لها القهندز أي مكان ملك المدينة والنادي لاجتماع الناس فيه، وفي البلاد الإسلامية المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات، ومراكض الخيل، ومعاطن الإبل، ومرابض الغنم، وتركوا بقية مساكنها لدور السكان.هذا الوصف إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تعلق وارتباط العمارة بالسلطة، فعندما تكون الهيئة الاجتماعية تتشكل المدن المحاطة بالأسوار التي توفر لها الأمن، وبذلك تتكون وتتشكل القيمة الحضارية لحياة المدينة وتتشكل مميزات بحيث تميز كل مدينة عن غيرها، وبالتالي يتم إدراك ما هو الفرق بين المدن سواء كانت المدينة طبيعية أو مدينة ناشئة عن أنشطة ساكنيها.

٤-٤-٣ فلسفة العلاقة بين المدينة والعمارة والسلطة الحاكمة

لقد ظهر بشكل واضح وجود ترابط تلازمي بين المدينة والعمارة والسلطة الحاكمة، وهي مكونات تتكامل مع بعضها، وتؤثر في بعضها البعض، فعملية بناء المدن مرتبطة بالتطور الحضاري للإنسانية، كما أنها مرتبطة بوجود ملوك عليها يتولون بناءها، وحكام لها يقومون بمراعاة شئونها وتطورها، فيبنون الأسوار والمرافق العامة، وغير ذلك من مكونات المدينة اللازمة لساكنيها.

وفي ضوء هذه العلاقة يمكن رؤية الصيغة التي تربط بين مكونات المدينة وهي عادة لا تكون مرئية بصورة مباشرة؛ لأنها الفكر الذي يشكل المجتمع. وقد ظهرت هذه الصيغة وهذا الفكر منذ وقت مبكر في تاريخ الإنسانية، حيث ارتبط مصطلح السياسة Polis بمعنى المدينة. كما وظهرت

العلاقة الثنائية بين شكل العمران والعمارة و طبيعة السلطة والسياسة من منظورين تاريخي وعقائدي بشكل واضح، ولعل التوازن بين نوعية البيئة الحضرية في العديد من المدن التاريخية يعود إلى حسن توزيع الأدوار بين الأطراف وصياغة قواعد الممارسة لكل منه(ابن حموش ،١٩٩٩) .

وتبعا لفرضية اعتبار علاقة موجودة بين المدينة والسلطة تتجاوز حدود الزمان والمكان فقد اتخذت المدينة التاريخية نماذج لاستنباط حلول للمشكلات التي تعاني منها البيئة الحضرية المعاصرة. وقد تحدث بعض المفكرين عن مفهوم العمارة بأنها توفير وظائف إنسانية أساسية، وهي الاتجاه والهوية والذاكرة، والاتجاه هنا هو تنظيم الحيز وأنماط الحركة فيه، أما الهوية فتعني اختيار طابع وشكل معماري منسجم مع البيئة والإنسان، ويُعبر عن الذاكرة بذاكرة التاريخ والقومية التي تحدد الهوية المعمارية والتي ينتج عنها التشكيل والإبداع المعماري، ومن المؤكد أن العمارة تتبع الوظيفة إلا أن المنظرين ربطوها بأبعاد وظائفية للغة العمارة متمثلة في البعد المكاني والبعد التكويني أو التركيب الشكلي، والبعد التطبيقي الذي يحدد نوعية تشخيصية للمدينة.(البهنسي ، ١٩٩٧)

٤-٥ ماهية السلطة والمدينة في العمارة الإسلامية

لقد تعددت ماهية المدينة الإسلامية فمن وجهة نظر المعرفة الإسلامية وُجد أن مفهوم المدينة وازن بين المنظور المادي والمنظور الاجتماعي فالفكر الإسلامي استوعب في إدراكه المقاييس والمعايير التي تميز المدينة الإسلامية. فعلى سبيل المثال وضع قدامة بن جعفر المعايير التي تبين السبب في نشأة المدن وذلك في إطار فكري واسع بين منزلة الإنسان بين المخلوقات وارتباط ذلك بطبيعة الإنسان وهي تعكس إدراك معايير الكثافة السكانية وتنوع النشاط الاجتماعي واختلاف الطبقات وضرورة وجود السلطة التي تنظم وتؤسس هذه الهيئة الاجتماعية. (الحارثي،٢٠٠٨)

وأما من وجهة النظر العمرانية عند المنظرين عن ماهية المدن وتخطيطها فقد أكدوا على أصالة الفن المعماري وبالمقابل ربطوها بظهور الإسلام على خريطة العالم كقوة سياسية أظهرت مدن إسلامية هي بمثابة مراكز حضارية حملت لواء الحضارة وخاصة بعد سقوط روما سنة ٤٧٦م، كما أكدوا على التطور الفكري المتعلق بتخطيط المدن وإنشائها واهتمام الحكام المسلمين بالعمارة . ولعل هذه الدراسة البحثية المتخصصة بالفترة المملوكية قد أظهرت بعض الاهتمامات من بعض السلاطين في العهد المملوكي بالمدنية والمدينة حيث صدر ديوان خاص بالعمارة على يد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عهده يهتم بكل الخصائص المعمارية للمدينة، فعلى سبيل المثال أوضح هذا الديوان أنهم كانوا يراعون مواصفات خاصة عند اختيار الموقع كرؤية توسعية شمولية

لتخطيط المدينة الإسلامية مهتما بالجوانب الوظيفية والسياسية لمجتمع المدينة الإسلامية وذلك ليؤكد على أصالة المدينة الإسلامية وعمق ونضج الفكر الإسلامي وقد استفاد بعض المفكرين المسلمين بعد فترة طويلة من تجاربهم فيما يتعلق باختيار مواقع المدن ، وقد أدرك المسلمون أهمية الدور السياسي في نشأة المدينة الإسلامية، وتبلور ذلك بوضوح في كيفية نشأة المراكز الحضرية. وقد رسم الإسلام المنهج السياسي الواضح للأمة الإسلامية، وتعدى ذلك إلى تنظيم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الأمم. وقد تشكلت المؤسسات السياسية بالمدينة الإسلامية على مستويين الأول هو المستوى العام للدولة بحيث تكون المدينة عاصمتها وقد تنوعت أسباب اختيارها لارتباطها بعوامل اقتصادية وحربية ودينية فتبدأ بنواة عمرانية ثم تتطور تبعا للعوامل البيئية والمحلية، حيث ساعد الارتباط السياسي لتطور المدن مع تغير الخريطة السياسية للعالم الإسلامي على استقرار المدن وتطورها ونموها. أما الثاني فهو إتاحة الحكام للعامة بالمشاركة في اختيار مواضع المدن وعمارتها من خلالهم فتكاملت سياسة الإعمار تكاملا نشأ عن مراعاة المجتمع وخدماته ومرافقة وهذا أدى إلى تطور المدن وازدهارها ورقيها (عزب،٢٠١٠)

٤–٦ العمران والعمارة بين السياسة والسلطة

مما لا شك فيه فلسفيا بأن أحد المكونات الأساسية لتكوين العمارة والعمران هي السلطة الحاكمة أو بمعنى آخر هي السلطة السياسية. فلا يمكن على مر العصور فصل السياسة والسلطة عن العمران والعمارة، لأن السلطة والتي تحدد السياسة الخاصة بها تكون أحد أهم أهدافها تكوين عمران يمثل سياستها، "فالعمارة فن تطبيقي لجوانب الحضارة والثقافة وقد كانت ملازمة لبلاط النفوذ وصناعة القرار في الدولة".(السيد،٢٠٠٣). وهذا يعني أن العمارة وعلى مر العصور خدمت فئات محددة من المجتمع ولم تخدم جميع الأفراد، "فالتاريخ يدل على أن غالبية مبدعي العمارة كان لهم حضور قوي وعلاقة مصلحية مع الملوك والسلاطين والأمراء وكبار التجار والأثرياء" (المصدر السابق).

كل هذا بدوره خلف للحضارة الإنسانية المآثر العمرانية في مختلف الحضارات والثقافات والتي لا تزال قائمة حتى التاريخ الحاضر، فهو بالتالي تطبيق لنظرة سياسية لطبقة الحكم وليس فناً إنسانياً مجرداً يعكس قيم المجتمع. إلا أن دلالة المآثر العمرانية والصروح المعمارية الباقية تؤكد على أنه وبالرغم من كون السلطة الحاكمة هي الأساس في إقامتها إلا أنها ارتبطت بالمفهوم الاجتماعي الحضاري لأفراد الجماعة الموحدة على هوية واحدة وبطابع سياسي وديني أو حتى عرقي واحد.

وهنا تكمن الأبعاد الخفية للعمارة في دورها السياسي في دمج أفراد الجماعة الواحدة في هوية وطنية واحدة وكذلك في إظهار مدى قدرتها على بسط سيطرة ونفوذ الحكام على الشعب ظاهراً في عدة مواطن على سبيل المثال القصور الملكية والأبنية العامة. ولدراسة الموضوع بشكل أعم فسيتم التعرف على أهم الجوانب التي تظهر الدور السياسي للعمارة والعمران على المجتمع.

٤-٧ الدور السياسي للعمارة وعلاقتهما معاً

إن العلاقة المتبادلة بين السياسة والعمارة أصبحت قضية تشغل كثيراً من المفكرين والمنظرين لما لها من دور مهم في تشكيل العمران، وفي هذا الجزء من البحث سيتم التعرض لبعض الدراسات الخاصة بهذه العلاقة.

- **دراسة عاهد حلس:**

لقد أوضحت هذه الدراسات عدداً من الجوانب التي برزت فيها العلاقة بين السياسة والعمارة والتي يمكن سردها فيما يلي:

- **تنمية وتعزيز الانتماء القومي:**

إن قضية الانتماء القومي من أهم القضايا التي شغلت الحكام على مر الحضارات السابقة حيث تلجأ الحكومات إلى استدعاء مفردات الذاكرة الجماعية من خلال الاهتمام بالتراث الرسمي والزهو بأمجاد الماضي المعبر عنه في بوابات المدن والقصور الملكية والقلاع وإنشاء الأنصاب التذكارية وصروح الجندي المجهول وهذا كله ما هو إلا أساليب ترمي إلى فتح قنوات التواصل بين حاضر الأمة وماضيها حتى وان كان هذا الماضي أليماً في بعض الأحيان حيث إن معظم هذه المباني محاطة بهالة من الخيالات القومية، فواقع الأمر أن هذه الآثار إما فارغة أو ليس معروفا من يرقد فيها ولعل أكثر هذه المباني رمزية هو الجندي المجهول والأنصاب التذكارية، فهي تشير وبشكل واضح للذاكرة السياسية للمدينة والمجتمع معاً. (حلس، ٢٠١٠)

- **الحفاظ على الهوية المعمارية في ظل العولمة:**

تتفاوت مبادئ الهوية بدرجة كبيرة بين دول العالم أجمع وبالطبع في منطقة العالم الإسلامي والعربي بصورة خاصة. وعلى الرغم من أن هذا التنوع معترف به على نطاق واسع، فإن الكثير من النقاش يدور حول الهوية الإسلامية المعاصرة وهل ترتكز على مفاهيم محددة. سواء كانت هذه المفاهيم تاريخية أو دينية أو عرقيه أو سياسية وبشكل عام يبقي التاريخ لعديد من المجتمعات نبراس المستقبل، فالتاريخ سلاح لصنع المستقبل والعودة إليه ثروة لا حدود لها. ويبرز هذا بقوة، أمام التحولات المختلفة فلا يوجد ضمان لبقاء الأمم أمام فتح الحدود سوي غذاء التاريخ. إما وظائف التاريخ فهو الذي يعمل على إعادة الثقة التي فقدت وغرس الطموح من جديد وتعبئة الشعب كله، حول شعارات مستمدة من مجده القديم، كما ويعمل على استنباط الدروس التي صنعها التاريخ تمهيداً لتخزين الحضارة وجعلها ثورة متنامية لا تنتهي. (المصدر السابق)

وفي ظل كل هذه الشعارات تظهر العولمة التي أثارت جدلاً فلسفياً فهي تعني اللاحدود والشمول مع الحرص على الخصوصية لكل شعب، وهي معروفة منذ قديم الزمان ولكن بصور مختلفة فالمعروف أن الحضارة السائدة والمنتصرة هي التي تحقق عولمتها. إلا أن العولمة في العقد الأخير أخذت أبعادا جديدة تختلف عن الانفتاح الذي عرفته العهود السابقة حيث تتبدد الحدود بين الدول بشكل متسارع سواء بتقريب المسافات وتطور الاتصالات أو بتشبيك المعلومات بتكنولوجيا حديثة ومتطورة.

ولربط الهوية بالعولمة فلا بد من عمل دراسة تاريخية لأصل العولمة وعلاقتها بالهوية فمثلا قام ابن خلدون منذ ستة قرون كاملة بعمل مقارنة نظرية، لمجابهة العولمة، وقد استخلصها من تحاليل قديمة ملخصها أنه كلما انفتحت الحدود واتسعت الفضاءات تصبح الحاجة إلى الهوية قوية، وبقدر ما يزداد الانفتاح على الآخر، تزداد النزعة إلى الاحتماء بالهوية، وكأن هناك جدلية طبيعية تفرض قانونها علي حياة الأوطان، مضيفا أن العولمة لن تصمد ما لم تقم على التنوع، وإنها لا تعني الذوبان بل التبادل والإثراء، وإذا ازدادت الهيمنة، تصدع العالم وأصبح تلاقيه فرصة أكبر للتصادم. (المصدر السابق)

وعلى الرغم من أهمية العلاقة ما بين الهوية والعولمة إلا أن الوقت الحاضر أفرز كثيراً من المخالفات والنظريات التي دارت حول موضوع الهوية والعولمة مثل نظرية نهاية التاريخ ونظرية صدام الحضارات ونظرية العولمة. وقد نادت نظرية صدام الحضارات التي نادي بها هنتيجنتون بالعداء للإسلام وأنه العدو الأول للحضارة الغربية، وأن ثقافتها وعلي رأسها اللغة العربية ذاتها هي المنافس الأول لتلك الحضارة، وأعلنت عن مواجهة الخطر بالمواجهة بين الإسلام والثقافة الغربية. ثم جاءت نظرية العولمة أو عصرها ليؤيد أن التصادم الحضاري سيكون بين الغرب والإسلام، نظرا للتعارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب والقيم الإسلامية، وبذلك أصبحت العولمة ليست انتقالا من ظاهرة الثقافة الوطنية والقومية إلي ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية بل إنها فعل اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي علي سائر الثقافات ومنها الثقافة العربية والإسلامية. من هنا يمكن اعتبار أن العولمة هي دمار مباشر للهوية التاريخية للشعوب وخاصة الشعوب العربية الإسلامية، حيث يتم تسميتها بعض المسميات الثقافية الجذابة كثقافة الانفتاح والتجديد والحفاظ على الهوية والثقافة الوطنية وغيرها من التسميات الباطلة التي يجب أن يتم أخذ الحذر منها ودراستها قبل اعتمادها ثقافيا. (الراشد،٢٠٠٥)

- **التحصين الثقافي في مواجهة السياسات الرامية إلى تكريس التبعية للاستعمار الغربي:**

تزداد أهمية العمارة في ظل ما يتهدد شعوب العالم الثالث من السياسات الاستعمارية الرامية إلى تكريس التبعية الثقافية والسياسية وفي ظل ما تنذر به العولمة من خطر التذويب الثقافي، ويزخر التاريخ المعاصر بالكثير من المشاهدات التي تكشف عن استهداف الاستعمار وأعوانه للمراكز التاريخية في المدن العربية والإسلامية لإحكام السيطرة عبر خلخلة علاقة الشعوب المستعمرة بجذورها الحضارية، ففي مصر – في عهد الخديويات – كانت العمارة الإسلامية والتاريخية موضعاً للإهمال وذلك بدافع التغريب و إضفاء الطابع الغربي على مدينة القاهرة، حيث أعلن الخديوي إسماعيل مقولته الشهيرة " إن مصر قطعة من أوروبا وليست في أفريقيا" وبدأ الخديوي إسماعيل مشروعة لتطوير القاهرة بتحويلها إلى باريس الشرق، فتم إنشاء قاهرة جديدة غرب القاهرة الفاطمية، وأحدث هذا التوجه السياسي بنيتين عمرانيتين مختلفتين للقاهرة. (حلس،٢٠١٠) كما هو موضح في الشكل (٤-١)



شكل ٤-١ عمارة وسط البلد بمدينة القاهرة ، سيطرة الطرز الغربية نموذج لتكريس التبعية الثقافية والسياسية

المصدر : (حلس،٢٠١٠)

- **توثيق المراحل التاريخية من حياة الجماعات والشعوب**

تعتبر العمارة هي السجل الحجري الذي يدون تاريخ الجماعات والشعوب فمن خلال الأوابد المعمارية يظهر وجود أولئك الذين قاموا بتشييدها ويصبح التعرف على ثقافتهم ومعتقداتهم وطرق عيشهم سهل، وتزداد أهمية هذه السجلات الحجرية في ظل التطورات العصرية المذهلة لبرامج الكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات التي ساعدت في قدرة وسائل الإعلام والإنتاج السينمائي والتلفزيوني في إعادة إنتاج التاريخ وكتاباته وفق الأهواء والمصالح المتباينة للحكومات والشعوب، وهنا يبرز دور العمارة كسجلات ووثائق لا يمكن تزويرها أو تجاهلها مهما بلغت قوة المؤثرات الإعلامية المعتمدة على برامج الكمبيوتر المتطورة.

ولعل التحول السياسي (انتقال السلطة من جماعة إلى أخرى) يكون دائما مصحوباً بتغيرات في نمط أو طراز العمارة وفي تخطيط المدن وهذا ما يسمى بالعصبية السياسية.(حلس،٢٠١٠)

وعادة لا يكون مثل هذا التغيير سريع الحدوث بل يأخذ وقتا من الزمن حيث "إن رسوخ الصنائع فى الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها" (حلس، ٢٠١٠). ويمكن ترجمة هذه العبارة معماريا بأن الطراز المعماري المميز لأى عصر لابد له من وقت لكي تتضح معالمه وهذا التميز المصاحب لأى طراز لابد أن ينشأ في ظل استقرار سياسي يتيح للمعماري الإبداع. (حلس،٢٠١٠)

- **دراسة د. خالد عزب**

يعتبر د. خالد عزب أن العلاقة بين العمارة والسياسة تحددها ثلاث مستويات تتدرج من البساطة إلى العمق :

المستوى الأول:

العمارة كشاهد سياسي وهو يمثل البنية السطحية: وفى هذا المستوى تكون العمارة سجلا للعديد من الأحداث السياسية التي مرت عليها. أو حدثت في المنشأ المعماري أو تركت أثرها عليها ومن أمثلة ذلك باب زويلة الذي شيد في العصر الفاطمي(الباشا، ١٩٦٩) ليكون أحد أبواب حصن القاهرة مقر حكم الفاطميين بالعاصمة المصرية إلا أنه وبسبب حادثة إعدام المظفر قطز لرسل التتار على الباب اكتسب الباب وظيفة سلطوية سياسية، وتوالت حوادث الإعدام عليه منذ ذلك الحين حتى القرن التاسع عشر الميلادي حيث أعدم السلطان المملوكي طومان باى سلاطين المماليك على هذا الباب(ابن اياس،١٩٩٣) وهذا يعطي دلالة ورمزا لبداية عصر العثمانيين في مصر ونهاية عصر المماليك. وفى عصر محمد علي توالت عمليات تنفيذ حكم الإعدام على هذا الباب (الجبرتى، ١٩٦٦) حتى عصر الخديوي إسماعيل، إلا أن جلوس متولى الحسبة (أبو زيد ،١٩٨٦) بالقاهرة عند هذا الباب أثر في تغيير اسمه لدى العامة إلى باب المتولي وبمرور الوقت نسى الناس السبب الحقيقي لهذه التسمية. وتصوروا أن المقصود بالمتولي أحد الأولياء الصالحين هكذا تغيرت مفاهيمه بالكامل منذ بداية إنشائه وحتى العصر الحالي.(الباشا، ١٩٦٩)

كما يسعى السلاطين لإثبات انتصاراتهم على عمائرهم بصورة أو بأخرى لتكون شاهدا على هذه الانتصارات. ومن ذلك تعليق خوذة ملك قبرص على باب مدرسة السلطان الأشرف برسباى بالقاهرة (المصدر السابق)

المستوى الثاني:

الرمزية السياسية للعمارة وهو يمثل أحد جانبي البنية العميقة في هذا المستوى حيث تجسد العمارة قوة الدولة وتوجهاتها السياسية ومثل هذا النوع من العمائر شاع في العمارة الإسلامية حيث ظهر في عدد من المدلولات المعمارية التي يحمل بعضها مضمونا حضاريا وبعضها الأخر مضمونا سلطويا سياسيا ويجمع بينهما أحيانا بعض العمائر ذات الدلالات المتعددة.

ويعد مسجد قبة الصخرة و المسجد الأقصى القبلي ابرز العمائر التي تحمل مضموناً حضارياً حيث يعود تشييد القبة إلى العصر الأموى ، الذي شهد نزاعا حضاريا بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية على السيطرة على العالم القديم واتخذ هذا النزاع صورا متعددة منها تعريب طراز أوراق البردي التي كانت تصنع في مصر (عزب،٢٠١٠)، وتعريب النقود في إطار سياسة عبد الملك بن مروان بهدف إرضاء الشعور الديني والسياسي للمسلمين. (المصدر السابق)

اتجه عبد الملك بن مروان في إطار هذا المخطط الشامل إلى العمارة التي ترمز إلى سيادة الدولة واتجاهها الفكري ففي القدس تبنى مشروعا ذا طابع سياسي ديني حضاري يرتكز على الاهتمام بعمارة الحرم القدسي الشريف بخاصة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى القبلي لارتباط هذا الحرم بالعقيدة الإسلامية فهو أول القبلتين وفيه صلى الرسول بالأنبياء وإليه كان إسراؤه ومنه كان معراجه (عزب،٢٠٠٧) ولما كانت عمارة الحرم آنذاك بسيطة لا تتناسب مع ما حولها من كنائس بخاصة كنيسة القيامة المقدسة لدى المسيحيين ومع ما قد تحدثه عمارة الكنائس في نفوس بعض المسلمين ورغبة عبد الملك في إثبات الهوية الحضارية الجديدة للمدينة(المصدر السابق) تبنى مشروع عمارة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى القبلي.(المصدر السابق)

المستوى الثالث:

ويتمثل في العلاقة الفكرية بين السياسة والعمارة بحيث تصبح هي التي تحكم طبيعة العمارة وموضوعاتها وحركيتها وتخطيطها. وهى تنبع من التوجه السياسي الايدولوجي للسلطة .وينعكس على العمارة في صور متعددة ولا يحدث دفعة واحدة، بل يطل على العمارة القائمة على مراحل حتى يكسبها عند التحول من نمط إلى نمط بتغيير السلطة شخصية جديدة، تعرف عند الأثريين

والمعماريين بالطراز المعماري. وتوجد كثيرا من الأمثلة والدراسات التي يمكن منها إدراك الترابط الموجود بين المدينة والمباني (العمران والعمارة) والسلطة والسياسة من المنظور الفلسفي التاريخي.(الراشد،٢٠٠٥)

- **دراسة د. وليد السيد**

لقد درس العلاقة ما بين السياسة والعمارة من عدة جوانب يمكن سردها فيما يلي:

- تشكيل الفراغات والتجمعات الحضرية .
- تشكيل الموروث المعماري والسياسي والحضاري الثقافي للأمم.
- تشجيع التبادل الثقافي والمعماري بين الحضارات.
- إمكانية قرصنة العمارة (الرمزية) والاستيلاء عليها من خلال نظام استبدادي لطمس مظاهر الحضارة والوجود الثقافي لأمة معينة سعياً لتدمير حضارتها وهويتها الثقافية، وفي ظل غياب عمليات المسح الميداني والتوثيق والقوانين الظابطة والرادعة للحفاظ على الموروث الحضاري تختفي المعالم الحضارية للأمم.

وقد تعرض في دراسته للعمارة الصهيونية بكل جوانبها فمثلا تعرض لدراسة المستوطنات والمخططات الحضرية التفصيلية للمناطق. فمثلا مخطط صهيوني بدأ عام ١٩٩٤ وانتهى عام ١٩٩٧ وهو مخطط لـ ٢٥ سنة بحيث ينتهي عام ٢٠٢٠ تم فيه الاهتمام بكل النواحي التعليم – الصحة – الأمن – والزراعة والمياه واستعمال الأراضي وحالة السكان (الديموغرافي) وقد ظهر في هذا التخطيط تحديد الحدود الآمنة للكيان الصهيوني (في أجواء السلام) (وهي مناطق شاسعة خارج مناطق الكيان الصهيوني السيادية تكون خالية من أي تهديد أو خطر للكيان الصهيوني) والمقصود بها هي المناطق المحتلة بين (٤٨–٦٧) حتى المناطق الحاصلة على حكم ذاتي مثل غزة وأجزاء من الضفة ليس للكيان الصهيوني سيادة رسمية عليها إلا أن عليها سيادة فعلية فهذه المناطق ليس لها سيادة على الماء والأراضي والجيش والسياسة الخارجية. وقد أكد في دراسته أن الأرض للفلسطينيين إلا أن اليهود يحاولون سرقتها بأكثر من وسيلة على سبيل المثال فقد أحضر بنيامين نتنياهو خاتم معه في أحد المؤتمرات الدولية في واشنطن ويقول أنهم عثروا

عليه في أراضي فلسطينية وهو يعود لنتينياهو يؤاش قبل ٢٨٠٠ سنة وهذا دليل على أن فلسطين لليهود فكيف للمسلمين لهم كل هذه الآثار ولا يقولون أن فلسطين لهم. (السيد،٢٠٠٧)

وعلى اعتبار أن هذه الدراسة تعمد لمعرفة أثر السلطة والسياسة على المنتج المعماري وحيث إن العلاقة بين السياسة والعمارة متعددة الجوانب إلا أنه يمكن اعتبارهما وجهين لعملة واحدة

نتيجة لما سبق دراسته يمكن سرد طبيعة العلاقة بين السلطة والسياسة والعمارة والتي سنعتمد عليها في الدراسة لاحقاً وهي كما يلي:

١- تأصيل الفكر السياسي للحضارة في شعبها حيث إن التوجه السياسي لسلطة ما يكون عادة قائم على الفكر السياسي الخاص بها والذي يمكنها من فرض سيادتها على المجتمع التابع لها .وغالبا ما يكون هذا الفكر نابعاً من أفراد المجتمع نفسه وبالتالي يكون هذا المجتمع منتمياً لهذه السلطة بشكل فكري وقومي وحضاري .هذا الفكر ينعكس بصورة بديهية على العمارة من خلال المباني التي تعزز فكرة الانتماء القومي والولاء للسلطة والتي عادة ما تبقى رموزاً معمارية تحيي الذاكرة السياسة لهذا المجتمع .إضافة الى تكوين طراز معماري خاص بهذه السلطة تميزه عن غيره من السلطات من خلال الفكر السياسي الخاص به .

٢- رمزية الهوية المعمارية السياسية والحفاظ عليها .

إن العمارة بلا شك لها دور كبير في التعبير عن الدولة وتجسيد مفاهيمها الفكرية وتوجهاتها السياسية إلا أنها تتعاون من حضارة إلى أخرى وتختلف بحسب قوة وأصالة هذا الفكر في الشعب . من هنا تنتج الهوية المعمارية السياسية والتي وعلة الرغم من تنوعها لا لان معظم مفاهيمها تدور حول مفاهيم سياسية دينية تاريخية أو عرقية في بعض الأحيان. وحيث ان الحصول على هوية معمارية سياسية لها رمزية ودلالة خاصة بمجتمع، أمر من الصعب انجازه بشكل سهل ومباشر فان عملية الحفاظ عليه أمر أكثر تعقيدا وصعوبة في ظل العولمة والتطور الحضاري للشعوب وعليه فإن صعوبة تحقيق رمزية الهوية المعمارية السياسية تكمن في انتصار هذه العمارة في

تحقيق عولمتها ومستقبلها في ظل التطور الحضاري السريع واللا حدودية المنتشرة بين الحضارات والانفتاح الحضاري السريع.

٣- توثيق الاحداث السياسية على مر التاريخ .

تعتبر العمارة هي السجل التاريخي الثقافي للحضارات والأمم والمجتمعات على مر التاريخ وهي السجل الذي يدوم أكبر وقت ممكن للفكر السياسي للحضارات، حيث لا يمكن تزويرها أو تجاهلها إضافة إلى أن قوة السجل المعماري الحضاري للشعوب يكون مرتبط بالقوة السياسية ورسوخها وطول أمدها واستقرارها والذي يتيح للعمارة السياسية بأن تبدع وتنتج رموز مرتبطة بأحداث تاريخية خاصة بهذه الحضارات. وكما تساهم العمارة في تسجيل تاريخ وحضارة الأمم فهي بارعة أيضا في تسجيل التغيرات السياسية للحضارات فكلما ظهرت قوى سياسية أقوى من سابقتها فإنها تظهر بشكل معماري والبقاء للأقوى.

٤- تحدي الاستعمار الاجنبي والقضاء على القرصنة المعمارية الثقافية للشعوب .

كما سبق ذكره أن العمارة هي سجل تاريخي هجري باقي بشكل أقوى من أي تدوين تاريخي مكتوب ، إضافة إلى أن العمارة اكبر وسيلة للتعبير عن سياسة دولة وفكرها ، وبالتالي تنتج هوية معمارية وطراز معماري خاص بها وتعطيها الرمزية السياسية لقوة هذه السلطة . إلا أن الاستعمار بشكل عام يعتبر اكبر خطر يهدد ثقافة الشعوب عامة والشعب العربي والإسلامي بشكل خاص حيث إن الاستعمار الأجنبي في الدول العربية الإسلامية مضافا إليه العولمة والتطور الحضاري السريع يعتبر اكبر خطر يهدد مسح الهوية الثقافية المعمارية للشعوب ، وليس هذا فقط ، بل الأكثر نسب بعض الرموز السياسية المعمارية في حضارة الاستعمار الأجنبي وهذا ما يسمى بالقرصنة المعمارية الثقافية لحضارة الشعوب ، وهذا هو الخطر الأكبر الواجب مواجهته وتحديه من خلال الحفاظ على الموروث الحضاري الثقافي للشعوب ، وتوثيقه بشكل قوي وصارم ضد هذه الأخطار الاستعمارية الأجنبية لثقافة الحضارة الإسلامية .

٥- تشكيل المدن والمراكز الحضرية المختلفة وتشجيع التبادل الثقافي بين هذه المراكز تعتبر العمارة من أهم الوسائل والسبل الساعية لتشكيل الحضارات والتي تظهر على شكل مدن

ومراكز حضرية وسط هذه المدن وبالتالي تكون هذه المدينة هي بداية هذه الحضارة ومركزها ومن ثم تبدأ عملية التوسع والانتشار وتكوين المدن والدويلات والدول أيضا ومن ثم وبعد الاستقرار تبدأ عملية التبادل الثقافي بين الحضارات سواء كان ذلك ماديا أو معنويا (هدايا تذكارية – تماثيل _.......الخ) هذا مختصر مفيد لما يسعى البحث في إثباته وإبرازه في الدراسة العملية لموضوع دور العمارة في السياسة والسلطة .

٤-٨ خلاصة الفصل الرابع

تعتبر السلطة السياسية من أهم العوامل المؤثرة على العمارة، لذا فقد تم في هذا الفصل دراسة العلاقة المتبادلة لين السلطة والسياسة والعمارة من خلال التعرض لتعريف السلطة وتعريف السياسة ثم ربطهما من خلال تعريف السلطة السياسية والتي تعتبر هي القوة والمقدرة على السيطرة على الآخرين وحكم بشكل يتناسب مع سيادة السيطرة وضمان الولاء من التابعين. ولأن الهدف هو دراسة العلاقة ما بين السلطة والسياسة والعمارة فقد تم التعرض لتعريف العمارة وما هي فلسفتها وكيف تؤثر على بيئة المدينة فلسفيا ولتخصيص الدراسة فقد تم دراسة محددات بنية العمارة الإسلامية وماهية السلطة والمدينة في العمارة الإسلامية. وأخيراً تم التعرض لبعض الدراسات والتي تهتم بدراسة العلاقة الحقيقية بين العمارة والسلطة السياسية تبين فيها الدور السياسي في إنتاج العمارة والذي ظهر بعدة مستويات تم التوصل من خلالها لاستنتاج ما هي أهم المحددات للعلاقة ما بين السلطة السياسية والعمارة والتي تم اعتمادها لإتمام هذه الدراسة. ولعل التطبيقات العملية للعلاقة ما بين السلطة السياسية والعمارة هي الأكثر توضيح لكل المبادئ الخاصة بهذه العلاقة وعليه فسوف يتم استعراض لبعض التطبيقات العملية لتأثير السلطة والسياسة على المنتج المعماري في الفصل القادم.

الفصل الخامس

تطبيقات عملية لتأثير السلطة والسياسة على المنتج المعماري

(من صفحة ١١٢ إلى صفحة ١٤٥)

- ٥-١ التعاقب الحضاري لتأثير السلطة والسياسة على المنتج المعماري
- ٥-٢ تسليط الضوء على أمثلة لتأثير السلطة والسياسة على العمارة
- ٥-٣ السلطة والسياسة في العصر المملوكي
- ٥-٤ المسجد الأقصى والصراع العربي الإسرائيلي
- ٥-٥ واقع العالم العربي في الوقت الحاضر
- ٥-٦ الحفاظ المعماري للموروث الثقافي في القدس
- ٥-٧ خلاصة الفصل الخامس

تمهيد

بعد أن تمت دراسة ماهية السلطة والسياسة وعلاقتهما بالعمارة، يتناول هذا الفصل دراسة تطبيقات عملية على أثر السلطة والسياسة على العمارة على مر الحضارات من خلال دراسة التعاقب الحضاري لتأثير السلطة والسياسة على المنتج المعماري بشكل تاريخي ومن ثم عمل دراسة لبعض الأمثلة القائمة لتأثير السلطة والسياسة على العمارة، وحيث إن الهدف من هذه الدراسة هو العصر المملوكي سيتم دراسة أثر سياسة وسلطة العصر المملوكي على العمارة وبما أن الدراسة تختص بمدينة القدس سيتم التعرف على وضع المدينة في ظل واقع العالم العربي الإسلامي اليوم، والصراع ما بين اليهود والمسلمين عليه ما هو طبيعته، وأخيراً ما هي آليات الحفاظ المعماري على عمارة مدينة القدس للحفاظ عليها وعلى عمارتها.

٥-١ التعاقب الحضاري لتأثير السلطة والسياسة على المنتج المعماري

إن البعد السياسي المنعكس مسئول عن إعطاء القوة والسلطة لصاحب السلطة وبالمثل فإن العمارة هي من أهم الأدلة الواقعية والموروثة للبشرية لأنها السجل الذي يستقى منه تاريخ الأقدمين بما فيه من تقدم وازدهار أو تدهور وتخلف،وفيما يلي عرض للحضارات القديمة المختلفة والتي يظهر فيها تأثير السلطة والسياسة على المنتج المعماري.

٥-١-١ عمارة الفراعنة

إن المفهوم العام لتأثير السلطة والسياسة على العمارة يعني ظهور العمارة والعمران والعلوم والآداب والفنون متأثراً بشكل كبير بطبيعة السياسة والسلطة الحاكمة، وحيث إن تاريخ الإنسانية حمل مفهوم تأثير السلطة والسياسة على كل نواحي الحياة، فقد سيطر الفراعنة على العالم وسيطر المصريون تجاريا وعسكريا وثقافيا بين ممالك العالم القديم؛ الفينيقية وغرب آسيا والنوبة وليبيا وسيطر الفراعنة على مناجم النحاس في كافة أنحاء العالم القديم واحتكار تجارة المعادن خلال مدة لا تقل عن ستة قرون. (راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-١)



شكل ٥-١ عمارة الفراعنة (أبو الهول والمصاطب المسلات)

المصدر : (راشد،٢٠٠٥)

وكانت مدن "منف" ومن بعدها "طيبة" ، عواصم الثقافة العالمية في ذلك الحين. وقد ظهرت مبانٍ وعمارة خالدة أظهرت التحكم السلطوي والبعد السياسي، وكان البعد السياسي ممثلا في المباني الحجرية لتخليد الحكام كآلهة فظهرت المصاطب وأهرامات سقارة والجيزة وكذلك المعابد المختلفة دينية وجنائزية، ولذلك بقيت حتى اليوم شاهدة علي عولمة المرحلة، في حين كانت العمارة الدنيوية مبنية بالطين فلم يبقي منها شئ. وتعبيرا عن طبيعة هذه السياسة الخالدة فقد وُجدت الآثار المصرية في الشام والنوبة وحوض البحر المتوسط كدليل على تأثير سلطة الحضارة المصرية في تلك الفترة. (المصدر السابق)

حضارة مصر وبناء الهرم بين الواقع والمؤامرات :

على الرغم من خصوصية عمارة مصر أو عمران الفراعنة بالموقع ونهر النيل إلا أن العقيدة لعبت دوراً أساسياً في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والممتدة علي مدار قرون وآسرات متتابعة لمجتمع عاش وفني في هذه البيئة. وقد وقفت عمارة مصر وتراثها من معابد وأهرامات كخط دفاع وحصانة ضد هجمات مستمرة من مترقبين وطامعين، وبالذات هرم خوفو الذي يعتبر أكثر المباني احتواءً على أسرار الحضارة المصرية القديمة، فالمبنى في حد ذاته دليل علي قوة السلطة والحكم وثبات السياسة والوفرة الاقتصادية والقدرة علي الإدارة، والبراعة المعمارية والعلمية الفائقة. (راشد،٢٠٠٥)

ولكن تأتي الخطورة من تسييس بناء الهرم ونسبته إلي اليهود. وبدأت هذه الظاهرة عندما زار مناحم بيجن مصر. وأعلن وهو في نيويورك قبل أن يأتي إلي مصر أنه سعيد جدا أن يزور الأهرام التي

بناها أجداده. وقد وجدت أدلة تثبت أن العبرانيين هاجروا إلى مصر أفرادا بعد أكثر من٧٠٠ عام على بناء الأهرام، ولا يوجد اسم واحد يهودي ضمن الأسماء التي عثر عليها في مقابر الدولة القديمة إلا أن جميع اكتشافات منطقة الهرم تؤكد وجود قرى العمال ومخابزهم وألقاب الموظفين التي تثبت الأفكار المفترضة غير المثبته وتؤكد بما لا يدع مجالا للشك ارتباط المصري القديم وصلته بالهرم وان الهرم ليس إلا مقبرة دفن فيها الملك، وفي الوقت نفسه فإن بناء الهرم يؤكد ألوهية الملك ويظهر قوته وعظمته. (راشد،٢٠٠٥)

٥–١–٢ عمارة الإغريق والرومان

نسب إلى الاصطلاح الإغريقي بوليتيا بمعنى اجتماع المواطنين وممارستهم شئون الحكم والسلطة في إطار دولة المدينة، وهذا ما كان يتم في أثينا حيث نشأ الاصطلاح، كان ينقص أثينا الكثير من مظاهر الراحة المادية، مقارنة بكبريات المدن، فقد كانت مدينة للمزارعين الذين يتوجهون إلى أراضيهم للعناية بها، تناولت أثينا السلطة، بطريقة مثالية، فقد كان يتم اختيار ممارسي السلطة بالقرعة من بين الذكور، وعندما كانت تنشأ الحاجة الماسة إلى محترفين لإدارة شأن من شئون المدينة، كان المختارون بالقرعة يعينون مجالس من المحترفين لإدارة الأمور الفنية كالإدارة المالية أو بناء أحواض السفن. وتتخذ القرارات المصيرية بالنسبة لمدينة على يد مجلس الجماهير الذي يضم كل من له حق التصويت بالمدينة. وقامت إلى جانب ذلك منشآت معمارية أثرت الحياة والمشاركة الحياتية لأهل أثينا، مثل الأكروبول الذي يشرف على المدينة. وفي مهرجان الباناثينيا كان يتجمع الأثينيون لتقديم الهدايا للربة أثينا، ولقد كان المسرح الأثيني، وهو شبه دائرة هائلة من الدرجات التي نحتت في جبل منحدر. متنفسًا للمشاركة بالمدينة، إذ شهد عروضا مسرحية تعكس طبيعة هذا المجتمع إذ كان المشاهد والممثل يتبادلان الأدوار. وكان هذا مما يعمق الوعي الخاص والتعبير الحر. لعب المسرح في أثينا دورا سياسيا مهمّا، حيث عكس واقع المجتمع وعمَّق من المشاركة الاجتماعية لأهل المدينة(راشد،٢٠٠٥) وقد مثل أرسطو مدينته الفاضلة من خلال حياة أهل أثينا التي جمعت بين العمل والمشاركة الشعبية التي تتطلب وقت فراغ بقوله: «إن المدينة يجب أن تكون على نحو يمكن سكانها من العيش مع الاستمتاع بوقت الفراغ باعتدال وحرية». إلا أنه كان أقل انبهارًا

من أفلاطون بالأشكال المثالية، وأشد اهتمامًا بالمسار والهدف والنمو والإمكان بالنسبة للمدينة، وهو ما أعطى رؤيته درجة من الحيوية.(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-٢)

وفي الألفية الأولى الميلادية وعلى أكتاف نيوتن وهيرودوت وأفلاطون وأرسطو تحالفت الثقافة اليونانية مع القوة العسكرية الرومانية التي أوجدت الإمبراطورية الممتدة في العالم القديم. وطبعت ذلك الزمن بطابعها الخاص فكانت العولمة الثانية في التاريخ التي استمرت خمسة قرون. (المصدر السابق).



شكل ٥-٢ معبد البارثنون في أثينا وضريح أبراهام لنكولن في واشنطن عملية إعادة عولمة الفكر اليوناني
المصدر : "المصدر السابق"

وكانت العاصمة الثقافية لسيطرة السلطة متمثلة في مدينة الإسكندرية بمكتبتها، وعاصمة الفلسفة في أثينا بالاكروبولس والبارثنون، وعاصمة القوة في روما بمجموعة بنايات مثل البانثيين والكولوزيوم والحمامات والمسارح، وعاصمة المسيحية في بيزنطة، متمثلة في أيا صوفيا. كما هو موضح في الشكل (٥-٣)



شكل ٥-٣ الحضارة الرومانية من البانثيون و الكولوزيوم والحمامات والمسارح وأقواس النصر والأعمدة
المصدر : "المصدر السابق"

والآثار المعمارية في معظم بقاع العالم القديم من مسارح ومعابد ومدن عسكرية في بريطانيا وحوض البحر المتوسط من أسبانيا وشمال أفريقيا ومصر والشام أي كل حدود العالم القديم. وصارت اللغة اليونانية لغة العالم والفن والأدب واللغة اللاتينية لغة السياسة والتجارة العالمية. ومثلت الفاتيكان بعمارتها ومبانيها الدور القيادي السياسي لروما لتلك المرحلة.(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-٤)



شكل ٥-٤ الاعتراف بالمسيحية في بيزنطة وظهور الكاتدرائيات في معظم أنحاء العالم وأصبحت الفاتيكان بعمارتها ممثلة لعولمة المرحلة

المصدر : "المصدر السابق"

٥-١-٣ عمارة العصر الإسلامي

في بداية الألفية الثانية مع انتشار الإسلام، سيطر العرب علي العالم، ونشأت تحت مظلتها تعددية ثقافية عالمية رائدة تفاعلت مع القيم والتعاليم الإسلامية والمسيحية معا. فحملت الثقافة العربية الإسلامية بجناحيها جوهر وعصارة الثقافات السابقة من سريانية وبابلية ومصرية ويونانية وورومانية وفارسية وهندية فسيطرت تلك الثقافة الجديدة على ما عداها وأصبحت اللغة العربية لغة العالم المتحضر بكامله حتى إن البابا سلفستر الثاني، انتخبه الكرادلة عام ٩٩٩م لأنه كان الوحيد بين المرشحين الذي يتقن العربية. فكانت السيطرة الثالثة في التاريخ التي استمرت لمدة خمسة قرون. وكان العاصمتان الدينية والسياسية لعولمة هذه الحضارة هما مكة المكرمة والمدينة المنورة بما تعنيه عمارة الكعبة وتآلف مسلمي الأرض في كل زمان ومكان حول بيت الله بمكة كقبلة لهم وكذلك الحج الذي يأتي للمكان مسلميها من مشارق الأرض ومغاربها لأداء أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام واعتبار المدينة المنورة المركز السياسي للدعوة والتي يوجد فيها مسجد الرسول صلي الله

عليه وسلم وأول مسجد معماري صممه الرسول صلي الله عليه وسلم، وثالث هذه العواصم كانت مدينة القدس والتي بها المسجد الأقصى أول قبلة للمسلمين. (راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-٥)



شكل ٥-٥ مكة والمدينة والقدس بمبانيها وعمارتها مركز العواصم المقدسة في العولمة الإسلامية وكانت العاصمة الثقافية لتلك العولمة مدينة بغداد في المشرق بتخطيطها وقصورها ومسجدها، ومدينة قرطبة وغرناطة في الغرب
المصدر: "المصدر السابق"

بقصر الحمراء والأسوار والفكر والعلم ، وكانت القوة العالمية التي أفرزها ذلك العصر تتمثل باتساع رقعة التجارة العالمية في بقاع لم تكن معروفة من قبل شملت كافة مناطق العالم القديم بما في ذلك الكثير من جزر المحيط الأطلسي والبحر الكاريبي وجزر جنوب شرق آسيا. وأصبح الدينار العربي أساس كل المعاملات التجارية في العالم.(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-٦)



شكل ٥-٦ اسطنبول وغرناطة ومسجد الملك الحسن ملامح من عمارة العولمة الإسلامية
المصدر: "المصدر السابق"

٥-١-٤ عمارة بريطانيا وفرنسا

سيطرت السياسة بشكل كبير بعد عام ١٨١٤م وذلك بعد الحروب النابوليونية (فرنسا) في أوروبا وبعد مؤتمر فيينا، حيث برزت بريطانيا كقوة عالمية رئيسية، أمسكت بزمام السياسة الدولية في القرن التاسع عشر. وانفردت في الساحة الدولية كرائدة وقائدة للثورة الصناعية الأولى وتحكمت بالتالي في شروط التجارة العالمية، حيث أصبح الجنيه الإسترليني هو أساس كل المعاملات التجارية وسيطر الأسطول البريطاني على منافذ البحار ومسالكها ومضائقها (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس). وأصبح بالتالي رمزا لمرونة حركة القوة العسكرية في أي مكان في العالم .وعرف نظام السياسة البريطاني باسم عصر السلام البريطاني. وامتد هذا النظام على مدى ١٤٢ سنة (١٨١٤م-١٩٥٦م). وكانت لندن عاصمته وشاركتها باريس بمبانيهما من كاتدرائيات وقصور وكباري وساعة بج بن وبرج إيفيل وأصبحت اللغة الإنجليزية لغة العالم المتمدن والثقافة الأنجلوسكسونية ثقافة عالمية(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-٧)



شكل ٥-٧ فترة ازدهار العمارة البريطانية مع مشاركة فرنسا لهذه الحقبة

المصدر: "المصدر السابق"

٥-١-٥ عمارة أمريكا

بعد معركة السويس عام ١٩٥٦م جرى إعلان رسمي عن سقوط نظام السياسة البريطانية، وحلت الولايات المتحدة الأميركية بصورة آلية مكانها. وصارت وريثاً طبيعياً للسيطرة البريطانية وقائدة ثورة التقنية الأولى، وهي المتحكمة في شرايين التجارة العالمية، وسيطرت الأساطيل الحربية والتجارية الأميركية على بحار ومحيطات العالم بأسره .وأصبح الدولار الأميركي هو أساس كل المعاملات

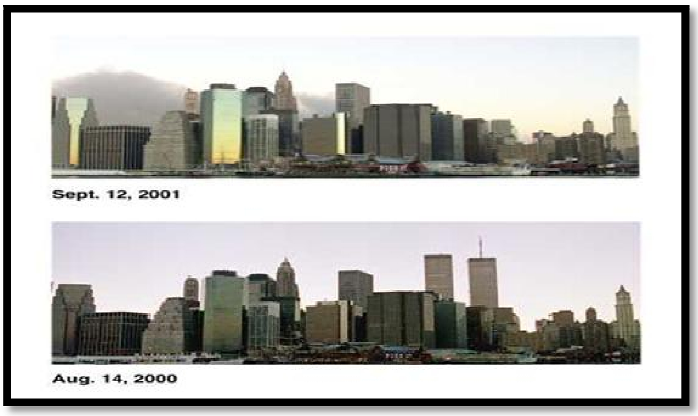
التجارية أصبحت بيد الرئيس الأميركي مقاليد النظام العالمي الجديد الذي أصبح يعرف باسم عصر السلام الأميركي. ومع بداية الألفية الثالثة أصبح واضح كيف تؤثر أمريكا على العالم وتساهم في انتشار الثقافة الأنجلو أميركية في مختلف أنحاء العالم . وأصبحت اللغة الإنجليزية هي لغة السلطة المسيطرة بلا منازع. وصارت نيويورك عاصمة السلطة السياسية المسيطرة الجديدة في التاريخ الإنساني (وفي نفس الوقت مركز الأمم المتحدة) وظهرت العمارة السياسية متمثلة في مجموعة البنايات والتي كانت خلاصة العلم والتقنية الحديثة.(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-٨)



شكل ٥-٨ مبني الأمم المتحدة بنيويورك والذي اشترك في تصميمه أشهر معماري عصر الحداثة وهو المصمم البرازيلي " أوسكار نيميار" لتأكيد عالمية المبني و مركز للعولمة والهيمنة الأمريكية

المصدر : "المصدر السابق"

و ظهرت عاصمة الثقافة والإعلام متمثلة بمركز هوليود وعاصمة لحكم العالم ممثلة في مدينة واشنطن بمبانيها الكلاسيكية المستمدة من الحضارتين الإغريقية والرومانية. كما هو موضح في الشكل (٥-٩)



شكل ٥-٩ تغير خط سماء مدينة نيويورك

المصدر : "المصدر السابق"

٥-٢ تسليط الضوء على أمثلة لتأثير السلطة والسياسة على العمارة

بعد ما تم التعرض لتعاقب الحضارات وإظهار أثر السلطة والسياسة على العمارة قديما، وعلى اعتبار أن السلطة السياسية هي قوة ومقدرة على السيطرة على الآخرين وحكمهم وضمان ولاء الطاعة من التابعين لهذه السلطة، سيتم في هذا الجزء التعرض لبعض الأمثلة القائمة التي تجمع بين القديم والحديث وتظهر رمزية السلطة السياسية فيها.

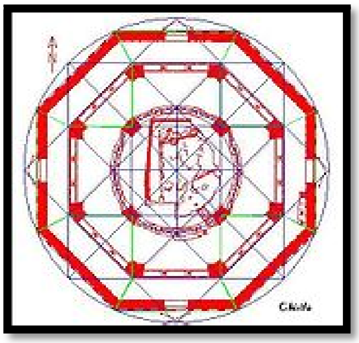
٥-٢-١ مسجد قبة الصخرة

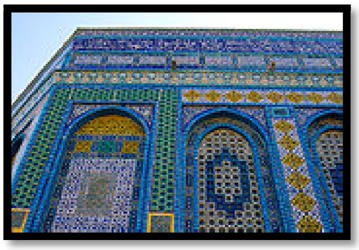


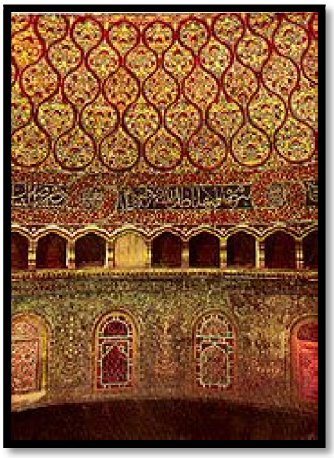
شكل ٥-١٠ منظور لقبة الصخرة
المصدر: www.ar.wikipedia.org

يعتبر مسجد قبة الصخرة من أبرز آثار المسجد الأقصى فهي تعد أول عمل معماري واع لعظمته، انتهى من بنائه عام ٧٢هـ /٦٩٢م وهي مبنية فوق صخرة مقدسة حولها ممران يدوران حولها بمسقط مثمن شامخة في الهواء في مركز الحرم القدسي على تل من تلال القدس، كما هو موضح في الشكل (٥-١٠)، وهذه القبة ذات التصميم الهندسي الذي يصل لحد الكمال والروعة كانت مزخرفة بالفسيفساء على سطوحها داخلا وخارجا وكانت ومازالت تبهر الرائين حتى إن كثيرا منهم لم يملكوا أنفسهم من إضفاء كل صفات البريق واللمعان عليها مهملين في الوقت نفسه للأسف أن يخبرونا ماذا كانت تلك اللوحات الفسيفسائية تمثل ولا يمكن أن يتم الحكم على موضوعات فسيفساء القبة حكما كليا لان جزءا كبيرا من الفسيفساء أموية فقد إلا أنه يوجد بعض الشواهد على هذه الموضوعات من فسيفساء الرواق المثمن الداخلي يمكن عند ربطها بدقة عمارة القبة الانتهاء إلى الرمزية السياسية لها(راشد،٢٠٠٥)

ويعتبر تخطيط قبة الصخرة لا يطابق أي تخطيط لنماذج العمائر البيزنطية في منطقة بلاد الشام أو في غيرها بل هو تحرير واقتباس منها ليتفق مع الغرض الذي شيد من أجله البناء وهو أن يحيط بالصخرة ، وهى البقعة المباركة التي عرج منها محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء حين أسرى به ربه عز وجل من مكة المكرمة إليها لذا فقد روعي في التخطيط أن يوفر غرض تعيين تلك البقعة ثم غرض الطواف حولها للتبرك بها . وهو أمر يختلف تماما عن الذي شيدت من أجله تلك العمائر الدينية البيزنطية ذات التخطيطات المشابهة التي عادة ما توجه نحو الحنية، ولا تتعدد فيها المداخل كما تعددت في قبة الصخرة، ومهما يكن من أمر فإن تخطيطات تلك العمائر الدينية البيزنطية ليست ابتكارات بيزنطية أو سورية بل كانت في الأصل تخطيطات رومانية دينية سابقة أخذت بدورها من أصول إغريقية (www.ar.wikipedia.org.). وتعد فسيفساء قبة الصخرة ذات مواضيع معقدة في أصولها وكيفية اختيارها ومعانيها فعلى خلاف النماذج البيزنطية التي تتشارك وإياها في التقنية ، تركز لوحات قبة الصخرة على المواضيع المحورة عن الطبيعة وتحصرها بالكتابات القرآنية والتسجيلية وبالتوريق والزخارف النباتية ، بعض الأشكال الغامضة اليوم ، والتي ربما تكون تحوير لتيجان ملوك ومستلزمات وظيفتهم من صولجانات ومجوهرات وما شابهها.(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-١١)







شكل ٥-١١ المسقط الأفقي لمسجد قبة الصخرة وبعض الزخارف المستخدمة فيه

المصدر: "المصدر السابق"

ولدراسة هذا المبنى ورمزيته فإن التوجهات السياسية والإعلامية والعقيدة تبرز فى الآيات القرآنية المختارة بدقة وفى تركيز وضع صور تيجان الملوك في الرواق حول القبة وبمواجهتها فالنص القرآني يحتوى على كل الآيات التي تتكلم عن المسيح في موقعه الإسلامى المختار كنبي مرسل (عزب، ٢٠٠٧) والتيجان تبدو أشبه ما يكون بالتيجان الحقيقية للملوك المغلوبين ، التي كان أباطرة الرومان والبيزنطيين يضعونها في معابدهم وكنائسهم كعلامات نصر ورمز إيمان بأفضلية معتقدهم. وبالتالي يمكن هنا النظر إلى هذين العنصرين الزخرفتين على أنهما بالنسبة لبناة قبة الصخرة وسيلتا دعاية لدينهم ولدولتهم المنتصرين خاصة إذ أن قبة الصخرة قد بنيت في القدس التي كان أغلب سكانها المسيحيين مازالوا يدينون بالولاء لإمبراطور القسطنطينية البيزنطي في وقت كانت الدولة الأموية فيه في خضم صراع مرير مع البيزنطيين في شمال بلاد الشام. فالقبة مبنى معماري ذو رمزية سياسية ينبئ في القدس عن رغبة الدولة الأموية في بث حضارة جديدة تعبر عن إتباع الدولة المقيمين في المدينة ويوجه رسالة إلى الآخرين عن مدى قوة الدولة ومضمون رسالتها وظلت قبة الصخرة بلونها الذهبي رمزا لمدينة القدس يعلوها الهلال الذي يوازى اتجاه القبلة وعندما استولى الصليبيون على القدس نزعوا الهلال من فوق قبة الصخرة وأقاموا مكانه صليبا من الذهب. وعندما استرجع صلاح الدين القدس مرة أخرى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٧م تسلق بعض المسلمين القبة واقتلعوا الصليب. وأعادوا الهلال إلى مكانه. هكذا شكل الموقع الذي شيدت عليه قبة الصخرة جانبا من الرمزية السياسية(راشد،٢٠٠٥)

٥-٢-٢ المستوطنات الصهيونية وجدار الفصل العنصري

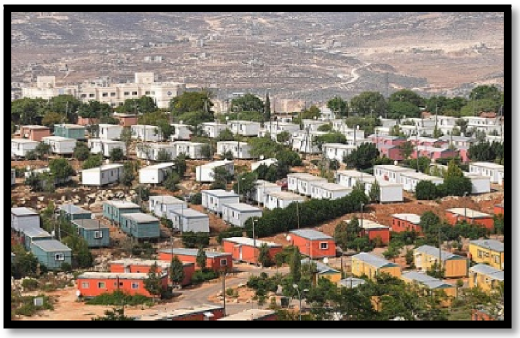
تعتبر العمارة الصهيونية أداة احتلالية غير مباشرة لاحتلال الأراضي الفلسطينية حيث إن العمارة الصهيونية تتواطىء مع السياسيين الصهاينة من خلال مخططات التوسع العمراني والمدني والذي يهدف بالدرجة الأولى للاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الفلسطينية وانتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني عن طريق سياسات تخطيطية حضرية لا أخلاقية. (السيد، 2012م)

فعلى صعيد بناء المستوطنات كان الهدف الأول والأساس للساسة الصهاينة بناء المستوطنات في أبعد نقطة ممكنة من حدود الكيان الصهيوني التي لم تكن واضحة المعالم لفترة طويلة . بحيث تشكل هذه المستوطنات مجموعة شبكية متواصلة ومحصنة تهدف إلى زيادة حدود الدولة الصهيونية وخاصة بعد ترسيم الحدود بين الكيان الصهيوني وفلسطين فاعتبرت المستوطنات هي الحدود وبذلك تقطعت أوصال الأراضي الفلسطينية وخاصة في الضفة الغربية. (السيد، ٢٠١٢)

هذا على صعيد التخطيط الحضري أما على صعيد التصميم الداخلي للمستوطنة فقد كانت تعتمد على وضع أبراج مراقبة وإحاطتها بأسوار للحماية وهذا بدوره جعل هذه المستوطنات في مجموعها تشكل شبكة عسكرية لحماية الدولة وبالتالي تم الاستفادة منها بوظيفة مدنية والأخرى عسكرية مع تطور نموها البتوغرافي. (السيد، ٢٠١٢)

وبشكل تفصيلي فإن المساحة الأرضية للمستوطنة تبلغ ٣٥*٣٦ م٢، محاطة بجدار من الخشب وأسلاك شائكة وفي وسطها برج مراقبة وضمن هذه المكونات الأساسية يتوزع داخلها ٤ وحدات سكنية وبها حوالي٤٠ شخص شكلها يكون عادة على شكل(X) وبالتالي فيها وحدة استيطانية تسللية عسكرية فهي سكنية + دفاعية + مراقبيه فالبرج له إطلالة بصرية وعسكرية في آن واحد والأسلاك دفاعية حدودية أيضا وبالتالي فهي كالقلعة أو الحصن إلا أن مفهوم القلاع يكون في اضعف منطقة للدولة بحيث تواجهه الأعداء الخارجيين ولكن وجودها داخل مناطق موزعة في المدينة فهذا يعني أن الأعداء هم في الداخل وهذا يعني أن المدينة ليست لهم فهم بحاجة لحماية أنفسهم من هجوم السكان الأصليين للمدينة فوضع السور يعني إحاطة الأراضي والاستيلاء عليها وبذلك كلما زادت عدد الأسوار المحاطة فهذا يعني زادت رقعة الأرض المحتلة . ومن ثم البرج وذلك لحماية هذه الأراضي من أصحابها إن صح التعبير حتى لا يستطيعوا استعادتها ، والمفاجأة ان هذه المستوطنات قد لا يكون فيها سكان أصلا فالهدف عسكري احتلالي بالدرجة الأولى . فالمخطط الصهيوني للمستوطنات كان هدفه الإشراف والإطلال على التجمعات الفلسطينية والإشراف على النقاط والمنافذ الإستراتيجية للطرق والمدن الفلسطينية بحيث يتم بعثرتها وعزلها عن بعضها البعض وبالتالي تم استغلال العمارة لأهداف سياسية عسكرية بحتة حيث ان هذه الخطة نجحت في الاستيلاء على اكبر مساحة ممكنة

من الأراضي والنقاط الإستراتيجية المهمة فمثلا تكون المستوطنات على قمم الجبال والتلال قمم الجبال والتلال كان لها مغزى استراتيجي تخطيطي فيزيائي بصري معماري، بينما المدن والقرى الفلسطينية تكون في الأسفل وبذلك يسيطر الأقوى على الأضعف ولعل الرؤية الأولى بان الانتشار كان عشوائي إلا انه منظم ومدروس وله مغزى من بعثرته هنا وهناك لبعثرة الأراضي الفلسطينية وتمزيق أوصالها . وبالتالي أصبحت المستوطنة ليست فقط سكنية بل نقطة مراقبة ومنطقة عمليات عسكرية حين الحاجة إليها للسيطرة على كل المدن الفلسطينية ومراقبتها من الجهات الأربعة. وقد ساعد التشكيل(x) على إنجاح عملية المراقبة إضافة إلى كل ذلك برزت مشكلة البنية التحتية حيث وجود المستوطنات على التلال يعني التصريف يكون على القرى الفلسطينية وبالتالي إجبار الشعب على ترك أرضه ولو بالقوة. وبالنسبة للتوزيع الداخلي للمساكن فقد كانت إطلالة غرف المعيشة والصالات باتجاه المستعمرة للخارج أما غرف النوم والخدمات فكان الاتجاه للداخل وبالتالي فالعمارة الصهيونية ارتبطت بالسياسة بشكل كبير. (السيد، ٢٠١٢م)، كما هو موضح في الشكل (٥-١٢)

شكل ٥-١٢ المستوطنات الصهيونية
المصدر : www.ar.wikipedia.org

أما على صعيد جدار الفصل بين الكيان الصهيوني وفلسطين فهو خلاصة إستراتيجية استيطان سياسية بالدرجة الأولى وذلك يحكم السيطرة المطلقة على الضفة الغربية وبالتالي قطع الطريق على قيام أي كيان فلسطيني قادم فالجدار يعمل على تقسيم الأراضي الفلسطينية إلى أجزاء متناثرة حيث انه ليس طويل ومتواصل يفصل بين جبهتين بل هو حواجز واسيجة وخنادق ومصدات إسمنتية تمنع الفلسطينيين من التنقل حول الأراضي الفلسطينية بحرية ويفتت ارض فلسطين بشكل متناثر ومبعثر.

أخيرا فإن المعماري الصهيوني لا يؤدي وظيفته الإنسانية الحقيقية بل الهندسة المعمارية مجرد قناع يغطي سياسة الدولة الصهيونية وعمارة الصهاينة ما هي إلا وثيقة إضافية ودليل تؤكد على مدى طغيان الاحتلال داخل الأراضي الفلسطينية وبالتالي هي تسلط وظلم فالعمارة هنا أداة لطغيان الكيان الصهيوني على فلسطين. كما هو موضح في الشكل (٥-١٣)



شكل ٥-١٣ جدار الفصل العنصري

المصدر : "المصدر السابق"

٥-٢-٣ البعد السياسي والتاريخ والمضمون للساحة الإيطالية

من الأسئلة البديهية التي تطرح لتعريف الفضاء الحضري العام وترتبط ارتباطا مباشرا به هي في حقيقة المدينة وتعريفها هل هي المدينة المتشكلة من عناصرها الفيزيائية أم هي المدينة كنتاج لنظام سياسي معين أنتجها وتحكم في إدارتها وأثر تأثيرا مباشرا على شكل ونوعية الفراغ الحضري العام بها؟ هل هي مدينة البيوت والمباني العامة الصرحية أم هي مدينة المواطنين كانعكاس للبينات الاجتماعية التي تتفاعل بها وتقطنها وبتركيز الضوء على الساحة كنمط محدد من الفراغات الحضرية العامة فهذين المظهرين من المدينة الفيزيائي والاجتماعي يمكن رؤيتهما معا في هذا الإطار والساحة بخصائصها وكعنصر رئيس في أية نظرية حضرية كانت على الدوام موضوعا للتفسيرات المنطقية ويمكن فهمها ضمن ثلاثة أطر رئيسة والتي تكرس مجموعة من القواعد : تفسير الفراغ الحضري كجزء من منظومة فيزيائية اشمل ومحاولة دمجه في متطلبات المجتمع المعاصر(كانيف، ٢٠٠٨)

تعتبر الساحة الإيطالية أحد أهم الفراغات العامة الحضرية والتي تجسد مدى التداخل المباشر للسلطة السياسية في صناعة القرار . فالسلطة السياسية باتت تؤثر على التصميم الحضري للبيئة المبنية والقرارات الخاصة بعملية التصميم الحضري بجملتها . وبشكل عام فإن الأطر السياسية والتصميمية الحضرية لتخطيط الساحات الإيطالية ما هي إلا علاقة بين النظم السياسية الإيطالية وبين طرق تمثيلها معماريا بما يشمل على تأثير العوامل الاجتماعية عليها. وقد ظهرت معظم الساحات في تمثيل البيئة المبنية الحضرية كعنصر حضري أوروبي له خصائص الفراغ المفتوح (السياسي والاجتماعي معا) حيث إنه يمثل نوعاً من الحياة العامة التي يعيشها السكان وبالتالي أصبحت متضمنة تراثا مستقبلا بالعامة وبنفس الوقت يظهر النظام الأيدولوجي السائد. وإذا كان هناك ثمة رابط بين الفن والسياسة فذلك يعني قبول الآلية التي يمكن للرمز أن يتمدد وينتقل للفراغ الحضري فالمعاني التي ترتبط بالأشكال والأيقونات التي تكتسب صفة في الفراغات الحضرية الناتجة كعناصر ثنائية وثلاثية الأبعاد كنص مستوحى من هذه الأشكال و الأهم كأفكار ضمنية مفهومة يوحيها الشكل الحضري يمكن استعادتها من الشكل الحضري والتي تكون ظاهرة بسهولة في الفراغات الحضرية ووجد لها في الغالب جمهور عام أو مؤدلج يرتبط بالمعاني الخاصة والمحددة التي توحيها وتشكيل الفراغ الحضري بحد ذاته ناتج عن عملية أيدلوجية ويتجلى في الكثير من الفراغات التي أنتجت بواسطة أنظمة سلطوية برغم أن العملية معقدة وليست أحادية أو خطية باتجاه واحد. (كانيف، ٢٠٠٨)



شكل ٥-١٤ الساحة الإيطالية الذي صممها المعماري "تشارلز مور"

المصدر: "المصدر السابق"

٥-٢-٤ مبنى التجارة العالمي

فقدت العمارة الحديثة أحد معالمها المميزة صبيحة يوم الحادي عشر من سبتمبر وهو الرمز المتمثل في برجي مركز التجارة العالمية بمدينة نيويورك. وقد بدأ العمل في إنشاء مركز التجارة العالمي عام ١٩٦٦م وانتهى في عام ١٩٧٢م. ويحتوى المركز الذي بلغت مساحته ١٦ فداناً على عدة مبانٍ أهمها البرجان البالغ ارتفاعهما ١١٠ أدوار وبارتفاع ٤١٦ م. وتخطى ارتفاعهما كلاً من برج إيفل في باريس ٣٠٠م والامبايرستيت ٣٨١م أعلى مبنى في العالم وقتها. إضافة لتأثيرهما على خط سماء نيويورك فقد تم تقليد التكوين المعماري لشكلهما المميز في أماكن عديدة من العالم منها برجاً باتروناس بمدينة كوالالامبور بماليزيا وهما أعلى برجين في العالم حاليا ٤٥٢م وقد استمر المركز أعلي ناطحات السحاب في العالم حتى عام ١٩٧٤م حتى بناء برج سيرز الشهير بمدينة شيكاغو والذي وصل ارتفاعه إلى ٤٤٣م. (كانيف، ٢٠٠٨)

ولعل رمزية هذا المبنى ظهرت من دلالة سيطرة الشركات والاقتصاد علي نمط الحياة في مجتمع العولمة، وعلي السياسة والسلطة المتحكمة في السوق وما ينعكس علي ذلك ثقافيا واجتماعيا وعمرانيا،وقد أصبح المبني الواحد يحتوي علي مجموعة من تعداد السكان والأنشطة والعلاقات والتعاملات التي تساوي عدد سكان قري أو في بعض الأحيان مدن بكامله. (المصدر السابق)، كما هو موضح في الشكل (٥-١٤)

وعلى الرغم من انهيار المبنى إلا أن الساسة والاقتصاديين لا زالوا على صلة بالمكان لرمزيته العالية حيث أنه لا زال شاهداً على الحدث وهناك عدة أفكار عن إعادة البناء أو تركه شاهد على الفترة السياسية التي مرت بها عملية التدمير أو تحويله إلى متحف مفتوح حيث أن هذا التدمير كان له دور سياسي في التعامل مع شعوب العالم من خلال التصنيف القائل (بعد أحداث ١١ من سبتمبر).



شكل ٥-١٦ مركز التجارة العالمي والأمبايرستيت عمارة العصر الحديث للمعماري "ديفيد شيلدز"
المصدر : (راشد،٢٠٠٥)

٥-٢-٥ قصر الثقافة (تشاوشيسكو) – موسكو

كانت للسلطات الشيوعية في أوروبا الشرقية دوراً وممارسة للتداخل بين السياسة والعمارة حيث تُوجت بفكر الاشتراكية التي تبناها ستالين وبثها في موسكو ووارسو وبوخارست وصوفيا ومازالت المدن حائرة من أمرها في ما تفعله بتلك المباني المعمارية. وقد كانت العمارة تكتنفها الأسرار، لكنها انكشفت تباعا بعد سقوط الشيوعية. وكان أعلي مبني في معظم عواصم المعسكر الشيوعي يسمي "قصر الثقافة" تم إهداؤه من موسكو لشعوب هذه الدول، ولكنها في الواقع عمارة ترمز لخضوع هذه الشعوب للاتحاد السوفيتي وسلطاتها(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-١٥)

لقد كان الرئيس الروماني السابق نيقولاي تشاوشيسكو هو الأكثر وضوحا في تلك الصورة القاتمة، ولاسيما كونه الوحيد الذي دفع حياته ثمنا مقابل صرح أراد أن يدخل التاريخ من تحت بوابته، لكنه خرج صريعا من دون أن يهنأ بسكناه أو القبر به. إنه قصر(انتصار الاشتراكية) ويسمى اليوم قصر الشعب، وهو مبني مهيب يقع في قلب العاصمة بوخارست، على ربوة من الأرض كان قد اختارها الرئيس بنفسه تشرف على المركز التاريخي والديني للمدينة، في تل يوجد عليه كنائس المدينة القديمة وأحياءها وقد فكر بالأمر بعد الزلزال الذي ضرب بوخارست في عام ١٩٧٧م وأدى إلى تحطيم



شكل ٥-١٦ قصر تشاوشيسكو: يحتوي ألف حجرة الصور تبين ضخامة القصر الذي استنفذ دخل دولة بكاملها لعدد من السنوات

المصدر: "المصدر السابق"

مبانيها ليستثمره لصالحه ويحقق من ورائه أمل ان يترك اسمه مدويا في التاريخ. فكان قراره في نهاية السبعينات أن يهدم مركز المدينة لينشئ القصر الذي كان لا يمكن أن يبني من دون هدم أجمل عمائر المدينة، وأقدم كنائسها وخاناتها ومساجدها وأسواقها التي كانت قد هدمت بعد خروج العثمانيين منها عام ١٨٧٨م. والقصر جزء من مجمع متكامل يتضمن ميدانا منسقا بالأشجار ونافورات المياه ومراكز تجارية وسكنية للطبقة السياسية والأمنية التابعة للسلطة. والقصر يحتوي على أكثر من ألف من الحجرات والقاعات ومزود بأحدث مرافق الحماية ولاسيما الحروب النووية، ونفق يمتد إلى ٤٠ كم كمهرب لخارج المدينة، ويرتفع القصر اثني عشر طابقا فوق الأرض وسبعة تحته. ويحتل مساحة من الأرض قدرها ٥٠٨,٠٠٠ م٢، وعمل به ١٧ ألف عامل ابتداء من عام ١٩٨٤م، وتم رصد كل طاقات رومانيا المعمارية والتخطيطية والتنفيذية والمالية، وطلب من الشعب أن يشد الحزام إلى الحد الذي جعلهم يتضورون جوعا، ويشتري مستلزمات السلطة وتجهيزات البناء، إلى حد استيراد الخرسانة من أستراليا. أما الجانب المعماري فقد أعيد التصميم في المشروع 12 مرة ليعاد العمل به كل مرة من جديد. لقد أراد تشاوشيسكو أن يجمع به كل طرز المعالم التي شاهدها وليتفوق عليها ابتداء من قصر (تيان آن مين) الصيني حتى قصر (بكنجهام (الإنجليزي، فجاء طراز القصر نشازا في أكثر أجزائه بالرغم من البذخ الذي يتمتع به. وشارف تشاوشيسكو على نهاية المشروع قبيل لحظة إطلاق الرصاص عليه وزوجه أليناً. (راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-١٦)





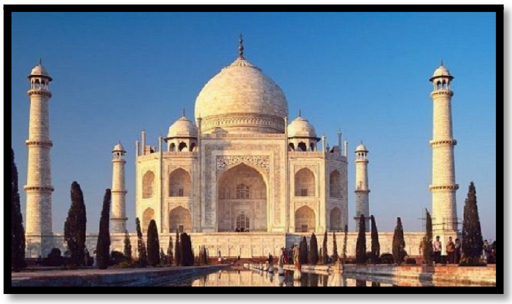
شكل ٥–١٧ أفخم أنواع التشطيبات في الأرضيات والحوائط والسقف

المصدر: "المصدر السابق"

٥–٢–٦ قصر تاج محل

لقد كان للضريح دورٌ بارزٌ في إعطاء رمزية للسلطة السياسية في العديد من مدن العالم الإسلامي، وقد أبدع المعماريون في تكوينه وزخرفته ليصبح أحد مفاخر السلطة، وبلغ هذا الأمر ذروته في ضريح تاج محل في الهند، والذي يقع على الضفة اليسرى من نهر جمنا، وهو عبارة عن ضريح الحدائق، تتقدمه حديقة فخمة بها حوض ماء تنعكس فيه صورة المبنى نفسه. (راشد،٢٠٠٥) وعلى بعد منه وراء الضريح بناء آخر عبارة عن مسجد، ويتقدمه خان يستخدم حالياً بوابة ضخمة، والضريح مصفح بالمرمر الناصع البياض في حين أن البناءين أمامه وخلفه من الحجر الأحمر، وهذا يؤدي إلى إبراز الضريح بمرمره الأبيض، والضريح مشيد على مصطبة مربعة طول ضلعها حوالي ٥٠ متراً يزخرفها وحدة مكررة من دخلات معقودة قليلة الغور ومسطحة من الداخل، وفي كل ركن من أركان المصطبة مئذنة. والضريح مقام وسط المصطبة، وهو بناء مشطوف الأركان، وفي كل شطف عقدان فارسي ضخم (مدبب) وفي كل من جانبي المدخل عقدان يتماشيان مع عقدي الأركان ويفصل بين العقود جميعاً أعمدة رشيقة مندمجة ترتفع إلى ما فوق سطح الضريح، وهو باب معقود وفوقه نافذة تكاد تساويه في الشكل والحجم، ويعلو البناء قبة بصلية ضخمة فوق رقبة طويلة، وفي أسفل القبة شريط من وحدات نباتية أشبه بشجيرات محورة تبدو وكأن القبة تنبثق منها، وتحف برقبة القبة قباب أربع تقوم على ثمانية عقود مفصصة ترتكز على دعائم، أما في الداخل فيوجد قبران من المرمر هما قبر شاه جهان وزوجته ممتاز محل، وسطح البناء من الداخل على هيئة قبة نصف كروية هي القبة الداخلية التي تعلوها القبة الخارجية البصلية. جمع تاج محل إذن بين الفخامة في المظهر والدقة في

النسب المعمارية والجمال في العناصر الزخرفية. (راشد،٢٠٠٥). يعرف نموذج تاج محل بأضرحة الحدائق، وإن كان بناؤه ارتبط بوفاء شاه جهان لزوجته، إلا أنه ضريح سلطوي يعبر عن قوى السلطة واستقرارها في الهند، ومن أبرز نماذج هذه الأضرحة في الهند ضريح همايون في دلهي ١٥٦٥م. وهو إن كان أقل جمالاً من تاج محل إلا أنه يشبهه، ويشكل ضريح تاج محل قمة التطور نحو الكمال الفني والمعماري(راشد،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥-١٧)



شكل ٥-١٨ مبنى قصر تاج محل
المصدر : www.ar.wikipedia.org

٥-٣ المسجد الأقصى والصراع العربي الصهيوني

المثال المعماري عن الصراع على القدس واللبس بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة. حيث إن المستشرقين واليهود يقومون بجهود حثيثة ومكثفة ضمن مخطط مرسوم هدفه التهوين من قدسية القدس ومكانتها في الإسلام من جهة وتوكيد أهميتها ومركزية النظرة إليها من التصورات اليهودية من جهة أخري. ويكفي قضية ديزني ومعرض الألفية مع وضع القدس عاصمة للكيان الصهيوني ضمن معركة الإعلام بهدف تثبيت المفاهيم وفرض الأمر الواقع. (السيد،٢٠٠٥)

ويتعمد المستشرقون واليهود إثارة مجموعة من القضايا التي تتصل بتاريخ مدينة القدس وحضارتها منذ بداية فتحها على يد المسلمين عام ٦٣٧م حتى سقوطها في يد الإنجليز بعد هزيمتهم على يد الأتراك العثمانيين عام ١٩١٧م وكان الهدف من إثارة هذه القضايا التدليل على أن المدينة لم تكن لها أية مكانة مميزة في الإسلام ولم يكن لها أهمية تذكر من الناحيتين الإستراتيجية والإدارية. وفي محاولاتهم المستمرة يتم في العادة التشكيك ونفي الصفات الإسلامية المميزة للعمارة المقدسية كما ذكر

شلومو غويتاين " بأن فترة الحكم العربي التي امتدت من ١٠٩٩م–١٦٣٨م ذات أهمية بالغة لأن القدس لم تتحول خلالها إلى مدينة عربية لا في ظاهرها لأن مخطط المدينة أو الخارطة البيزنطية للمدينة وكثيرا من المباني المسيحية بقيت كما هي دون تغيير إلا أنه لو كان هناك أي دلائل عما يسمى بالعمارة اليهودية أو المعالم اليهودية العمرانية في المدينة لما كان هناك مبرر للتشكيك في العمارة الإسلامية ويتم فقط إبراز ماهية العمارة اليهودية ذكرها لدعم فكرة التواصل التاريخي والحضاري لليهود في ما يسمى ارض الميعاد عند اليهود مما يدل على أن تلك العمارة لم يكن لها وجود في تلك الفترة.(غنام،٢٠٠٥)، كما هو موضح في الشكل (٥–١٨)



شكل ٥–١٩ المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ومحاولات مستمرة لعمل خلط بين الاثنين وإدعاء وجود الهيكل أسفل الموقع مع صورة تبين حريق المسجد في عام ١٩٦٩

المصدر : (راشد،٢٠٠٥)

أما قضية الهيكل الدائم إثارتها فإن معظم الفرق اليهودية لا تقر إعادة بناء الهيكل لأسباب دينية. والهيكل حاجة نفسية وركيزة معمارية وضرورة ثقافية وعنصر حضاري، لخدمة الوجود السياسي لليهود في القدس خاصة وفلسطين عامة، أكثر من كونه ضرورة دينية .والدليل على ذلك أن اليهود لم يبنوا الهيكل المزعوم إلا بعد انقضاء ٤٨٠ عاما من نزول الشريعة على سيدنا موسى. وادعاء وجود هيكل لا أساس له فجميع أعمال التنقيب التي قام بها علماء الآثار ومهندسو الجيش البريطاني والأثريون اليهود منذ سنة ٢٠٠١–١٨٣٨م لم تسفر عن كشف أي بقايا أثرية لها علاقة بالهيكل المزعوم(بهنسي ،٢٠٠١). وخرج علماء الآثار اليهود بنتيجة أنه لا وجود مادي للهيكل المزعوم. إلا أن أطماعهم السياسية لا تريد الاعتراف بما توصل إليه علم الآثار من نتائج، هذا بالإضافة لحاجتهم النفسية لهوية معمارية تدعم كيانهم السياسي المصطنع، الأمر الذي دفعهم لتوظيف مصادرهم الكتابية الملفقة مرة أخرى ليعززوا زعمهم بوجود الهيكل. والادعاء اليهودي بأن جزءاً من الحائط

الغربي للمسجد، والبالغ طول ٤٨ مترا، هو من حائط الهيكل المزعوم تم في نهاية القرن السادس عشر الميلادي عندما زار القدس إسحق لوري اليهودي قادما من القسطنطينية وأطلق هذا الإدعاء. وربما يكون هذا الادعاء هو بداية التنفيذ العملي لإقامة دولة لهم في فلسطين .وأصبح الهدف الرئيسي حاليا هو إزالة قبة الصخرة والمسجد الأقصى كغاية وهدف للقضاء على الهوية المعمارية العربية الإسلامية للقدس. وتمهيدا لتحقيق هذا الحلم فإن المعماري والأثري اليهودي لين ريتمير قام بعمل دراسة تفصيلية وموسعة لموضع الهيكل المزعوم مكان قبة الصخرة المشرفة، كما قام بعمل نموذج للهيكل المزعوم ويتم عرضه في الكتب المرجعية والمؤتمرات العلمية بصور وشرائح ملونة توضيحية وعرض لبعض طقوس العبادة التي تمارس في الهيكل مع تفاصيل لأجزائه ولأثاثه ولطقوس العبادة فيه .وعليه يظهر جلياً أن توظيف الدين والظواهر الثقافية الأخرى مثل العمارة، لخدمة الأهداف السياسية لليهود، أصبحت حقيقة مطلقة في الوعي اليهودي، وأكذوبة تناقش كواقع في الوعي العربي الإسلامي. وقد شارك رجال دين وفنانون ومعماريون وفلاسفة وعلماء تاريخيا وحتى اليوم مثل ديكارت ونيوتن في وضع تصورات لتصميم الهيكل. ولكن الواقع أن قصة الهيكل أصبحت شبيهة بقصة معادة السامية ادعاءا وتضخيماً وكذباً، توظف في خدمة أهداف اليهود دينيا وسياسيا. (السيد،٢٠١٢)

٥-٤ واقع العالم العربي في الوقت الحاضر

إن الحراك السياسي والاجتماعي الذي يشهده العالم العربي حاليا لابد أن يعيد صياغة للشارع العمراني و ربما يصنع هوية جديدة تنبع من داخل المجتمع وتؤكد على تطلعات الإنسان البسيط العادي الذي يريد العيش في المدينة كما يتصورها لا كما تفرض عليه المدينة التي تحقق له حياة كريمة لا تلك التي تزيد معاناتهم. وبقراءة الخارطة السياسية العربية الحالية بتأني والتفكير في نفس الوقت في الخارطة العمرانية المستقبلية للمنطقة فإن ما حدث في السابق كان شبه قطيعة بين الفكر السياسي والعمراني لأن السياسة فرضت عمارتها الخاصة كما فرضتها الأنظمة الشمولية في موسكو وروما وبرلين وحاولت فرضها على القاهرة فظهرت العمارة تعبيرا عن التوجه السياسي الشمولي أو الاشتراكي دون أن يكون للمجتمع دور بارز فيها. أما اليوم فإن الحراك الاجتماعي في المنطقة العربية هو الذي سيعلو صوته بالدرجة الأولى الأمر الذي يتوقع أن المنتج العمراني سيكون أكثر قربا من المجتمع لا السياسة ولا يمكن الفصل هنا بين إثنين لكنها مسألة نسبية ويمكن أن يُتصور مستقبل المدينة العربية أنها ستكون ديمقراطية وبالتالي سوف تندمج الحركة السياسية بالحركة

الاجتماعية لتخرج منها أفكار ديمقراطية تقود الشارع العمراني في المدينة العربية إلى ما يشبه الإدارة المجتمعية للعمران طبعا هذه امنيات وتطلعات لأن فكرة المدينة الديمقراطية نفسها ليست واضحة بما يكفي حتى في المجتمعات الديمقراطية لكنها على الأقل سوف تكون أفضل بكثير من الحالة التي تعيشها المدينة العربية بالوقت الراهن. .(النعيمي، ٢٠١٢).

فمثلا ميدان التحرير أصبح اليوم المكان الرمز الذي يصنع تاريخ القاهرة المستقبلي ويعبر عن حراكها الاجتماعي المهم فهذه الحركة سوف ترتبط بهذا المكان وسوف يكون للمكان العام أهمية مغايرة في المدينة العربية من الآن فصاعدا وسوف تتشكل معاني حضرية سياسية جديدة ربما تعيد التفكير كليا في تخطيط المدينة العربية وبالتالي يوجد تحدٍ كبير سيقف عائق لكنه دون شك تحولا يتطلب اليقظة وتفكير وفهم لأسبابه ونتائجه ويحتاج للبحث عن آليات التكيف معه.(النعيمي، ٢٠١٢)

ولعل أول ما سيحدث في حالتنا العربية هو تراجع "عمارة الفرد " ومدينة الفرد " كي تصبح عمارة المجتمع ومدينة المجتمع " فمنطقتنا تعبت على ما يبدو من تحكم الفرد في مصيرها وصارت تبحث عن التساند الاجتماعي الذي تشكلت عليه في الاساس فالمجتمع العربي والمدينة العربية لهما بعدهما التساندي التاريخي اذا ما فسرنا مثلا " القبيلة " والعشيرة والعائلة على انها صور من صور التساند الاجتماعي الذي تشكلت على ضوئه مفهوم العمارة والعمران في المدينة العربية منذ القدم في وقتنا الحاضر المدينة العربية تنبذ تحكم الفرد في مصيرها وتبحث عما هو ابقى تبحث عن صيغ اجتماعية إدارية تمكن المجتمع من ادارة المدينة لا القرارات الفردية التي غالبا ما تعبر عن مصالح من يتخذها لا مصلحة المجتمع هذه الصيغة المعاصرة تجعل من كل الأفراد قبيلة واحدة وهذا في حد ذاته تجديد مقبول لمفهوم القبيلة الذي يمثل المجتمع ككل وينبذ الفئوية ويقف بقوة امام تسلط الفرد على المجتمع ومقدراته الشارع السياسي العربي الجديد يعد بكل هذه التحولات المهمة والمثيرة لابد ان يشكل مفهوم جديد للتخطيط العمراني امنى من المتخصصين البدء في بناء مكوناته وتوجهاته الفكرية من الان لانها فرصة لن يجود التاريخ بمثيل لها . (النعيمي، ٢٠١٢)

٥-٥ الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري في القدس

تتميز الأمم بمنتجاتها الفكرية والثقافية والتكنولوجية التي تقدمها فكرة الحضرية والاستقرار، بما يشكل مصدرا للتميز الثقافي بين هذه الأمة وتلك وبما يشكل زمنيا معالم تراثها والأصالة التي تنتمي لها هذه الأمة. لكن في حالة تعايش نظامين على نظام استبدادي لمحاولة طمس مظاهر الحضارة والوجود للطرف الأضعف، في مثل هذه الحالة، تسود "السيطرة " الثقافية والحضارية والسياسية في غياب عمليات المسح والتوثيق والقوانين الضابطة والرادعة للحفاظ على الموروث بكافة أنماطه وأشكاله. وتتجاوز أبعاد هذه السيطرة على اختلاف أشكالها ومسمياتها ومضامينها حدود العناصر ذاتها لتشمل أبعاداً وجودية وضمن أطروحات ثقافية وسياسية. في هذا الجزء من الفصل سيتم التحدث عن ما هي خطط الاحتلال الصهيوني لطمس معالم مدينة القدس؟ وما هي السبل التي يمكن اتباعها للحد من هذه العملية التخريبية والحفاظ على الموروث الحضاري لمدينة القدس؟. (السيد،٢٠١٢)

٥-٥-١ أساليب طمس الحضارة في القدس

لقد تعددت أوجه التعدي على الموروث الثقافي والعمراني بشكل عام، وتراوح بين السرقة والتخريب والاقتباس والتحريف والتهويد والتسجيل، وكلها تهدف للسيطرة والمسح والتمهيد لطمس ثقافة شعب ما ونزع صفة الشرعية عن وجوده الثقافي أو الحضاري في مكان وزمان معينين، ففي مناطق الصراع العسكري يستباح الموروث الثقافي والحضاري وتحتل عملية سرقته أولويات الحكومات الاستعمارية وخاصة التراث الفلسطيني الذي يحيط به قضايا سياسية تخص سياسات التهميش والتغييب من قبل سلطات الاحتلال لطمس معالمه، ولتفريغ الأرض من تراثها وشعبها، وهذا الطمس طال مختلف مناحي التراث الفلسطيني الذي تسعى الكثير من المنظمات الفلسطينية والأفراد الحفاظ عليه وتوثيقه في مواجهة سياسات التهويد والتغييب الثقافي وطمس الهوية الفلسطينية.(السيد،٢٠١٢) وحيث أن التراث العمراني الفلسطيني يحتوي على عدد لا يحصى من المآثر العمرانية الفريدة التي تعود للعديد من الحقب الإسلامية التي توالت عليها فقد حاولت سلطات الاحتلال تهويد الكثير من معالم التراث العربي الإسلامي بفلسطين، والتي تنوعت ما بين المدارس والمساجد والرباطات والزوايا الدينية

والسبل والبوابات والبيوت التقليدية وغيرها. إضافة إلى السياسة التي تتبعها للاستيلاء على الاراضي الفلسطينية من خلال الاستقطاعات التي تستقطعها إما لإقامة مستوطنات على أراضي مواطنين أو ما يسمى الجدار الفاصل للحفاظ على أمن الكيان الصهيوني.(صحيفة هآرتس الصهيونية، ٢٠٠٨)

وكجزء من التراث العربي والهوية الفلسطينية لم يسلم ايضاً فن الزخرفة (السهلي، ٢٠٠٤) الذي طبع فلسطين بطابع خاص بها خلال قرون طويلة، بالرغم من أن الاتفاقات الدولية تنص على حماية المباني التاريخية في حال الاحتلال إلا أن السلطات الصهيونية لا تأبه بهذه الاتفاقات بل تمعن في الاعتداء على الأبنية وزخارفها التاريخية في فلسطين، ضاربة بعرض الحائط القرارات الصادرة عن المنظمات الدولية. وقد حاولت سلطات الاحتلال تشويه وتهويد وطمس معالم هذا الفن المرتبط بالدين الإسلامي ومعالم الحضارة العربية المستمد من آيات القرآن الكريم.

ولأن القدس هو هدف هذه الدراسة فإن الاحتلال الصهيوني يملك مخططات تهدف إلى تشكيل مدينة القدس وبخاصة شرقيها منها والبلدة القديمة بالشكل الذي يمنع تقسيمها أو المطالبة بها بأن تكون عاصمة الدولة الفلسطينية. وتفصح الوثائق الحديثة عن المخطط الصهيوني الخمسي لتهويد القدس ببناء الهيكل المزعوم، والذي يطلق عليه اسم مشروع "واجهة القدس".ويهدف لإنهاض مكانة ما يدعى (بالخوض التاريخي) والذي يمتد من باب المغاربة جنوب المدينة إلى المنطقة الشمالية منها والتي تدعى وادي الجوز، وبهدف جذب واستيعاب سياحي لعشرة ملايين سائح سنويا يتم استثمار عوائدها لذخائر تراث واجهة القدس لتحويل صورة القدس إلى مدينة يهودية بتغيير ملامحها بعد بناء الهيكل. (صحيفة الدستور الأردنية، ٢٠٠٨) يعتبر هذا المخطط (مؤسسة الأقصى للوقف والتراث، ٢٠٠٩) أخطر مخطط لتهويد المدينة تدريجيا والقضاء على تراثها العربي الإسلامي ومحوه من خلال فتح المسجد الأقصى المبارك أمام حج اليهود إليه كجبل الهيكل المزعوم تمهيدا لهدم المسجد الاقصى وبناء كنيس مكان مقر الهيئة الإسلامية العليا والمدرسة التنكزية المطلة على حائط البراق (وهو ما تشير إليه السلطات الصهيونية جاهدة باسم حائط المبكى)، كما وتم عمل متحف ديفايد سون، (بمعنى طبقات من التاريخ) وذلك تحت المسجد الأقصى والذي تكمن فكرته الرئيسية في إيجاد ثلاث طبقات زمنية وهي تمثل الفترات الزمنية التي مر بها المكان حسب الخطط المتبعة لتهويد المكان. وقد دأب

المصممون على عمل فكرة تحتوي على استراتيجية "لأقلمة فراغ أثري عمره الزمني يقارب ١٥٠٠ سنة مع وظيفته الجديدة كمتحف يحوي أنظمة لوجستية متطورة تمحورت هذه الاستراتيجية في ابتداع كتلة صندوقية بسيطة التكوين من الزجاج الشفاف حاول مصمموها جعل ارتفاع سقفها فوق مستوى الأرض أقل ما يمكن حتى لا يطغى حضورها على الموقع الأثري المحيط ولتشير بوجودها هذا إلى الطبقات الغاطسة تحت الأرض والتي تمثل الجزء الأعظم من المبنى" (العمران،٢٠١٣) .

أما الفترات الزمنية التي تم الإشارة إليها فهي فترة آثار للهيكل المزعوم تعود إلى (٥١٦ق.م–٧٠م) وهي تمثل عصر الهيكل الثاني، أي الوجود اليهودي في تلك الفترة في الطبقة الأولى، والطبقة التالية (الوسطى) تمثل معروضات تعود إلى العصر البيزنطي (٣٣٠م–٦٣٨م) حيث تمثل هذه الآثار الوجود المسيحي في المكان في ذلك العصر ثم الطبقة الثالثة والتي تمثل حكم الأمويين والخلافة الإسلامية (٦٣٨م–٧٥٠م) وبناء قصور بني أمية الأربعة، وتقع هذه الطبقة على مستوى مدخل المشروع، وهي نقطة انطلاق الرحلة، لينحدر الزائر بعدها نحو أساسات البناء القديم (أي نحو الطبقتين السابقتين) من خلال منحدرات خشبية، زاعمين بذلك أن اليهودية هي الأساس التاريخي لمدينة القدس. وذلك بالتأكيد عكس الحقيقة الفعلية في عدم وجود أي أثر يهودي واحد في مدينة القدس. حيث أن الآثار الموجودة جميعها إسلامية وبيزنطية وكنعانية. هذا وقد استغل المصممون بقايا قصور بني أمية لتبدو كدعائم لسقف البناء الحديث الذي لا يلمس تماماً الجدران القديمة. بل يرتكز على أعمدة حديثة الصنع – أكثر ارتفاعاً– ليكبر معها بالتالي حجم الفراغ الداخلي. كما وحاولوا جعل البناء الحديث وكأنه يطفو فوق البناء القديم من خلال تشييده بحوائط الزجاج الشفافة والرفيعة والناعمة، وكأنها غلاف جديدة للحجارة القديمة السميكة الخشنة. لتكون نتيجة ذلك التزاوج تقديم طبقات القدس التاريخية (المزعومة) للجمهور بطريقة تحمل جمال التضاد والتوازن والتكامل بين القديم والحديث. عند وصول الزائر لأي طبقة من الطبقات الثلاث المدفونة تحت الأرض، لن يحوله ذلك دون استمرار التواصل مع العالم الخارجي ومشاهدة ما في الخارج من آثار وذلك من خلال الحوائط الشفافة والفتحات الزجاجية العلوية التي استدعها المصممون (كنواطير) ترصد لزائر المتحف مشاهد حية للمسجد الأقصى المبارك، في نفس الوقت الذي تجلب فيه هذه النواطير الزجاجية

الإضاءة السماوية للفراغات في الأسفل، وتظهر من خارج المتحف بتكوين مخروطي يجعلها تبدو (كالفانوس).(العمران،٢٠١٢) كما وضعت مجسما لهيكل سليمان عليه السلام، عدا عن معهد دينى لتعليم التاريخ اليهودي. وبحسب المخطط فستعمد السلطات الصهيونية الى فتح واقتحام الباب الثلاثي في الواجهة الجنوبية للمسجد الاقصى المطلة على سلوان عبر نفق او ممر من الحقبة المملوكية اغلق بعد الزلزال الذى ضرب المدينة في بداية القرن الماضي، وذلك كى تتمكن المجموعات الاستيطانية من اقتحام ساحات المسجد الاقصى الجنوبية بسهولة كمنفذ للهيكل. وكذلك حفر نفق ضخم من باب الخليل غرب المدينة الى باب المغاربة جنوبها لتسهيل وصول المستوطنين واليهود من غرب المدينة الى شرقها وكل ذلك أسفل البلدة القديمة .ويتضمن المخطط الصهيونى بناء محطة حافلات ومحطة القطار فوق الارض لربط باب الاسباط بالمستوطنات والبؤر الاستيطانية بجبل الزيتون.وتغيير معالم باب المغاربة بحيث يقطع الباب جسر معلق ضخم وبناء مبانى حكومية صهيونية تربط القدس الغربية بما يسميه المتوطنون الصهاينة (مدينة داود).وبحسب هذا المخطط الخمسي الرهيب تدخل المدينة تدريجيا تحت السيطرة الصهيونيةذ الكاملة. (العمران،٢٠١٣) وهكذا تسرق العمارة وتحرق الثقافة، ويصمم المعماري العدو ويستغل العمل ويوجهها في تزوير التاريخ ويجعل من التصميم المعماري قصة تروي الأكاذيب، لذا لا بد من وقفة معمارية قوية في وجه هذه الأكاذيب كي تبقى القدس للمسلمين.

وقد تصاعدت حملة الاحتلال لهدم الأقصى بالإضافة إلى قيام سلطات الاحتلال الصهيوني بتهويد " وعبرنة" أسماء المدن والقرى الفلسطينية، و "تهويد" وشطب الأسماء العربية عن لافتات الطرق واستبدال أسماء عبرية كما تلفظ بها بالعبرية، بحيث تظهر القدس على اللافتات "يروشلايم" والناصرة" نتشرات"، وعكا "عكو".(http://www.ammonnews.net)

ومن أبرز معالم التهويد لمدينة القدس محاولة تهويد حائط البراق وذلك لأهمية موقعه كجزء من الحائط الغربي للحرم الشريف بالقدس والمسجد الأقصى حيث تسعى سلطات الاحتلال جاهدة لهدمه من عشرات السنين، وما تزال محاولاتها جارية بإجراء حفريات تحت دعوى البحث عن الهيكل المزعوم. وتبلغ بعض هذه الأنفاق ٦٠٠ متراً ومنها نفق عين سلوان الممتد من جهة الشرق بعمق

أكثر من عشرة أمتار وعرض خمسة أمتار. وما تزال محاولات الصهاينة في الاعتداء على التراث الفلسطيني قائمة، وقد أعلن عن محاولة صهاينة متطرفين إضرام النار في أحد أبواب المسجد الأقصى بعد إحراق منبر صلاح الدين بالمسجد الأقصى عام ١٩٦٨م. (http://www.ammonnews.net)

وفي محاولة جادة للحد من تهويد هذا الحائط فقد حدثت ما يدعى هبة البراق (السهلي، ٢٠٠٤) عام ١٩٢٩ والتي تمثلت باشتباكات عنيفة بين العرب واليهود في القدس ومدن أخرى من فلسطين على إثر إدعاء اليهود ملكيتهم للحائط، مما دعا إلى تدخل دولي من خلال إرسال بريطانيا للجنة دولية لتحديد ملكية وحقوق العرب واليهود في حائط البراق وأثبتت بالرغم من الإنتداب البريطاني آنذاك وشراسة الهجمة اليهودية أن حائط البراق أثر ومعلم إسلامي مقدس، وأن كل حجر فيه والرصيف المقابل والمنطقة الملاصقة داخل أسوار المدينة القديمة، ملك عربي ووقف إسلامي، وأن لا حق إطلاقاً لليهود في ملكية أية ذرة من ذراته. أما بالنسبة للسياسات التي يتبعها الكيان الصهيوني لطمس معالم الهوية العربية الإسلامية في القدس فقد ظهرت من خلال إهمال مناطق وأحياء فلسطينية بأكملها من الخدمات البلدية الضرورية رغم دفعهم للضرائب من أجل ترحيلهم. كما وتعاني البلدية القديمة في القدس من القذارة وعدم جمع القمامة من قبل بلدية الاحتلال ما يجعلها بؤرة ومرتعاً للحشرات والفئران ليلاً، حيث يعيش أهالي البلدة القديمة من القدس أوضاعاً حياتية صعبة جداً في ظل استهدافهم ومنعهم من ترميم منازلهم أو إضافة بناء جديد إليها يتماشى مع الزيادة الطبيعية في عدد أهالي تلك المنطقة. وكل ذلك في إطار سياسة سلطات الاحتلال بالتضييق على أهاليها بهدف إجبارهم على ترك منازلهم والهجرة إلى خارج مدينة القدس. كما وتتواصل عمليات حفريات لهدم مباني أثرية تاريخية في مدينة القدس في البلدة القديمة – منطقة باب المغاربة تحديداً وتحت اساسات في المسجد الأقصى– وبناء كنيس يهودي ملاصق لأسوار الاقصى وتحت ساحاته وبالتحديد فوق المدرسة التنكزية (http://www.ammonnews.net)

وقد أظهرت بعض الدراسات السياسات الصهيونية المنهجية ومنذ السبعينات في إشراك معماريين ومخططين عالميين في مشروع أطلق عليه اسم "الخطة الرئيسية " لتفريغ مدينة القدس من سكانها

العرب وإحلال المستوطنين. وهذا المخطط يرمي إلى هدم أجزاء كبيرة من القدس القديمة. وكي تتلافى سلطات الكيان الصهيوني ضجة عالمية تثير الرأي العام العالمي أرادت توريط العالم فأقدمت على دعوة مخططي مدن عالميين بالإضافة إلى معماريين مشهورين لتأليف مجلس "القدس العالمي الاستشاري "لمنافسة هذه "الخطة الرئيسية". وبالتمعن في المشروع تنبه بعض المعماريين المنصفين لما وراء المشروع وأن الهدف من هذه الاجتماعات والمؤامرات هو توريط المهندسين العالميين في إزالة المعالم الإسلامية والمسيحية من المدينة المقدسة، وأن الخطط لا علاقة له بتطوير القدس. (السيد،٢٠١٣)

٥-٥-٢ وسائل الحفاظ على الموروث الحضاري

في مقابل كل هذه السياسات المنهجية لسرقة التراث، تتجلى أهمية البرامج المنهجية لمجابهة هذه السياسة بالعمل على تفعيل ميثاقيات الحفاظ العالمية التي تأسست في باريس عام ١٩٧٢، ويصادف يوم ١٨ نيسان – إبريل من كل عام اليوم العالمي لحماية التراث الإنساني، بحسب الاتفاقية التي أقرها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. ونظراً لأن هذه المؤسسة يتعين عليها الحفاظ على التراث العالمي وتسجيله في قائمة اليونسكو للتراث العالمي (http://whc.unesco.org/en/list) والتي تقدمت بها دول العالم وضمن شروط وتوصيات وقرارات للجنة منتخبة، تحوي أسماء الدول والمناطق التي تم إقرارها كمناطق تراثية يستوجب الحفاظ عليها وترميمها ورعايتها من الأخطار الداخلية مثل الإهمال وسوء الاستعمال والتي تتصدرها بعض دول العالم الثالث، أو نتيجة الحروب والاحتلال وفي مقدمتها الدول الشرق أوسطية وبالذات فلسطين. إن أهمية التشريعات لا تكمن فقط في استصدار القوانين، كما هو عليه الحال في ميثاقيات اليونسكو الحالية، بل ينبغي أن يشمل توفير الدعم اللوجستي المحلي والإقليمي لتوثيق التراث سعياً وراء تتبعه واستعادته في حال سرقته أو شرائه أو إهدائه؛ وفي غياب مثل هذه التشريعات "الفاعلة" يظل عمل المؤسسات الوطنية قاصراً، وإن كان أساسياً ولا غنى عنه، وبخاصة في مناطق التغريب الثقافي وطمس معالم الهوية كما الحال بفلسطين حيث أن دولة الصهاينة هي الدولة الوحيدة التي لا يوجد بها تقنين لتجارة الآثار، فقانونها يسمح بتجارة الآثار ونقلها فهي غير ضابطة لحدودها. (السيد،٢٠١٢)

على ضوء ما تم استعراضه يتبين الخطر الداهم المحدق بالتراث العربي الفلسطيني في وجه المخطط الصهيوني لمحوه وتهويده ويجب أن يتم اتباع بعض التدابير الخاصة بعملية الحفاظ المعماري على مستوي دولي ومحلي. فمثلاً دولياً فإن منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافية والعلوم قد وقعت اتفاقية في باريس عام ١٩٧٢م تتضمن حماية التراث البشري المهدد بالزوال أو الإزالة. ويشمل الآثار والأعمال المعمارية والمجمعات العمرانية والمواقع الحضرية ذات القيمة الاستثنائية، وطبيعي ويشمل المعالم الطبيعية المتآلفة والمواقع الطبيعية المحددة بدقة والتي لها قيمة عالمية. وتنص الاتفاقية في بند إعلانها الافتتاحي على أن حماية هذه الممتلكات التراثية يقع على عاتق المجتمع الدولي باعتبارها إرثاً عالمياً. وتتقاسم مسؤولية الحماية للتراث الطبيعي والثقافي الجهات الوطنية والدولية سواء بسواء. أما الوطنية، وبحسب المادة الرابعة من الاتفاقية، فتقع عليها مسؤولية تعيين التراث الثقافي والطبيعي الذي يقع في إقليمها وحمايته والمحافظة عليه أما الدولية فإنه يمكن الاستعانة بالمؤسسات الدولية المعنية على المستويات المالية والفنية والعلمية والتقنية. وبموجب استحقاقات هذه الاتفاقية بتعيين الضغط بكافة الوسائل المتاحة دبلوماسياً لتفعيل بنود هذه الاتفاقية والضغط سياسياً وقانونياً في المجالات العالمية على دولة الاحتلال الصهيوني لاحترام بنود هذه الوثيقة الدولية. (المصدر السابق)

أما محلياً فإن الدور الحضاري والثقافي الذي تقوم به العديد من الجمعيات والمؤسسات الفلسطينية التي أخذت على عاتقها توثيق التراث الفلسطيني في غياب التبني الدولي للمشروع الفلسطيني وتحت نير القهر والتدمير العشوائي "المبرمج" لتغييب هوية شعب وطمس ذاكرة مكان قد تعاظم وكبر، لذا لابد من ضرورة بلورة موقف موحد والتنسيق محلياً وإقليمياً وعربياً ورفع برامج وطنية وأوراق وحقائق لجامعة الدول العربية لوضعها أمام استحقاقات عربية وطنية للعمل على دعم التراث العربي الفلسطيني ودعم المؤسسات الفلسطينية وأهالي الأحياء المهددة بالترحيل مالياً لدفع الضرائب المستحقة عليهم لتثبيت وجودهم على أرض آبائهم وأجدادهم. وكذلك لابد من بلورة مؤسسات عربية هدفها دعم وتوثيق التراث العربي الفلسطيني المهدد. وهذا يشمل فضح سياسات الاحتلال الصهيوني إعلامياً وفي كل المحافل الدولية والتصدي لها فكرياً وأكاديمياً وبحثياً، والعمل على إحياء

محطات دورية في التقويم الفلسطيني مثل يوم الأرض ويوم التراث العالمي ويوم المتاحف العالمي وسواها. (المصدر السابق)

وأخيرا فإن مشروع الحفاظ على التراث فضلاً عن كونه أعلى درجات الوطنية فإنه أيضاً يعتبر من مستلزمات السياسة الوطنية ومسؤولية حضارية، وهي ليست ترفاً ثقافياً تتطوع مؤسسة السياسة وصناعة القرار الوطنية بالقيام به، بل هي واجب وطني وحضاري وإنساني يشمل توظيف التراث في الحياة المعاصرة، وتأسيس الدوائر والمؤسسات التي ترعى التراث وشؤونه، وتنمية الدراسات والأبحاث العلمية والتقنية، واتخاذ التدابير القانونية والعلمية والتقنية والإدارية والمالية الضرورية لتوثيق التراث وحمايته وإحيائه، بالإضافة إلى دعم وإنشاء وتنمية مراكز التدريب الوطنية والإقليمية وتشجيع البحث العلمي في هذه الأطر. وفي البحث عن الإجابة في ملفات وأجندة السلطة الفلسطينية نصل إلى حقيقة محبطة. (http://www.alquds.co.uk)

٥-٦ خلاصة الفصل الخامس

لقد تم في هذا الفصل دراسة تطبيقات عملية على تأثير السلطة والسياسة على المنتج المعماري، من خلال دراسة التعاقب الحضاري لتأثير السلطة والسياسة على العمارة القديمة (الفرعونية والرومانية والبيزنطية) ثم تم الانتقال للحديث عن تطبيقات العمارة الإسلامية وكيف أثرت سياسة الحضارة الإسلامية في إنتاج العمارة، ثم السياسة البريطانية والفرنسية في الفترة التي أثرت بهم، وكيف استولت سياسة أمريكا وأثرت على العمارة في العالم أجمع. ولاستكمال الفائدة العلمية فقد تم استعراض بعض الأمثلة التطبيقية لتأثير السلطة والسياسة على العمارة، فتم التعرض لتخطيط الساحات الإيطالية، والتعرف على مبنى التجارة العالمي ومدلولاته السياسية وتأثيرها على العالم أجمع، وقصر الثقافة في موسكو وكيف عبر عن فترة سياسية انتقالية في ذلك الوقت. ولأن الدراسة تهتم بالقدس فقد تم دراسة مبنى قبة الصخرة ومدلولاته السياسية، ومبنى قصر تاج محل في الهند، وكيف تؤثر السياسات الصهيونية في تشكيل المدن من خلال دراسة المستوطنات الصهيونية وجدار الفصل العنصري وكيف أثرت هذه السياسة على فصل المناطق الفلسطينية والمدن والقرى عن بعضها البعض، وكيف أصبحت لها مدلولات عسكرية وسياسية واستيطانية في نفس الوقت. وحيث أن الدراسة تهتم بدراسة السلطة السياسية وأثرها على العمارة فقد تم التعرض للسلطة السياسية للعمارة المملوكية، وما هي طبيعة الصراع العربي الصهيوني على مدينة القدس، وما هو واقع العالم العربي اليوم في ظل الثورات على الظلم والاستبداد وكيف أن هذه المرحلة ستؤثر في عمارة المجتمع من خلال السياسات الجديدة التي سيعتمدها في المستقبل بعد نجاح هذه الثورات. وأخيرا ولاكتمال الفائدة تم التعرض لعملية الحفاظ المعماري للموروث الثقافي والحضاري في مدينة القدس من خلال استعراض أهم الممارسات الصهيونية التي يمارسها الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني في القدس، وماهي أهم التدابير الدولية والمحلية الواجب اتباعها لحماية هذا الموروث حيث أن التراث الفلسطيني الممتد لعدة قرون والذي تناقله الأجيال يعاني بين غياب الجهة السياسية الوطنية الراعية وبين سياسات التهويد للسلطات المحتلة. وبين هذه وتلك ثمة محاولات مؤسساتية وطنية تعمل في أشد الظروف وأحلكها

وضمن تداعيات العولمة المتربص بما تبقى من التراث، أو مفاهيم متعلقة بإعادة بعثه والمحافظة عليه كأقنوم مقدس يعني عدم فناء حضارة الأمة وكدليل مادي على عدالة قضيتها وشرعية وجودها.

وحيث أن الدراسة تهتم بدراسة السلطة والسياسة وعلاقته مع العمارة في العصر المملوكي في مدينة القدس فإن سيتم دراسة العمارة المملوكية الإسلامية بشكل تفصيلي في الفصل القادم تمهيدا لدراسة العمارة المملوكية في مدينة القدس.

الفصل السادس

النتاج العمراني للعمارة الإسلامية المملوكية

(من صفحة ١٤٦ إلى صفحة ١٨٧)

٦-١ فلسفة اهتمام المماليك بالعمارة والعمران

٦-٢ مهندسوا العمارة في عهد المماليك

٦-٣ الملامح العمرانية والمعمارية في العصر المملوكي

٦-٤ قراءة معمارية لأهم معالم وآثار العصر المملوكي

٦-٥ خلاصة الفصل السادس

تمهيد

بعد أن تم التعرض للتطبيقات العملية لأثر السلطة والسياسة وعلاقتها بالعمارة، وحيث ان هذه الدراسة تهتم بالعمارة المملوكية في مدينة القدس، فسيتم التعرف في هذا الفصل على فلسفة اهتمام المماليك بالعمارة، واهتمام سلاطينها سواء في الفترة البرجية أو البحرية، كذلك سيتم التعرف على مهندسي عمارة المماليك، من خلال التعرف على ألقابهم آنذاك وأهم مهامهم ومكانتهم الاجتماعية.

كما أيضاً سيتم التطرق إلى أهم الملامح العمرانية والمعمارية في العهد المملوكي من خلال دراسة وسائل الإظهار المعماري والعملية التصميمية لعمارة المماليك وما هي الأساليب الإنشائية وعناصرها؟.

ولاكتمال الفائدة سيتم تحليل بعض الأمثلة المعمارية للعمارة المملوكية على مستوى العالم الإسلامي حيث سيتم دراسة كل من مدرسة السلطان حسن و قلعة محمد علي ودار العدل وخان الظاهري.

٦-١ فلسفة اهتمام المماليك بالعمارة والعمران

لقد استخدم المماليك الهندسة المعمارية للتعبير عن سيادتهم العسكرية وحياتهم الاجتماعية، فقد كانوا يتمتعون بوعي ثقافي أكثر من غيرهم وخاصة في العمارة والذي ظهر مسيطراً في مبانيهم على أرض الواقع فعلى طول الشوارع الرئيسة تنافست ظهور واجهات المباني المعمارية الضخمة لتؤكد الوصف التعبيري لسياسة العمارة المملوكية في فرض السيادة على سكان الدولة الإسلامية، (الرباط،٢٠١٠) ، إضافة إلى إظهار المثالية في الحكم الإسلامي على مدينة القاهرة بالتحديد لأنها مركزهم وعلى المدن الإسلامية الأخرى وذلك من خلال الأشكال المعمارية المختلفة لسلاطين المماليك وبالمثل فإن المثالية شملت جوانب أخرى مثل عملية تنظيم القضاء وتشديد سيطرة الدولة على فئة العلماء كان أحد مظاهر السياسة المملوكية(برجويني،١٩٨٧). وحيث إن المماليك وبسبب أصلهم غير الحر كانوا يعتقدون منذ بداية حكمهم بأنهم استولوا على الحكم السياسي من أسيادهم بني أيوب فقد أثر هذا الاعتقاد على عمارتهم وأدى ذلك إلى تميزها في الحضارة على غيرها من الحضارات(عزب،٢٠١٠). فعلى صعيد الكتابات المعمارية والخاصة بتوثيق المباني الخاصة بسلاطينهم أظهرت المخطوطات القديمة بعض المعلومات الخاصة بالمباني المعمارية والعناصر المعمارية الخاصة بهم إلا أن الوصف المستخدم في هذه المخطوطات كان وصفا أدبيا بعيدا عن الوصف التحليلي المعماري المطلوب للمباني، وهذا كان حال جميع الكتابات القديمة فيما يخص المباني حيث كان يتم الكتابة بنفس الأسلوب الذي كان يستخدم لنقد الشعر وكتابة التاريخ ووصف

الأحداث المختلفة (الرباط،٢٠١٠). باختصار كانت الكتابة المملوكية على أيدي النقاد تهتم بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمبنى، إضافة إلى بعض الأمور المتعلقة بالصيانة وملحقات المباني الرئيسية ووظيفتها وأهملت ما يهتم بشكل المبنى وهيكله المعماري. وعلى الرغم من قلة المعلومات إلا أن العهد المملوكي كان له سابقة تاريخية في مجال توثيق المعلومات من خلال فكرة كتابة السيرة الذاتية للسلاطين حيث يمثل الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية للسلطان وكل ما يتعلق بمصالحه ورغباته واحتفالاته، وبنفس الكيفية خصص جزئية من كتاباته عن مبانيه وقصوره وقاعاته.......الخ وكل ما يخص المباني المعمارية بتفاصيل البناء ومصادر المواد وأسباب إقامة المبنى على شكله وما هي آلية تخطيط البناء وتصميم ديكوره في نفس الوقت. هذا بالنسبة لمصادرهم وكتاباتهم أما ما يخص المباني فقد اهتموا بإقامة المباني الدينية والتي لازالت باقية حتى اليوم بسبب ما تمتعت به العمارة المملوكية عموما بالثروة الضخمة التي جعلهم يهتموا بترميم المنشآت الدينية القائمة وعمل منشآت جديدة وخاصة في مدينة القدس(الرباط،٢٠١٠)، وتبقى فلسفتهم الدينية والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بحياتهم هي أحد المحركات الرئيسية للعمارة فقد اعتنوا بأمر الجهاد أولاً واتخذوه أداة لإثبات جدارتهم بالحكم وحماية المقدسات الإسلامية وبالتالي أثر هذا بدوره على انتشار الأمن والسلام في عصرهم. كما واعتنوا بإضفاء الصفة الشرعية على حكمهم ثانياً وذلك من خلال إحياء بقايا الخلافة العباسية في القاهرة واعتبروا أنفسهم مفوضين بحكم المسلمين من أعلى سلطة شرعية في البلاد وهي الخلافة العباسية. (عزب، ٢٠١٠)

وقد كان سلاطين العمارة وبشكل عام يهتمون بالعمارة بشكل ملفت للنظر حيث كانت تمثل أولوية في حكمهم، فقد كانوا حريصين أشد الحرص على أن لا يترك الحاكم حكمه إلا وقد ترك له بصمات معمارية يتقرب بها إلى الله ويظل ذكراه خالداً بين الناس بعد موته أو تركه للحكم فمثلاً كانت مجموعة السلطان حسن الشهيرة (الجامع والمدرسة) أكبر تجمع معماري لسلطان مملوكي على الرغم من الظروف السياسية التي كانت تحيط به في ذلك الوقت من حيث العراك السياسي بين السلاطين والأمراء. (الرباط،٢٠١٠)

كذلك في عهد الأشرف قايتباي والذي اتسمت العمارة في عصره بالازدهار وكان عصره يعتبر العصر الذهبي للعمارة المملوكية إلا أن فترة حكمه كانت أكثر الفترات التي عانت تدهوراً اقتصاديا واضحاً في عصر الدولة المملوكية بسبب كثرة الحروب والتي تتطلب إعداد الجيش بتكلفة اقتصادية كبيرة جداً إضافة إلى انتشار الطاعون في البلاد فأثر على اقتصادها حيث إن أكثر من ثلثي سكان مصر قد ماتوا في ذلك الوقت، ومع ذلك صمدت العمارة في وجه هذه الظروف وبقيت مخلفة ما

يقارب 136 منشأة معمارية ودينية ومدنية مختلفة في العهد المملوكي البرجي بقيت شاهدة على عصرها حتى اليوم. (عزب، ٢٠٠٩)

٦-٢ مهندسوا العمارة في عهد المماليك

جميع المصادر تحدد بشكل واضح المعماريين والحرفيين في العمارة المملوكية، إلا أنهم في الفترة البحرية كانوا أعضاء من السلطة ولهم علاقات مع الدولة الحاكمة أما في الفترة البرجية فقد كانوا فنيين حرفيين متخصصين بالدرجة الأولى وحرفتهم وفنهم هو الذي قادهم ليكونوا شركاء مع الأمراء والحكام وليس العكس وقد كانوا متخصصين في كل التفاصيل سواء تصميم أو بناء أو ديكور أو زخارف مع تنفيذ . (الرباط،٢٠١٠)

وقد كان للمهندسين دور مميز في العمارة الإسلامية هذا الدور ظل مجهولا بسبب عدم إدراك الباحثين لطبيعته والافتراض المبدئي لتشابهه مع دور المهندس في العصر الحالي يعرف القلقشندى المهندس بأنه "هو الذي يتولى ترتيب العمائر وتقديرها ويحكم على أرباب صناعتها " (القلقشندى ، السنة) ويعرفه ابن خلدون بأنه "المشتغل بالهندسة" والهندسة هي علم المباني وبنائها واختلافها والأراضى ومساحتها وشق الأنهار وتنقية القني وإقامة الجسور وغير ذلك ويطلق على المهندس المعمار أو البناء.(الباشا، ١٩٦٩)

خلال قراءة مخطوطات ذلك العصر ، وجد أن القلشندي-من علماء العصر المملوكي- ذكر في موسوعته "صبح الأعشا" تعريف لمهندس العمائر بأنه الذي يتولى تصميم المباني ويقوم بالإشراف على العمال القائمين عليها فيقول: "هو الذي يتولى ترتيب العمائر وتقديرها ويحكم على أرباب صناعتها".

ويستشف من هذا التعريف وجود معماري في هذا العصر. كما ندرك أهمية عمله حيث يعتمد عليه اعتماداً رئيساً فيما ينشأ من المدن وتخطيطها وتصميم المباني بأنواعها المختلفة.(سليمان،٢٠٠٠)

وبشكل عام فقد ذكرت المصادر القديمة بعض المعماريين في العمارة المملوكيه وهم كما يلي:

١- علاء الدين الركني توفي عام ١٢٩٤م وقد كان هذا المعماري أميراً مملوكياً مكفوفاً وعلى الرغم من ذلك فقد قام بالإشراف على عدة مبانٍ في القدس والخليل والمدينة المنورة، وقد تميز عن غيره من المعماريين من خلال استخدام عصاه التي كان يعتمد

عليه في القياس بسبب أنه مكفوف، وقد اكتشف خطأ في تصميم إحدى القاعات في مبنى الرباط في بلدة دير في القدس.

٢- عز الدين بن أمير جواد غرب من لبنان والذي كان حرفياً بالدرجة الأولى ويعتمد في عمله على الخبرة الواسعة أكثر من العلم والفكر، وقد ميز نفسه بمجموعة كاملة من الحرف فهو خطاط ونقاش وفني ومهندس وبالمثل فهو عسكري يضرب السهام كما يمارس الطب البيطري وبصنع الفولاذ، وكان بارعاً في بعض الحرف اليدوية مثل التطريز والخياطة وصناعة الأقفال. وقد ظهرت أعماله في الكتابات القرآنية على مداخل بعض المباني ومحاريب بعض المساجد.

٣- العبد شاد العميري: وكان يعمل في عصر المماليك البحري وكانت وظيفته ما يعادل مدير الأشغال العامة اليوم، حيث كان برتبة أمير في الدولة وكانت مهامه الإشراف على المشروع بالكامل من الناحية الحرفية والمالية والإدارية ، وكان حلقة الوصل بين الحرفيين والبنائين والسلطان في عملية إقامة المباني. من أهم أعماله الإشراف على مجموعة السلطان قلاوون والذي يضن بيمارستان ومدرسة ومسجد وضريح، وبعد توالت عليه عدة أعمال في القاهرة ودمشق في عهد كل من السلطان قلاوون والسلطان الأشرف الخالق. أما في عند المماليك البرجية فلم يكن ظهور مميز للمعماري العميري حيث تم الاعتماد على الحرفيين في إتمام الأعمال بشكل أساسي أكثر من الاعتماد على الأمراء والمهندسين المقربين من السلطان. (الرباط،٢٠١٠)

ومن المهندسين الذين تنقلوا في البلاد ليستفاد من خبراتهم علم الدين تعاسيف الذي عمل بمصر والشام والموصل وبنى أبراجاً بحماة وطاحوناً على نهر العاص للملك الظفر.

وقد أرسل أيضاً الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون المهندس أبجيج لمعاينة دهيشة حماة ليبني له مثلها بالقلعة.

ويستدل على تنقل المهندسين بين البلاد المختلفة من خلال تناقل الطرز المختلفة مثل مايظهر في تصميم مئذنة جامع قوصون التي أنشأها رجل من تبريز؛ أحضره الأمير أيتمشي المحمدي معه فصممها على طرز مآذن تبريز. (سليمان،٢٠٠٠)

وهناك من اشتهر من المهندسين بالبراعة في أنواع خاصة من البناء مثل:

١. جعفر القطاع: الذي كانت له اليد الطولى كما يقال في تصميم البيوت(هندسة الدور).

٢. أبو بكر بن البصيص البعلبكي: الذي تخصص في إنشاء الكباري(الجسور).

٣. أبو بكر البناء: الذي تخصص في إنشاء المباني بالماء.

ومن أشهر المهندسين الذين قاموا بمثل هذه الترميمات :

١. شهاب الدين أحمد الطولوني الذي أرسله السلطان برقوق عدة مرات لإصلاح المسجد الحرام.

٢. المهندس عبد الرحيم بن علي بن محمد الطولوني مهندس الحرم المعروف بالمهندس وبابن البناء توفى ٨٩١هـ.

ويذكر من أعمال الإصلاح ماقام به المهندس ابن الطولوني-بأمر السلطان قايتباي- من تجديد الميضأة إلي بجامع القلعة فقام بتوسيعها مع ترميم الجامع، كما أمر السلطان الأشرف قايتباي البدري حسن بن الطولوني مع مجموعة من المهندسين والبنائين ٨٩٢هـ بتجديد عمارة قناطر بني المنجا. (سليمان،٢٠٠٠)

٦-٢-١ ألقاب مهندسي العصر المملوكي

لقد ظهرت عدة حرف في موضوع العمارة فقد كان المعماري، المعلم، المهندس، النقاش، المصور، المزوق، الدهان، وكل هذه الحرف كانت تدخل تحت بند الهندسة المعمارية وتتدخل في عملية البناء. (الرباط،٢٠١٠)

وجد من خلال الوثائق والمخطوطات مايدل على أن المعماري في العصر المملوكي قد نال العديد من الألقاب والمناصب؛ فأطلق على المهندس لقب **المعلم**، كما أطلق عليه أحياناً لقب **المعمار**: الذي استخدم بدلالتين إحداهما البناء أو المهندس؛ والأخرى من أشرف على العمارة أو من تولى أمرها.

كما وجد لقب **شاد العمائر** والذي عرفه تغري بردي بأنه: ناظر العمارات والمباني السلطانية.

وعرف د. حسن الباشا لقب **شاد** بأنه: لفظ استخدم للدلالة على موظف له سلطة السيطرة والمراقبة والتفتيش التوجيه في عملية البناء.

أما **شاد العمائر السلطانية:** فعرفها بأنها إحدى الوظائف التي كان يشغلها بعض عسكريي السلطان المملوكي؛ ومهامها أن يقوم صاحبها بالاشراف على انشاء المباني أو تجديد القصور والمنازل والمساجد مما يريده السلطان.

ويختار شاد العمائر من المتخصصين بعلوم الهندسة والبناء؛ ومن واجبه الحرص على مصالح الوقف والمستحقين من خلال: تجديد وإصلاح مباني الوقف ، والإشراف على العمال القائمين بالأعمال المختلفة في عملية البناء وحثهم على العمل. ومن الذين لقبوا بهذا اللقب: آق سنقر: شاد عمائر الملك الناصر محمد ٧١٤هـ، الذي كلفه بجمع البنائين لإنشاء خانقاته بسريقاوس، كما أنشأ جامع آق سنقر.

هناك من الألقاب لقب **عامر** وهو من يقوم بعملية الاشرف على انشاء المبنى وربما تمويله إلا أنه ليس الباني الذي يبنيه. (سليمان،٢٠٠٠)

٦-٢-٢ مهام المهندس في العصر المملوكي

ظهرت عدة حرف في موضوع العمارة حيث كان المعماري هو المعلم الاول المهندس النقاش المزوق المزخرف الدهان وكل هذه الحرف كانت تدخل حول بند الهندسة المعمارية (الرباط ، السنة)

ويمكن تلخيص المواصفات الخاصة بالمهندس المعماري في العصر المملوكي فيما يلي:

- مساح بالدرجة الأولى.
- يتمتع بمهارات وتدريب ومعرفة نظرية واسعة.
- يتمتع بخبرات تنفيذية كتنفيذ الجسور والقنوات وتقييم سلامة هيكل البناء.
- يتمتع بالقدرة على تقييم أمور الدولة المالية من حيث تكلفة البناء الجديد وتكلفة ترميم المباني القديمة. ولعل السبب يعود لعلاقة هذه المهنة بالسلطة الحاكمة لذا كان يجب عليه ان يتمتع المعماري بمهارات خاصة. (الرباط،٢٠١٠)

ولم يقصر دور المهندس على تخطيط المدن أو إنشاء المباني حيث كان المهندس المملوكي له عدة مواصفات يمكن توضيح أهم مهامه فيما يلي (سليمان،٢٠٠٠)

أ. المعاينة:

يقوم المهندس بمعاينة القديم من المباني وعمل تقارير صلاحية لها من عدمه، ويدلل المقريزي علي هذا بما ذكره عن المهندس علي بن البواش الذي كلفه الأخشيد عام ٣٢٦هـ/٩٣٧م بمعاينة وفحص كنيسة أبي شنودة بالفسطاط، وضع تقرير عنها؛ وقد جاء تقريره بأنه سيسقط جزء من الكنيسة بعد خمسة عشر عاماً، ثم تسقط كلها بعد أربعين عام وحدث بالفعل ماقرره المهندس.

كما ذكر أيضاً أن مئذنة جامع المؤيد والتي أنشئت على برجي باب زويلة قد حث بها ميل عام ٨٢١هـ –إلى جهة دار التفاح– فكتب جماعة من المهندسين أنه يجب هدمها وتم عرضه على السلطان. (سليمان،٢٠٠٠)

ب. تعديل المباني القائمة:

يقوم المهندس بعمل التعديلات على تصميمات المباني القائمة ومثال ذلك ما ذكره السخاوي من أن المهندس أحمد بن عبد الله بن محمد قام بتعديل المباني في المدينة المنورة قائلاً:"الذي جاور بالمدينة نحو عامين يضبط بعض العمائر كما ضبط بعض العمائر في غيرها، ثم عاد إلى القاهرة".(سليمان،٢٠٠٠)

ت. الترميم والإصلاح:

يقوم المهندس بعمل الترميمات والإصلاحات للمنشآت ومن ذلك سرعة المهندسين والبنائين في بناء وإصلاح ما تهدم من أسوار القلاع والحصون وإصلاح الآبار والطرق وغيرها لخطورتها.

ومن أعمال الترميم الهامة ترميم الحرم المكي الذي كان يعين له مهندس من قبل السلطان المملوكي – حيث يعد مسئولاً عن ترميمات وإصلاحات الحرم المكي والنبوي باعتباره "حامي الحرمين الشريفين"– ويطلق عليه مهندس الحرم. فيذكر ابن إياس أن السلطان الأشرف قايتباي شرع في تجديد المسجد النبوي في عام ٨٨٦هـ بعدما حرق؛ فعين الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن ليتوجه إلى المدينة المشرفة لعمارة المسجد وأرسل معه عدداً من البنائين والنجارين والمرخمين وغير ذلك. (سليمان،٢٠٠٠)

ج. الصيانة والمحافظة:

يقوم المهندس بعمل صيانة للمباني القائمة بناءً على رغبة المنشئ الذي كان يحرص على إصلاح وصيانة المباني والمحافظة عليها –لتبدو دائماً على ماهي عليه– وخير دليل على ذلك ما تضمنته وثائق الوقف المملوكية من أمثلة عديدة لتعين الواقف مهندساً معمارياً يتولى تفقد ورعاية الوقف من الناحية المعمارية مثلما وجد في وثيقة السلطان الغوري من ذكر بعض مهام المعماري كتفقد أحوال البناء وتحديد العيوب الموجودة وكيفية معالجتها قائلاً في ذلك: (سليمان،٢٠٠٠)

"فمن ذلك أربعمائة درهم تصرف لرجلين مهندسين عارفين بالأبنية ماهرين في صناعتها وقطع فرط عيوبها، يقررهما الناظر على هذا الوقف في وظيفة المعمارية بهذا الوقف، يتفقدان أبنيته ويحصران ما تحتاج إليه العمارة من مون وبنايين وغير ذلك مما تدعو الضرورة إليه ويقفان على الشد والهدم والبنا على عادة أمثلهما في ذلك".

كما جاء بوثيقة وقف جمال الدين الاستادار الشروط التي يجب توفرها في المعماري من الأمانة والإتقان في العمل مع تحديد واجباته من الملاحظة والإصلاح والتي تنص علي:

"ويرتب أيضا رجلاً عارفاً بوظيفة المعمارية، ذا جودة وأمانة وعفة يكون معماراً بالخانقاه المذكورة وماهو منسوب إليها من الأوقاف، على أن المعمار المذكور يتفقد الأماكن الموصوفة كل حين وينظر إليها وينبه على العمارة والإصلاح ويحث المتحدث علي فعل ذلك، ويفعل ما يفعله أمثاله من المعمارية العادة بالأوقاف في مثل ذلك، ويصرف له من الفلوس المذكورة في كل شهر ستون درهماً".

أما وثيقة وقف السلطان قايتباي فحددت اليوم الذي يجب على المعماري التواجد به في المبنى ليقوم بمهامه من الإشراف فنصت على أن:

"يصرف لرجل من أهل الخير والأمانة يكون معماراً بالأوقاف المذكورة أعلاه يحضر يوم العمارة في الوقف المذكور لتعهد الصناع في العمل ويحثهم عليه ويمنعهم من البطالة وغير ذلك مما جرت العادة في ذلك".(المرجع السابق)

٦-٢-٣ المكانة الاجتماعية للمهندس

لم يكن نشاط المهندس المعماري مقتصراً على البلد الذي يقيم فيه؛ بل كثيراً ماكان ينتقل للعمل في البلاد المختلفة التي يكلف بالعمل فيها، وفقاً لما ذكره المقريزي عن الكوبري القائم بوسط النيل من أن الناصر محمد بن قلاوون أمر في سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م بطلب المهندسين من دمشق وحلب– تعلم هؤلاء المهندسون العمارة بالمدرسة التي أنشأها نجم الدين اللابودي في حلب في القرن السادس الهجري– والعراق وجميع المهندسين من أنحاء مصر كلها لأخذ رأيهم والاشتراك في تنفيذه. (سليمان،٢٠٠٠)

كما أرسل السلطان قايتباي عام ٨٨٦هـ مجموعة من المهندسين إلى القدس ضمن بعثة من المتخصصين في مهنة البناء لإنشاء مدرسة وقبة وسبيل لها.

ومن هنا أصبح للمهندس المعماري في العصر المملوكي المكانة المميزة ضمن الطبقات الاجتماعية المختلفة في مصر، فوجد ارتباط أسماء بعضهم بسلاطين المماليك ومنشآتهم فقد عرف على سبيل المثال عن ابن غنائم أنه مهندس الظاهر بيبرس، وابن السيوفي مهندس الناصر محمد ابن قلاوون، وإبجيج مهندس السلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون. (المرجع السابق)

وقد استدل البعض إلى تلك المرتبة الرفيعة التي نالها المهندس المعماري في ذاك الوقت من مصاهرة السلطان برقوق لشهاب الدين أحمد بن الطولوني.

أما وضع المهندس من الناحية المادية؛ فكان يصرف له مرتبات كبيرة تبعاً للمناصب التي يشغلها فضلاً عما كان يأخذه من مكافأت مقابل إتمامه لعمليات البناء أو الترميم أو الإصلاح للمباني. (المرجع السابق)

٦-٣ الملامح العمرانية والمعمارية في العصر المملوكي

سيتم في هذا السياق استعراض أهم مميزات العمارة المملوكية وأهم الأساليب المستخدمة في الإظهار المعماري، بالإضافة إلى معايير العملية التصميمية والأساليب الإنشائية المستخدمة في ذلك الوقت.

٦-٣-١ المميزات التي اتسمت بها العمارة المملوكية

وإذا تحدثنا عن أهم مميزات التي اتسمت بها العماره في ذلك العصر فإنها اتسمت بعدة صفات ومميزات يمكن ذكر ما يلي منها :(Internet،2011، civilizationlovers)

١- من أهم المميزات التى نشاهدها فى آثار دولة المماليك هو صغر مساحتها بسبب ازدحام المناطق السكنية التى أقيمت بها بالسكان والعديد من المنشات الأخرى ، وتبع ذلك صغر الإيوانات وظهور عنصر السدلتين أى الإيوانين الصغيرين كما أدى ذلك إلى صغر مساحة الصحن فأدى ذلك الى تغطيته بسقف خشبى وهذا من الحلول المعماريه التى أدت إلى ظهور عناصر معمارية جديدة .

٢- قام المعمار نتيجه لضيق المنشأة فى بعض الأحيان فى المدارس بصفه خاصة ذات الإيوانات بفصل الصحن عن الإيوانات فجعله منخفضا عنها بمقدار (٠,٢٥ من المتر) وتسمى (الدرقاعه) وهى كلمه فارسيه بمعنى الجزء المنخفض عن القاعه .

٣- كما تميزت المبانى الدينية بتنوع تخطيطها الذى كان يضم فى الغالب السبيل والكتاب والقبة رغم معارضة الإسلام لإقامة المبانى والقبور ، وتواجد التخطيط ذو الإيوانات المتعامده فى المدارس وهناك أيضا التخطيط الذى يجمع بين الأروقه والإيوانات أو التخطيط ذو الصحن الصغير المسقوف غالبا بالشخشيخة أو باذاهنج أو شباك سلك للإنا ره والتهوية (الملقف) ،الذى اختفت من وسطه الفوارة أو الفسقية رغم بقائها واستمرار وجودها رغم وجودها فى المبانى المدنية ذات الصحن وفوق هذه التخطيطات يظهر أيضا التخطيط التقليدى صحن أوسط مكشوف تحيط به أربع ظلات والمتأثر بالموروث المحلى الذى كان سائدا فى مصر فى العصور التى سبقت العصر المملوكى وهو المتاثر بدوره بتخطيط جامع الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة .

٤- استخدمت فى عمائر هذا العصر الأسقف الخشبية بدلا من الأقبية الحجريه بعد أن أصبحت الإيوانات مستعرضة على الصحن أو الدرقاعه وقل عمقها مما ساعد على تغطيتها بعوارض خشبية مختلفة الأنواع والأشكال واشهرها البراطيم الخشبية على هيئة التمساح .

٥- ومن مميزات العمارة فى هذا العصر أيضا هى عدم اتخاذ المدخل فى الوسط من المنشأه بل فى أركانها المتطرفة حتى لا تؤثر على الوحدات الزخرفيه التى تزين الواجهه .

٦- كما شاع فى مبانى هذا العصر استخدام المداخل المنكسرة التى تتألف من دركاه مسقوفة تفضى إلى دهليز ينكسر مره أو مرتين قبل أن يؤدى الى داخل صحن المنشأة .

٧- وكثر فى هذا العصر أيضاً بناء المنشآت المعلقة التى شيد أسفلها حوانيت أو دكاكين عديدة للإنفاق من دخلها على هذه المبانى ، تلك الظاهرة التى عرفتها مصر الإسلامية لأول مرة فى العصر الفاطمى .

٨- كما شاع أيضاً استخدام الحجر فى تشييد الحوائط الخارجية والطوابق الأرضية ،بينما استخدم الآجر فى بناء الأماكن الرطبة مثل دورات المياه وفى الطوابق العلوية .

٩- ولقد تميزت العمارة أيضاً فى هذا العصر باستخدام الوزارات فى الجدران وكذلك الرخام الملون وفى الأرضيات كما استخدم الفسيفساء الرخامية والصدف فى زخرفة المحاريب كما فى جامع الطنبغا الماردانى والظاهر برقوق .

١٠- ولعل من أهم مميزات العمارة فى هذا العصر هي المآذن والتى تميزت بأنها أصبحت جزءاً من التكوين المعمارى للواجهة في أغلب المنشآت الدينية ونلاحظ أن المعمارى لم يهتم بطولها على قدر اهتمامه برشاقتها وجمال تصويرها وجعلها دائماً تلفت النظر بجمالها وحسن تكوينها وكثرت بها النصوص القرآنية الكتابية المنقوشة بخط النسخ المملوكى وكانت المآذن على طراز القلة الكمثرى الشكل كما تميزت بتعدد جواسقها وصلت اربعه فى مجموعة الغورى بالغوريه .

١١- وتميز العصر المملوكى بكثرة وتعدد قباب الدفن المستقلة بصوره واضحة وكبيره ،كما كانت العمائر الدينيه فى الغالب كالجوامع والمدارس يوجد فى أحد اركانها قبة دفن .

١٢- ولقد استحدث فى آخر العصر المملوكى بناء أنواع من القباب استخدمت كاستراحات خلوية يتردد عليها للراحه والاستجمام أو للرياضة والنزهة ،وهى أشبه ما تكون بالمناظر والقباب الكثيرة التى أقامها الفواطميون على أطراف مدينة القاهره وفى المناطق الخلوية الجميله ،ومن احسن الأمثلة لهذه القباب القباب التى استعملت للراحة والنزهة وهى (قباب يشبك بن مهدى) بكوبرى القبه وبميدان الفدويه بالعباسية .

١٣- ولقد انفردت المبانى المدنية فى عصر المماليك وتميزت بعدة خصائص، فقد شاع فى هذا العصر إقامة الأسبلة، والكتاتيب منفردة عن المبانى الدينية من مساجد ومدارس وخانقاوات وقباب

،واستخدم الحجر فى بناء الحوائط الحاملة الداخلية والخارجية وفقا لنظام المشهر كما هو الحال بالنسبة للمنشآت الدينية، وأما الآجر فقط اقتصر استخدامه على بناء الصهاريج والأماكن الرطبة .

١٤- كما تميزت المنشآت المعمارية التجارية فى ذلك العصر استخدام المساقط التى تحقق فكرة التجول السريع داخل المبانى حول فناء سماوى يتوسطه فسقية أعدت لاستقبال الدواب وغيرها ويحيط به فى الطابق الأرضى مجموعة من الحجرات والحواصل التى أعدت بدورها لاستقبال البضائع والسلع ،وذلك بهدف توفير الخصوصية للوحدات السكنية التى أقيمت بالطوابق العليا ،وصارت بذلك تطل على الداخل والخارج عن طريق نوافذ غطيت بالمشربيات من الخشب الخرط مراعاة لمبدأ الحجاب الذى ساد خلال العصور الوسطى ولتسمح بمرور الهواء والضوء إلى داخل المبانى ،وتميزت هذه المبانى ايضا بالمداخل المباشره الذى يؤدى إلى داخل الصحن فى سهوله ويسر .(سليمان ، ٢٠٠٠)

١٥- الطابع العام للعمارة المملوكية هو الاستمرار في استخدام فنون أعمال الخشب والزجاج في تزيين عمارتهم ولكن بمفهوم الفن المعماري للقيم البصرية، مع تخفيفي الجدرايات وصفوف النحت، وقد ازدهر الفن التمثيلي وذلك تقديرا لمعانية البصرية والرمزية مع ابتعادهم عن التمثيل البشري

١٦- استخدام المقرنصات في الغرفة بحيث تظهر بشكل ثلاثي الأبعاد فهي تظهر ثلاثية من الوسط بينما عند رؤيتها من الجانب تظهر مسطحة.

١٧- تقنيات الرسم المستخدمة كانت بسيطة تتكون من لون مغاير بين المقدمة والخلفية مثل الأبيض وبالأسود وذلك لإعطاء الصورة إطاراً ويتوهم الرائي بأنها تتحرك من عمق الصورة وهي في مكانها وهذا هو مبدأ حركة الفن وحياة الصورة. وعلى الرغم من تميز هذا الفن إلا أن تفسيره فكريا وجماليا لم يكن واضحاً بشكل سهل للعامة.

١٨- استخدام بعض الأشكال للتعبير عن حياة السلطان وأعوانه مع من هو حوله لتظهر على شكل زينة داخل بعض الأماكن والقاعات المكونة للمباني المملوكية.(الرباط ،٢٠٠١)

و يتضح من هذه المميزات المهارة والإبداع وحسن التصميم وتطور العماره المملوكية وحسن صنعتها ودقة تفاصيلها ،والحقيقة الهامة التى استنتجناها أيضاً أن الآثار المملوكية على وجه الخصوص كانت بمثابة كارت إشهار للسلطان ودعاية له وبصمة له فى حياته وتقرب إلى الله وإلى الشعب سواء الدينية والخيرية منها .

٦-٣-٢ وسائل الإظهار المعماري المملوكي

يتبادر إلى ذهن الرائي لمباني العصر المملوكي وما يلاحظه من تناسق واتزان في تصميمها تساؤل هل شيد المهندس تلك المباني طبقاً لرسومات تصميمية أعدت لها ؟ وهل تلك التفاصيل المعمارية والزخرفية الدقيقة نفذت طبقاً لرسومات تنفيذية أعدت سلفا؟ (سليمان،٢٠٠٠)

تمثل الإظهار المعماري فيما يلي:

١. الرسومات المعمارية

١- الرسم على لوحات ٢- الرسم على الأرض ٣- النماذج والمجسمات

لم يكتف المهندس لتوضيح أعماله بالرسم بل صنع لها أحياناً نماذج مجسمة، ومن أقدم النماذج التي عرفت قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة بالقدس الشريف، وهي النموذج الذي وضعه المهندسون والصناع لعبد الملك بن مروان عندما أراد بناء قبة الصخرة بعد ما وصف ما أراده وقد أعجبه التصميم فأمر ببناء قبة الصخرة مثله. (سليمان،٢٠٠٠)

٦-٤-٣ العملية التصميمية لعمارة المماليك

يمكن من خلال مراحل عملية التصميم تحديد محورين هامين يقومان بالتأثير على المنتج النهائي للعمل المعماري هما: (سليمان،٢٠٠٠)

١. المحور الأول:

العوامل المختلفة المحيطة بالعمل المراد تصميمه والتي يحدد منها المعماري-من خلال الدراسة والتحليل- المتطلبات الواجب توافرها(برنامج العمل) ومحاولة تلبيتها وتحقيقها في منتجه المعماري.

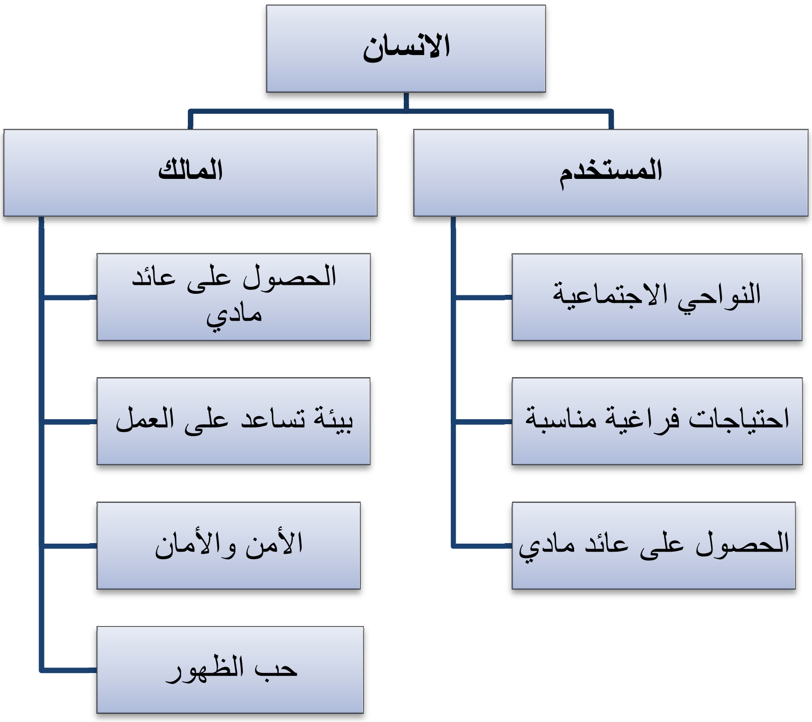
٢. المحور الآخر:

المعماري ذاته والذي يقوم بعملية التصميم محققاً تلك المتطلبات تبعاً لصيغة ومنهج نابعاً من ثقافته (أو بالأحرى لنظريات معمارية)، ولا يمكن نسيان موضوع (الذكاء المعمارى) وبالمصطلح الأثرى (الحلول المعماريه) التى استخدمها المعمار فى مبانيه لجعلها تخرج بهذه الفخامة وكأنها كتلة واحدة منحوتة ،ومثال على ذلك مثلا انكسار الواجهة بدرجه معينه فى ضلع معين من أضلاع الواجهة لمراعاة خط تنظيم الطريق ، بناة المئذنة والقبة والمدخل مطلة على الشارع لإبراز المنشأة كاملة ، بناء المدخل فى أحد الأركان لكى يعطى مساحه واسعة من الواجهة لتزيينها بالشبابيك

والدخلات الغائرة والمقرنصات ، فنجد أن كل شئ فعله المعمارى لم يأت اعتباطا وإنما جاءت لأسباب طوعها المعمارى أو المهندس إن دلت فإنها تدل على الذكاء المعمارى (الحلول المعماريه). (سليمان،٢٠٠٠)

- **العامل الإنساني**

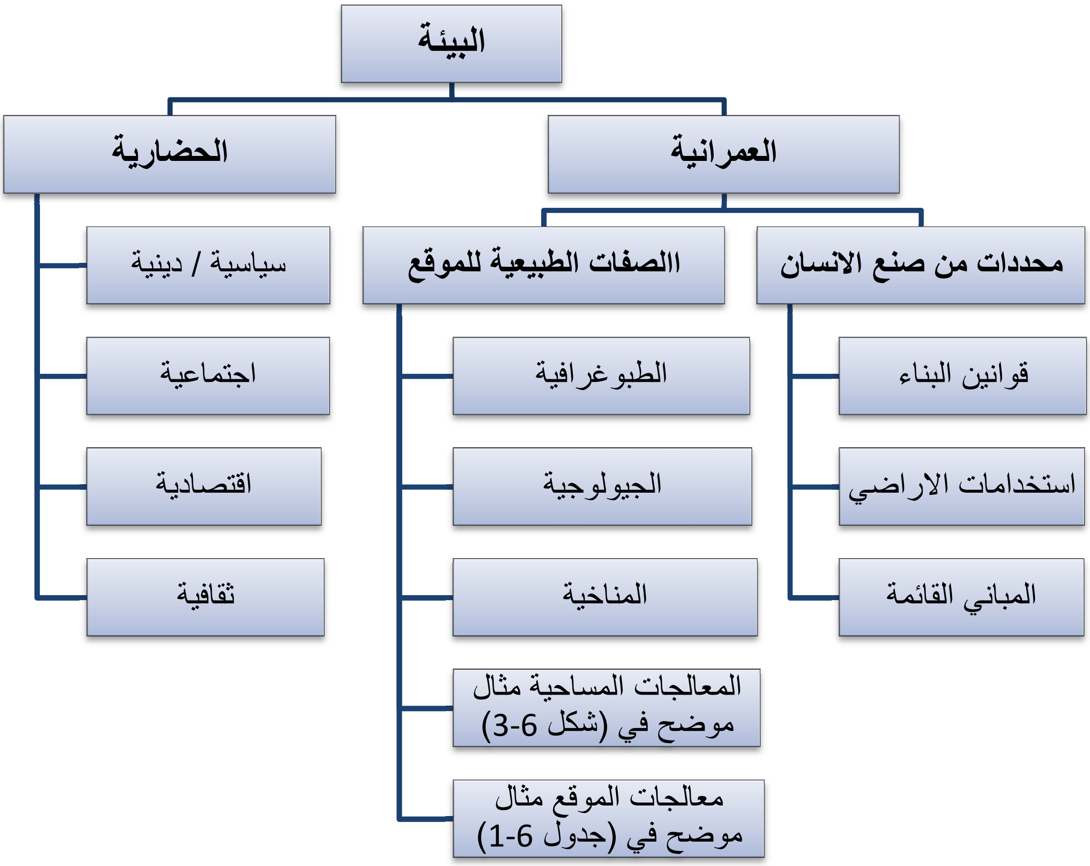
تصميم المباني في العصر المملوكي قد حقق الاحتياجات الإنسانية سواء كانت للمالك أو المستخدم ومن تلك الاحتياجات. كما هو موضح في الشكل (٦-١)



شكل ٦-١ تأثير الانسان على عملية التصميم المباني التعليمية
المصدر: (رسم الباحثة)

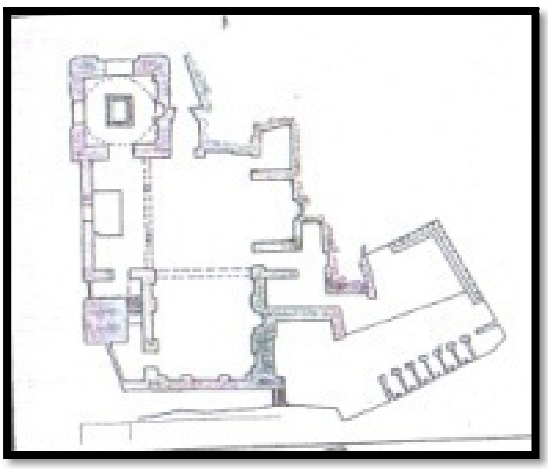
- **العامل البيئي**

راعت العمارة في العصر المملوك المحددات والمتطلبات البيئية سواء كانت المتطلبات عمرانية(فعل الإنسان أو طبيعة الموقع) أو حضارية من (سياسية ودينية). كما هو موضح في الشكل (٦-٢)



شكل ٦–٢ التأثير البيئي على عملية التصميم

المصدر: (رسم الباحثة)

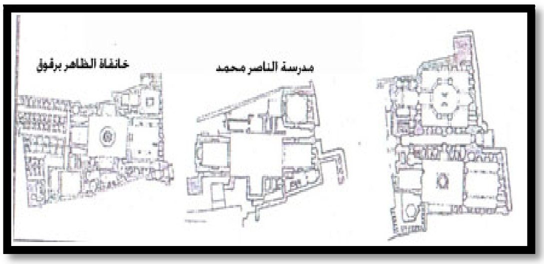
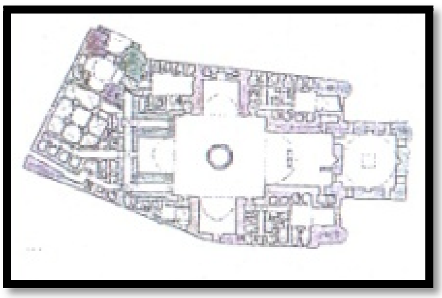


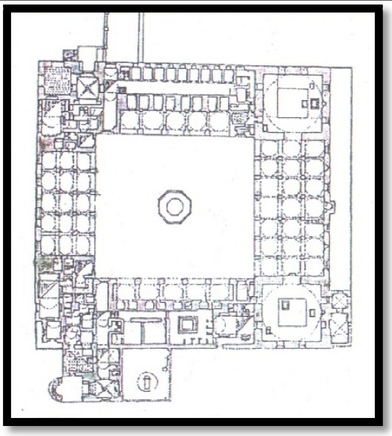
شكل ٦–٣ معالجة مساحة مدرسة تتر الحجازية أدت المساحة إلى اختزال الإيوان الرابع لوضع كتلة المدخل

المصدر: (سليمان،٢٠٠٠)

جدول 6-1 معالجات الموقع على تصميم بعض المباني التعليمية

المصدر : (سليمان،٢٠٠٠)

عدد الواجهات	المدرسة	البيان
واجهة واحدة	• **مجموعة قلاوون** • **مدرسة الناصر محمد** • **خانقاة الظاهر برقوق**	ركز المعماري كل العناصر الأساسية في المبنى من المئذنة والقبة الضريحية وواجهة الإيوان الرئيسي أو الفرعي على تلك الواجهة المطلة على القصبة. 
ثلاث واجهات	• **مدرسة السلطان برسباي بالأشرفية**	تم توزيع العناصر فوضعت القبة في الركن الشرقي من المبنى، كما وضعت واجهة الايوان الرئيسي على القصبة العظمى. 
ثلاث واجهات	• **مدرسة السلطان حسن**	تم توزيع العناصر على تلك الواجهات الهامة فوضع المدخل وواجهات طباق الصوفية في الجهة الشمالية الشرقية، ووضعت القبة الضريحية على الميدان. 
أربع واجهات	• **خانقاة الناصر فرج بن برقوق بالجبانة الشمالية**	بنيت تلك الخانقاة بالصحراء مما أتاح لها أربع واجهات، ولذا تم توزيع العناصر بحرية، فجعل لها مدخلان وسبيلان ومئذنتان وقبتان ضريحيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء.

٦-٣-٤ العملية الإنشائية لعمارة المماليك

لقد اتبعت العمارة المملوكية الأسلوب الإنشائي المعتمد في ذلك الوقت وهو ما يعرف بالنظام الحامل، حيث يعتمد على سمك الجدران كحامل إنشائي لباقي العناصر، أما فيما يتعلق بالجوانب الانشائية الأخرى فسيتم عرضها فيما يلي:

أولاً: المواد الإنشائية:

استخدم في إنشاء المباني في العصر المملوكي أنواع عديدة من مواد البناء كالأحجار والآجر(الطوب الأحمر) والرخام والخشب والنحاس والرصاص والزجاج والجص وغيره.

ويعد الحجر مادة البناء الرئيسة، ويعد الحجر مادة البناء الرئيسية، فاستخدم المماليك منه أنواعاً مختلفة تبعاً للعناصر التي يستخدم في إنشائها وقدرة تحملها ومن أهم الأحجار التي استخدمت:

- حجر الجرانيت: استخدم بكثرة في تسقيف القاعات التي يزيد بحرها عن ثلاثة أمتار، ولصعوبة تسوية سطوح الجرانيت لم يستخدم على نطاق واسع.
- الحجر الرملي: يمكن تقطيعه بأطوال كبيرة، مما يساعد على استخدامه في تسقيف مساحات كبيرة واقامة قاعات واسعة وهو في الغالب الحجر المسمى بالقبيصي.
- حجر الكورتزيت: هو حجر رملي صلد متبلور ذو لون يميل إلى الأحمر، وكان يستخدم في صنع الأعتاب لبعض الأبواب.
- حجر البازلت: استخدم في تكسية الحوائط والأرضيات.
- الحجر الجيري: استخدم في عملية البناء بكثرة وعرف بالحجر الكدان.

نستنتج من ذلك أن اختيار نوع الحجر كان يتوقف على مقدار متانته في الإنشاء فالأحجار التي امتازت بالمتانة استخدمت في عملية الانشاء، ومادون ذلك استخدمت في التكسية.

قسمت الأحجار التي استعملها المهندس المعماري تبعاً لأحجامها ، وطريقة نحتها وقطعها أو طريقة بنائها إلى أنواع مختلفة مثل:

- الحجر "الآلة": الأحجار ذات الأبعاد الكبيرة.
- الحجر "البطيح": أحجار ذات الأبعاد الصغيرة والتي تصلح تصليحاً خفيفاً.
- الحجر "الدبش": أحجار جيرية ذات الأبعاد الصغيرة غير مهذبة ولا مصقولة.
- الحجر "الحجر المبوص": الأحجار التي نحت وجهها بحيث يكون بارزاً عن زوايا الحجر ويكون خشناً.

وقد استخدم بجانب الحجر الآجر (الطوب الأحمر) حيث استخدم على وجه الخصوص في الأماكن التي تتعرض للماء لمقاومته له، مثل النوافير (الفساقي). وقد استعمل المعماري مميزات الآجر البنائية فجمع بينه وبين الحجر بغرض التخفيف من الأحمال؛ فاستخدم في بناء بعض العقود والجدران والقباب والأقبية والمآذن. (سليمان،٢٠٠٠)

أما الأخشاب فكانت متعددة الأنواع فوجد منها:

- الخشب الأبنوس: يستورد من الهند ويستخدم في تطعيم الأبواب والمنابر.
- والخشب الساسم: هو خشب أسود وقيل هو خشب الجوز ويستخدم أيضاً في التطعيم وقد ورد في المخطوطات "نقي ومطعم بالعاج والساسم".
- خشب الشيز: وهو نوع من الخشب الأسود وتصنع منه القصاع.
- خشب الشوع: وهو من شجر البان.

واستخدم الرخام إلى جانب أنه من مواد البناء المستخدمة في تكسية الحوائط– في نحت الأعمدة المستخدمة في البناء والتي غالباً ما نقلت من مباني قديمة كما يذكر المقريزي من أن بيبرس عندما أراد بناء جامعه أمر بإحضار أعمدة الرخام من سائر البلاد. (برجويني،١٩٨٧)

ثانياً: العناصر الانشائية:

تتناول الأساليب الانشائية الأساسات والحوائط والعقود والأسقف والقباب والأقبية وسنذكر منها مايلي:

- **الأساسات:**

كانت عملية البناء تبدأ بحفر الأساسات، وتستغرق تلك العملية وقتاً كبيراً لعمل أساسات قوية ومن أمثلة ذلك ما استغرقه حفر أساس جامع المؤيد، حيث استغرق حوالي ستة أشهر، ثم بعد ذلك العمل بالبناء، وهذا بناء الأساسات كان يستغرق الوقت والجهد الكبير. وكان المعماري في هذا العصر يحاول الوصول إلى المستوى الصخري أو الصلب للأرض ووضع أساس مبانيه عليه مباشرة ثم يقوم ببناء أساس سميك يتدرج كلما ارتفع البناء إلى مستوى سطح الأرض (مثل أساسات الحوائط الحاملة) إلى أن يصل إلى السمك المراد الذي يرتفع به البناء. (سليمان،٢٠٠٠)

- **الحوائط:**

كان الأسلوب الإنشائي المستخدم هو أسلوب الحوائط الحاملة، ولما كان ارتفاع الحوائط الحجر كبير مع ثبات سمكها في عمارة العصر المملوكي فكان بناؤها عبارة عن وجهين أملسين: وجه خارجي وآخر داخلي يستخدم في بنائهما الأحجار المنحوتة المتقاربة ويحشى بين الوجهين بقطع الدقشوم.(المرجع السابق)

- **الأسقف:**

اختلف أسلوب تغطية المباني في العصر المملوكي تبعاً للأسلوب التصميمي للمبنى سواء كان ذا أواوين أو أروقة ومن الأسقف المستخدمة الأسقف الخشبية والأقبية والقباب.(المرجع السابق)

- **الأعمدة و العقود:**

لم تكن عنصرا أساسياً في المباني المملوكية نظراً لعدم توفرها ولذا عند استخدامها في أي من تلك المباني القديمة، وكان على المعماري أن يوفق بين الأعمدة المختلفة الطراز والمستخدمة في مبنى واحد، وفي ذاك العصر فكان يستخدم عند بناء العقود شدة من الخشب ليتم وضع وبناء مفتاح العقد وصنجة عليها. .(المرجع السابق)

٦-٤ قراءة معمارية لأهم معالم وآثار العصر المملوك

٦-٤-١ مسجد ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة

يعد المسجد أكثر آثار القاهرة تناسقا وانسجاما ويمثل مرحلة نضوج العمارة المملوكيّة ويتكون البناء من مسجد ومدرسة لكل مذهب من المذاهب الأربعة الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، كما هو موضح في الشكل (٦-٤)، وأنشأ المسجد السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون بدأ البناء في سنة ١٣٥٦م ميلادية واكتمل بعدها بسبع سنوات في عام ١٣٦٣م قتل السلطان قبل انتهاء البناء ولم يعثر على جثمانه ولم يدفن في الضريح الذي بناه في المسجد خصيصا بل دفن فيه ولداه فيما بعد.(ارمسترونج،٢٠٠٧)، كما هو موضح في الشكل (٦-٥).



شكل ٦-٤ مخطط أفقي لمدرسة السلطان حسن
المصدر: http://ar.wikipedia.org



شكل ٦-٥ مكان الضريح الموجود في المسجد
المصدر: المرجع السابق

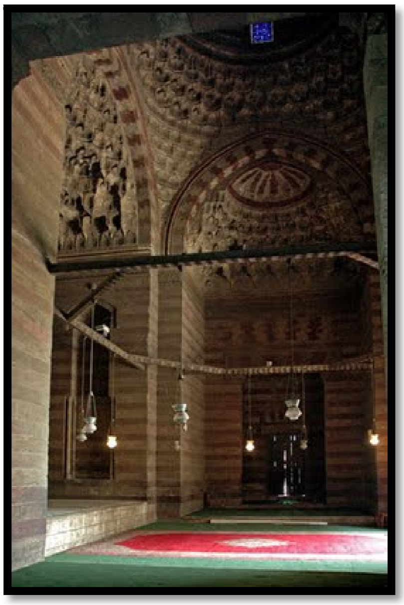
بني المسجد ومدرسة السلطان حسن عام 757-٧٦٤ هجرية ١٣٥٦-١٣٦٣م أنشأ هذا المسجد العظيم السلطان حسن بن الناصر محمد قلاوون ولى الحكم سنة ٧٤٨ هجرية ١٣٤٧م بعد أخيه الملك المظفر حاجى وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يكن له في أمر الملك شيئا لصغر سنه بل كان الأمر بيد أمرائه وما لبث أن بلغ رشده فصفت له الدنيا واستبد بالملك إلى أن اعتقل سنة ٧٥٢

هجرية ١٣٥١م وظل في معتقله مشتغلا بالعلم حتى أعيد إلى السلطنة مرة أخرى في سنة ٧٥٥ هجرية ١٣٥٤م وظل متربعا على الحكم إلى أن قتل سنة ٧٦٢ هجرية ١٣٦١م.(وزيري، ٢٠٠٥). لقد كان البدء في بناء هذا المسجد سنة ٧٥٧ هجرية ١٣٥٦م واستمر العمل فيه ثلاث سنوات بغير انقطاع ومات السلطان قبل أن يتم بناءه فأكمله من بعده أحد أمرائه بشير الجمدار سنة ٧٦٤ هجرية ١٣٦٣م.



شكل ٦-٦ منبر مسجد السلطان حسن ومحرابه
المصدر: المرجع السابق

ويعتبر هذا المسجد بحق أعظم المساجد المملوكية وأجلها شأنا فقد جمع بين ضخامة البناء وجلال الهندسة وتوفرت فيه دقة الصناعة وتنوع الزخرف كما تجمعت فيه شتى الفنون والصناعات فنرى دقة الحفر في الحجر ممثلة في زخارف المدخل ومقرنصاته العجيبة وبراعة صناعة الرخام ممثلة في وزرتى القبة وإيوان القبلة ومحرابيهما الرخاميين والمنبر كما هو موضح في الشكل (٦-٦) والشكل (٦-٧) ودكة المبلغ وكسوة مداخل المدارس الأربعة المشرفة على الصحن ومزررات أعتاب أبوابها كما نشاهد دقة صناعة النجارة العربية وتطعيمها مجسمة في كرسي السورة الموجود بالقبة أما باب المسجد النحاسى المركب الآن على باب جامع المؤيد فيعتبر مثلا رائعا لأجمل الأبواب المكسوة بالنحاس المشغول على هيئة أشكال هندسية تحصر بينها حشوات محفورة ومفرغة بزخارف دقيقة وما يقال عن هذا الباب يقال عن باب المنبر وهناك على أحد مدخلى القبة بقى باب مصفح بالنحاس كفتت حشواته بالذهب والفضة على أشكال وهيئات زخرفية جميلة جديرة بإقناعنا بعظيم ما يحويه هذا المسجد من روائع الفن وما أنفق في سبيله من أموال طائلة وقد ازدحمت روائع الفن في هذا المسجد فاشتملت على كل ما فيه لا فرق في ذلك بين الثريات



شكل ٦-٧ الايوانات المتقاطعة
المصدر: المرجع السابق

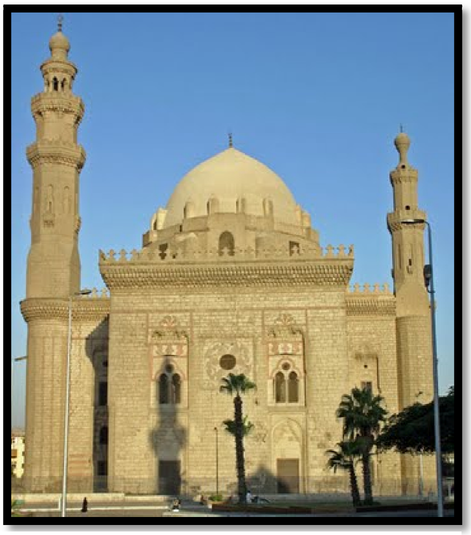
النحاسية والمشكاوات الزجاجية. وقد احتفظت دار الآثار العربية بالقاهرة بالكثير من هذه التحف النادرة وهى تعتبر من أدق وأجمل ما صنع في هذا العصر وأنشئ هذا المسجد على نظام المدارس ذات التخطيط المتعامد.

إن الإنسان الذي يدخل من المدخل الرئيس إلى دركاة ثم ينثنى يسارا إلى طرقة توصل إلى صحن مكشوف مساحته ٣٢ * ٣٤,٦٠ متر وتشرف عليه أربع إيوانات متقابلة ومعقودة أكبرها وأهمها إيوان القبلة تحصر بينها أربع مدارس لتعليم المذاهب الأربعة الإسلامية كتب على كل من أبوابها أنه أمر بإنشائها السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن بن الملك



شكل ٦-٨ ارتفاع القبة للمسجد
المصدر: المرجع السابق

الناصر محمد بن قلاوون في شهور سنة ٧٦٤ هجرية ويتكون كل منها من صحن مكشوف وإيوان القبلة ويحيط بالصحن مساكن للطلبة مكونة من عدة طبقات بارتفاع المسجد ويتوسط صحن المسجد قبة معقودة على مكان الوضوء تحملها ثمانية أعمدة رخامية كتب بدائرها آيات قرآنية في نهايتها تاريخ إنشائه ٧٦٦ هجرية وتحيط بدائر إيوان القبلة وزرة رخامية يتوسطها المحراب وعلى يمينه المنبر الرخامى الذى يعد من المنابر الرخامية القليلة التي نشاهدها في بعض المساجد ويعلو الوزرة الرخامية طراز من الجص محفور به سورة الفتح بالخط الكوفى المزخرف بلغ الذروة في الجمال والإتقان وتقوم القبة خلف جدار المحراب بعد أن كانت تشغل أحد الأركان في المساجد الأخرى وهذا الوضع ظهر في هذا المسجد لأول مرة ويتوصل إليها من بابين على يمين ويسار المحراب بقى الأيمن منها بمصراعيه النحاسيين المكفتين بالذهب والفضة بينما فقد المصراع الأيسر وتبلغ مساحة القبة ٢١ في ٢١ مترا وارتفاعها ٤٨ مترا، كما هو موضح في الشكل (٦-٨) ويرجع تاريخ إنشائها إلى القرن السابع عشر حيث حلت محل القبة القديمة بارتفاع ثمانية أمتار وزرة رخامية يعلو



شكل ٦-٩ إحدى واجهات مسجد السلطان حسن
المصدر: المرجع السابق

الوزرة طراز خشبى كبير مكتوب في نهايته تاريخ الفراغ من بناء القبة القديمة سنة ٧٦٤ هجرية ولهذا المسجد واجهتان هامتان أولهما الواجهة العمومية وطولها ١٥٠ مترا تحليها صفف مستطيلة تنتهى بمقرنصات ومفتوح فيها شبابيك لمساكن الطلبة وتنتهى من أعلى كما تنتهى الواجهة الشرقية والمدخل بكورنيش ضخم من المقرنصات، كما هو موضح في الشكل (٦-٩) والذى يبلغ بروزة حوالي ١,٥٠ متر وكان يعلوه شرفات مورقة أزيلت عن الواجهة العمومية والمدخل في السنين الأخيرة للتخفيف عنه وبالطرف الغربي لهذه الواجهة يقوم المدخل العظيم الذى يبلغ ارتفاعه ٣٨ مترا والذى يمتاز بضخامته وزخارفه المتنوعة المحفورة في الحجر أو الملبسة بالرخام وبمقرنصاته الخلابة التي تغطى حجر الباب أما الواجهة الثانية فهى المشرفة على ميدان صلاح الدين وتتوسطها القبة تقوم على يمينها المنارة الكبيرة التي يبلغ ارتفاعها ٨٤ مترا تقريبا وعلى يسارها منارة صغيرة أقل من ا لأولى ارتفاعا ويرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ١٠٧٠ هجرية ٦٠م. كما هو موضح في الشكل (٦-١٠). فإذا كانت الأهرامات فخر الحضارة الفرعونية فإن مدرسة السلطان حسن هي فخر الحضارة الإسلامية وهذا الكلام ليس تحيُّزًا ولكنه حقيقة أقرَّها المؤرِّخون والمعماريون فقد حوى الجامع كل غريب وجديد وفريد في مجال العمارة كما تمثلت فيه كل مقومات المدرسة الإسلامية من الناحية الدينية والمعمارية على السواء فالجامع بشهادة المؤرخين لم يُبْنَ في الإسلام نظيره ولا حاكاه معمار في حسن عمله فهو أضخم مساجد العالم الإسلامي عمارةً وأعلاها بنيانًا وأكثرها فخامةً وأحسنها شكلاً وأجمعها لمحاسن العمارة وأدلُّها على عظم الهمَّة وغاية العناية التي بُذلت في إنشائه، كما هو موضح في الشكل (٦-١١) وهو ما يؤكده المؤرِّخ المصري المقريزي فعند وصفه للجامع في كتابه الخطط ذكر أنه لا يُعرَف في بلاد الإسلام معبدٌ (مسجد) من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وذكر المقريزي أن في هذا



شكل ٦-١٠ واجهة اخرى للمسجد تظهر فيها المنارة
المصدر: المرجع السابق

الجامع عجائبَ من البنيان منها أن مساحة إيوانه الكبير ٦٠ ذراعًا في مثلها وهو بذلك أكبر من إيوان كسرى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع وبالجامع القبة العظيمة التي لم يُبنَ بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها وبه أيضًا المنبر الرخامي الذي لا نظير له.

شكل ٦-١١ مدرسة ومسجد السلطان حسن

المصدر : المرجع السابق



٦-٥-٢ دار العدل (ديوان المظالم):

على اعتبار أن العدل هو جوهر الشريعة الإسلامية من خلال الاعتماد على أحكام الله في الفصل بين المتنازعين، فقد نشأ ديوان المظالم أو نظر المظالم في الإسلام، وهو "قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة"(الرباط، ٢٠١٠). ومن ثم ظهرت ما تسمى بدور العدل التي تعد من مؤسسات الدولة الإسلامية المهمة جدا فهي تمثل عملية القضاء في الدولة وكانت تتم عن طريق عقد جلسات الاستماع العامة كل اسبوع مرة أو مرتين وكان يترأسها الحاكم نفسه أو أحد نوابه، وذلك لاستعراض المشاكل والشكاوي المقدمة من المواطنين ومحاولة حلها ومعالجتها إلا أنه لم يخصص لها مكان محدد(الرباط ،٢٠١٠)، ولم يفرد أي من الخلفاء والسلاطين مبنى خاصاً لجلسات النظر في المطالب إنما كانوا يجلسون في أماكن مختلفة، تارة في ردهات القصور وتارة في قاعات العرش وتارة في باحات الجوامع أو أواوين المدارس، إلى أن أتى

نور الدين محمود بن زنكي ليستن سنة جديدة في إقامة مبنى خاص لدار عدله في دمشق، وسار خلفاؤه من الأيوبيين والمماليك في سورية ومصر عليها حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون، وبنوا ست دور عدل أخرى على الأقل. (عزب، ٢٠٠٩) وقد شيدت معظم دور العدل في الدولة الاسلامية ما بين ١١٦٣ و ١٣٣٤ م. (الرباط ،٢٠٠١)

ويتفق ظهور وارتقاء دار العدل كمنشأة معمارية مستقلة مع حدثين تاريخيين جليليين في العالم الإسلامي، أولهما هو الرد الإسلامي على الغزوة الصليبية الأولى التي ابتدأت قبل نصف قرن من الزمن ٤٩٣/١٠٩٩م.(وزيري،٢٠٠٥) ذلك الرد الذي بدأه زنكي بن أقسنقر ٥٢١-٥٦٠هـ/١١٢٧-١١٦٤م. تم نظمه وأججه نور الدين واستلم لواءه منه صلاح الدين، وثانيهما هو النهضة الإسلامية بعد الصدمة المغولية التي قضت على الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. (عزب، ٢٠٠٩) أما المدن الثلاث التي شهدت إقامة دور العدل، فهي دمشق وحلب والقاهرة. وفي القرن الثالث عشر تحولت هذه المدن إلى السلطة المملوكية، واتخذ سلاطين المماليك قلعة الجبل بالعاصمة المصرية مقراً لحكمهم، ودمشق، وحلب، عواصم إقليمية. ولا يمكن التأكيد بأن علاقة مباشرة، أحادية، واضحة ومؤكدة بين ظهور دار العدل وتأجج حركة الجهاد وحروب الاستعادة وإيقاف المد المغولي، ولكن التوافق النظري بين هاتين الظاهرتين، بالإضافة لعوامل اجتماعية وثقافية أخرى، يدفع للتأمل في الربط بين التطور المعماري والمؤسساتي لدار العدل وبين الأحداث التاريخية المتقدة حولها، ويبدو أن دار العدل قد فقدت مبرر وجودها كمؤسسة مستقلة وكنموذج معماري من مفردات العمارة الإسلامية، كانت دارا العدل في دمشق وحلب، خارج القلعة (الرباط ،٢٠١٠) وإن كانتا تقعان في محيطهم، وهو يعزز العلاقة بين داري العدل والسلطة العليا في الدولة. أما دار العدل في مصر فكانت دائماً منذ عصر الكامل ابن العادل جزءاً من مقومات قلعة الجبل كمقر للحكم. (عزب، ٢٠٠٩)

يبرز ظهور دور العدل كمنشأة معمارية ذات وظيفة تتعلق بالرعية، في رقعة محدودة وفي زمن مؤطر بفترة حرب الاسترجاع من الغزوة الصليبية ورد الغزوتان اللتان هددتا المنطقة وغيرتا منحنى تاريخها، وكادتا أن تزيلا هويتها الحضارية والثقافية والدينية، وليس ذلك فقط، بل إن دور العدل المعروفة قد أنشئت كلها في العواصم الثلاث، دمشق وحلب، والقاهرة، التي كانت في الوقت نفسه المراكز الرئيسية للجهاد.(www.alqudsonline.org)

إن أول بان لدار عدل كان السلطان نور الدين محمود بن زنكي، أول موحد للجبهة الإسلامية في وجه الصليبيين، ولعلها ليست مصادفة أن آخر بان لدار عدل كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي تمكن بفضل مزيد من الحنكة من إيقاف المد المغولي الإيلخاني، ولذا كانت العلاقة بين قيادة الجهاد، والاهتمام به والاستعداد من أجله وبين بناء دور العدل نابعة من الظروف التاريخية العصيبة والصعبة التي فرضت على حكام المسلمين في خلال ثلاثة قرون، مما دفعهم إلى أن يركزوا على إبراز المواصفات المقبولة والمحبذة إسلامياً.(عزب، ٢٠٠٩)

ومع حلول القرن الرابع عشر، وخلال فترة الحكم الطويلة للناصر محمد، استقرت الخارطة السياسية للمنطقة وتوطدت سلطة السلطنة المملوكية، وزال الخطر الخارجي، وبدأ تركيزهم على إبراز المواصفات المرغوبة إسلامياً في حكمهم يذوي ويخف، ومع أن أبناء الناصر محمد الذين حكموا بعده واظبوا على جلوس دار العدل عملاً بسنة أبيهم، فقد أهملوا القواعد الدقيقة المتعلقة بمراسم الجلوس في الإيوان، ومع مجيء العصر البرجي، بدأ السلطان برقوق بعقد جلسات دار العدل بالإيوان، في محاولة منه للسير على مراسم أسرة قلاوون السلطانية، وسرعان ما نقل جلسات نظر المظالم إلى المقعد السلطاني بالإسطبل، وغير أيام الجلوس للنظر في المظالم من الإثنين والخميس إلى الأحد والأربعاء، وكان يفضل عقد الجلسات في الصباح بينما وضع الناصر محمد عادة الجلسات الليلية، وبعد عصر برقوق أهمل الإيوان في العصر الجركسي. (عزب، ٢٠٠٩) ومع ذلك كان هناك مفتو دار العدل الدائمين والتي كان من مهامهم حسن تطبيق الشريعة الإسلامية وكان عددهم اثنين الأول تابع للمذهب الشافعي والآخر للمذهب الحنفي (ضومط،٢٠٠٩).

بالنسبة لدار العدل التي كانت في دمشق فقد كانت باسم دار السعادة وكانت تعمل مركزاً لنواب دمشق وللحكومة،(الرباط ،٢٠٠١) كما كانت بمثابة محكمة عليا يمثل أمامها الأمراء ومن دونهم كما كان ينزل فيها الضيوف الرسميون عند حلولهم في العاصمة دمشق. وبشكل عام كانت تتكون من قاعة كبرى لها إيوان في المركز يجلس فيه السلطان وبجانبه مقعد فارغ مغطى بالحرير الأصفر وهو اللون الرسمي لدولة المماليك وهنا إشارة إلى أن دار العدل عامة مشابهة لمعظم قاعات الاستقبال الأميرية الخاصة حيث إنها قاعة مع اربعة إيوانات مرافقة ومركزية (الرباط ،٢٠٠١)

٦-٤-٣ قلعة محمد على في القاهرة

تقع قلعة محمد علي في القاهرة على جبل المقطم لذلك سميت بقلعة الجبل، كما هو موضح في الشكل (٦-١٢) مرت قلعة الجبل بمرحلتين أساسيتين في عملية البناء والتعمير، الأولى هي مرحلة التأسيس التي بدأت على يد صلاح الدين وانتهت بانتقال الكامل بن العادل الأيوبي إلى القلعة ليتخذها مقراً لحكمه عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م. في هذه المرحلة باتت القلعة تستكمل مقوماتها كحصن حربي ومقر للحكم.



شكل ٦-١٢ موقع قلعة محمد علي
المصدر: "google earth"

والمرحلة الثانية تبدأ من عصر الكامل إلى نهاية عصر الناصر محمد بن قلاوون، ويمكن اعتبارها فترة تكوين مقومات القلعة كمقر للحكم، وبعد حكم الناصر لم تضف إلى القلعة منشآت جديدة تدل على تحولات مثيرة، سوى بعض الإضافات والتعديلات والتجديدات خاصة في العصر العثماني، يبقى عصر محمد على فترة حاسمة في تاريخ القلعة، إذ حدث فيه تغير في التعبير المعماري كان انعكاساً للوضع السياسي الجديد. (عزب، ٢٠٠٩)

وكبداية لدراسة الموقع والبناء سيتم التعرض لتحليل موقعها بشكل مبسط حيث بنيت القلعة على نتوء صخري ارتفاعه ٧٥ متراً يمتد غرباً من جبل المقطم وهو في منتصف الطريق بين القاهرة والفسطاط. كما هو موضح في الشكل (٦-١٣)



شكل ٦-١٣ منظور عام لقلعة محمد علي
المصدر: http://ar.wikipedia.org

وقد اختار صلاح الدين موقع القلعة بنفسه بواسطة تعليق ثلاث قطع من اللحم في ثلاثة مواقع. كان موقع الرصد هو أكثر هذه المواقع التي

بقي فيها اللحم أطول فترة ممكنة دون أن يفسد. (عزب، ٢٠٠٩)، وهو ما يوضح أهمية المميزات البيئية والصحية في اختيار الموقع. وبالرغم من ذلك وقع اختيار صلاح الدين على موقع القلعة الحالي لأسباب إستراتيجية. فهذا الموقع يطل ويهيمن على مدينة القاهرة في الشمال الغربي ومدينة الفسطاط في الجنوب. والمسافة بينهما نادرة السكان، والممر أو الطريق الشمالي الجنوبي بينهما. كما واستعمل أحجار من بعض الأهرامات الصغيرة التي كانت موجودة آنذاك بعد هدمها في بناء الحجر، كما وشارك في البناء بعض الأسرى الفرنجة الذين كان يأسرهم من الحرب. وأمر بهدم المساجد والقبور التي كانت موجودة على القمة لكى يقوم ببناء القلعة عليها حيث قام العمال بنحت الصخر وإيجاد خندق اصطناعي فصل جبل المقطم عن القمة لزيادة في مناعتها وقوتها.وقد كتب على بابها الموجود في الضلع الغربي للقلعة، كتابة تشير إلي بناء هذه القلعة، ونصه " بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة، المجاورة المحروسة القاهرة التي جمعت نفعاً وتحسيناً وسعة على من التجأ إلي ظل ملكه وتحصيناً، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، أبو المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولي عهده، الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد خليل أمير المؤمنين، علي يد أمير مملكته، ومعين دولته، قراقوش ابن عبد الله الملكي الناصري في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ".(عزب، ٢٠٠٩)

تعتبر قلعة صلاح الدين الأيوبى بالقاهرة من أفخم القلاع الحربية، كما هو موضح في الشكل (٦-١٤) التي شيدت في العصور الوسطى فموقعها استراتيجي من الدرجة الأولى بما يوفره هذا الموقع من أهمية دفاعية لأنه يسيطر على مدينتى القاهرة والفسطاط، كما أنه يشكل حاجزا طبيعيا مرتفعا بين المدينتين كما أنه بهذا الموقع يمكن توفير الاتصال بين القلعة والمدينة في حالة الحصار كما أنها سوف تصبح المعقل الأخير للاعتصام بها في حالة إذا ما سقطت المدينة بيد العدو. ولزيادة فعاليتها فقد حفر صلاح الدين في القلعة بئراً يستقي منها الجيش وسكان القلعة إذا مُنع الماء عنها عند



شكل ٦-١٤ منظور آخر لقلعة محمد علي
المصدر : المرجع السابق

حصارها. وهي أعجب ما تم من أعمال لأن البئر محفور في الصخر بعمق ٩٠ متر من مستوي أرض القلعة، وهذا يتطلب جهداً كبيراً في ذلك الوقت.(عزب، ٢٠٠٩)

مر بهذه القلعة الشامخة الكثير والعديد من الأحداث التاريخية حيث شهدت أسوارها أحداثا تاريخية مختلفة خلال العصور الأيوبية والمملوكية وزمن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، وحتى تولى محمد على باشا حكم مصر حيث أعاد لها ازدهارها وعظمتها.

وسيتم في هذا السياق استعراض للقلعة في زمن المماليك حيث إنه اهتمام هذه الدراسة.

القلعة في العصر المملوكي

تعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م حداً فاصلاً بين دولتين: الأيوبية والمملوكية، وإن كان حداً غير رسمي، إذ بوفاته استعدت شجر الدر ابنة تورا نشاه من حصن كيف يتولى الملك، غير أن سوء تدبير الملك، وإهماله مماليك أبيه، أدى إلى قتله على يد المماليك في عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م. استقرت شجر الدر زوج الصالح أيوب بعد ذلك على عرش مصر، واتخذت من قلعة الجبل مقراً للحكم، وأدت الحوادث المتتالية إلى زواجها من عز الدين أيبك أتابك السلطان الأيوبي الأشرف موسى،(عزب، ٢٠٠٩) استقر عز الدين أيبك في ملك مصر، غير أن نزاعه مع الفارس أقطاى أدى إلى تصاعد الصراع بينهما، اتخذ أيبك عدداً من الإجراءات التي لها أثرها في توطيد دور قلعة الجبل كمقر للحكم، منها على سبيل المثال أمره بهدم قلعة الروضة سنة ٦٤٩ هـ/ ١٢٥٠م. حتى لا يتخذها مناوئة مقراً لهم ينافسون منه على الحكم ويتحصنون به، أدى طلب الفارس أقطاي المنافس القوي لنفوذ المعز أيبك الانتقال إلى القلعة ليقيم فيها إلى اضطراب الأخير، حيث إن ذلك سيؤدي إلى أن تكون الكلمة العليا لأقطاي خاصة أن اتخذ شارات الملك لنفسه، وهو ما جعل أيبك يتعجل الأمر باستدعاء أقطاي بصورة عاجلة لاستشارته في أمر مهم، ليقتله أيبك في قاعة الأعمدة بالقلعة وحاصر مماليك أقطاي القلعة، غير أن رميت لهم رأس أقطاي فهربوا إلى الشام، وتعتبر هذه الحادثة هي بداية لتجسيد دور جديد للقلعة، إذ أن الصراع على السلطة بين المماليك سيتمحور حولها، لتصبح السيطرة عليها رمزاً للسيطرة على حكم مصر وبلاد الشام والحجاز. ومفهوم القلعة هنا مختلف عن المفهوم الذي شيدت من أجله، إذ إنها شيدت كمقر بحكم الحاكم الذي يسيطر على أسوار المدينة، وتعد القلعة في هذا المفهوم المفصل القوي وخط الدفاع

الرئيس عن العاصمة المصرية في ظل الحروب الصليبية.وبذلك تحولت القلعة إلى رمز للسلطة من يستولي عليها تصبح بيده السلطة، حتى عصر محمد علي. (عزب، ٢٠٠٩)

ولدراسة القلعة فإن بها قاعدة الأعمدة، وهي في الغالب قاعة استقبال رئيسة للأمراء، والتي تقع في النطاق الجنوبي من القلعة ضمن سلسلة المباني السلطانية، ويوجد فيها (مرتبة خاتون)، ويبدو أنها العرش المخصص لجلوس السلطان، وقد شهدت هذه القاعة مبايعة الخليفة العباسي الجديد في عهد بيبرس البندقداري سنة٦٦٠ هـ/١٢٦١م. ثم توالت الأحداث حيث قتل عز الدين أيبك وقتلتت شجرة الدر ودفنت في قبتها وبموتها انتهت فترة المماليك البحرية وبدأ عهد جديد في القلعة حيث تولى السلطة المنصور علي بن أيبك ٦٥٥هـ/١٢٧٥م عرش مصر بشكل مؤقت إذ لم تكن ثمة أسُر حاكمة باستثناء أسرة قلاوون، بعدها استطاع المنصور في تكوين فرقة قوية من المماليك البرجية تدين بالولاء بأسرة قلاوون، وعلى الرغم من ذلك فقد تخلل عصر هذه الأسرة صراع سياسي مرير بين المماليك الأتراك والبرجية حيث النفوذ والسلطة. (عزب، ٢٠٠٩). وفيما يلي استعراض للقلعة في ظل حكم بعض السلاطين المملوكيين.

القلعة في عهد الظاهر بيبرس:

قتل الظاهر بيبرس المظفر قطز بعد تحالفهما معاً ضد التتار، في طريق العودة إلى القاهرة، لقى قطز مصرعه، ليذكرنا ذلك بالصراع القديم بين مماليك أقطاي ومنهم بيبرس ومماليك المعز ومنهم قطز، ولكن الغلبة هذه المرة كانت لمماليك أقطاي، ومن المتوقع منطقياً أن تتم محاكمة بيبرس القاتل، ولكن في ظل المبدأ المملوكي (الحكم لمن غلب). تولى بيبرس السلطنة بعد أن استقرت مقاليد السلطة ليد المماليك البحرية حيث أدى انتصار المنصورة ضد الصليبيين، ومن بعده انتصارهم على التتار في عين جالوت إلى تثبيت شرعية حكمهم، حيث يعتبر فقهاء السياسة الشرعية حراسة بلاد المسلمين والجهاد إحدى الوسائل التي تعطي للحاكم الشرعية، بخاصة بعد أن احتاجت ديار الإسلام إلى الدفاع في ظل الهجوم الصليبي وكانت الخلافة هي النظام الذي استقر كحكم شرعي للمسلمين، وأصبح الجهاد مدخلاً يسوغ الوصول إلى السلطة الشرعية، وهو المنظور الذي أعطى للمماليك شرعية حكمهم. لعل ذلك يبرر السبب الذي من أجله أقام المماليك مشهد النصر في عين جالوت ليكون شاهداً يذكر كل من يمر به بجهاد المماليك وهو شاهد يخلد انتصاراً

كان بيبرس أحد صانعيه. وبشكل عام فقد كان الظاهر بيبرس ذا وعي سياسي أدرك من خلاله المرحلة وتحدياتها، وكان يتوق إلى أن يكون له دور متميز عادي فيها، يساعده على ذلك شخصية قيادية فذة، ونظرة لماحة في استقراء معالمها الصعبة ولعل أخطر التحديات حين ذاك ما واجهه من انقسام في جبهة المماليك، وتحزب طريق ضده من أتباع السلطان السابق. بناء على ذلك اعد خطة ذات بعد اسلامي واضح اعماله مترابطه وأهدافه واضحة إلى حد كبير، فالتقرب من الفقهاء، وأداء فريضة الحج، والانفتاح على المذاهب الأربعة وتعيين قضاتها في سائر الأقطار الإسلامية التابعة له ... ليست كلها سوى تعبيرات عن مشروعه الذي سيكتمل إطاره بعملية إحياء الخلافة العباسية، كما عمل على بعض التحسينات العسكرية مثل تحصين الثغور وبناء القلاع والأبراج فضلاً عن مدرسته التي تأسست على أنقاض القصر الفاطمي الشرقي، وكان مما يلفت النظر أيضاً في هذا الاتجاه شيوع ظاهرة المساجد التي حظيت باهتمام معظم السلاطين المماليك وهي لا تعدو أن تكون إحدى السبل التي استخدمها هؤلاء للتقرب من المسلمين وإعطاء دولتهم الصفة الإسلامية. استقرت نظم دولة المماليك في عهد الظاهر وظهر ذلك بوضوح في قلعة الجبل، رتب الظاهر بيبرس فرقة جديدة من المماليك عرفت بالمماليك السلطانية أو الظاهرية تدين بالولاء له، وأبقى الأمراء الكبار من المماليك البحرية الذين كانوا دعامة حكمه حول القلعة حيث بنى له القصور بالقرب من القلعة، وذلك خشية احتكاكهم ومماليكهم بطبقات الشعب كان بيبرس في حاجة إلى السيطرة على أمرائه ليكونوا إلى جانبه، وفي الوقت نفسه إلى إبعادهم عن القلعة، لأن وجودهم بها يسهل قيامهم بانقلاب ضده. لذا جاء بناء هذه القصور حلاً عملياً لهذه المعضلة. وحاول بيبرس أيضاً إحياء دور قلعة الروضة، ولذلك أمر في سنة ٦٦٠ هـ/١٢٦١م الأمير جمال الدين موسى بن يغمر الأستادار لتجديدها، وتجهيز قاعاتها، ووزع أبراجها بين الأمراء، وجعل كل واحد منهم مسؤولاً عن إعادة بناء برج، فأقاموا بيوتاً لهم واسطبلات هناك. وإحياء الظاهر قلعة الروضة ليس له سبب واضح. ويبدو أنه أراد أن يستوعب الأمراء ويضعهم ومماليكهم تحت سيطرته، وفي الوقت نفسه تنمية القوة المملوكية لمواجهة التحديات التي تواجهها سواء كانت صليبية أو مغولية.

أحدث الظاهر بيبرس العديد من المنشآت في القلعة، ولكن أهمها على وجه الإطلاق هو اهتمام بإمدادات المياه، حيث إن عدم توافرها قد يؤدي إلى فقدان القلعة درجة مهمة من درجات الصمود

عند حصارها. فضلاً عن أن الماء يساعد على زيادة عمرانها، أنشأ الظاهر بيبرس صهريجاً للمياه بالقرب من القلعة جلب إليه المياه من بئر للمياه.

القلعة في عهد المنصور قلاوون:

يمثل عصر المنصور قلاوون(٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) واحداً من عصور التحول في القلعة. ولا يوجد أي دلائل قاطعة على وجود مبان يمكن نسبها إليه بطريقة قاطعة، سواء تلك المدفونة في الطبقات السفلى من القلعة أو حتى الظاهرة فوقها. ولكن التحول الأكبر حدث في استقدامه المماليك الجراكسة وأجناساً أخرى أسكنهم بأبراج القلعة، فعرفوا بالمماليك البرجية ليكونوا عوناً له ضد المماليك الظاهرية، ولابد أن إسكان هؤلاء الذين بلغ عددهم على وجه التقريب ٣٧٠٠مملوك – استلزم تعديلات في أبراج القلعة، أو إضافة أبراج جديدة، لا تذكر المصادر منها سوى البرج المصوري – الذي يرجع أنه كان يقع في موقع البرج الوسطائي الذي يعرف في خريطة وصف مصر ببرج الطبلخانة والذي يرجع أنه أحدثت به تجديدات عثمانية. وهذا البرج من المحتمل أنه كان أحد الأبراج الأيوبية بالقلعة. وقد قام المنصور قلاوون بهدمه وإعادة بنائه في حجمه الحالي الكبير ليتناسب مع وظيفته الجديدة. والمبنى الثاني المهم الذي ينسب المنصور قلاوون هو القبة التي أقامها في موضع قبة الظاهر بيبرس. فقد هدمت في رجب 685هـ/1289م وأعيد بناؤها. ولعل السبب وراء ذلك أن استخدام القبة أو الإيوان المنصوري كما كان يعرف لاحقاً للاستقبال ولوجود العرش المملوكي به، يجعل لدى السلطان الرغبة في أن يكون منسوباً إليه، وقلاوون أراد أن يجعل الحكم له ولذريته من بعده، فهدم المبنى الرئيسي الذي يرمز إلى السلطة وشرعيتها داخل القلعة ليحل محله آخر أكثر فخامة.

وفي وصف هذه القبة فقد وصفت بأنها "رسم ببناء قبة في الرحبة الحمراء بالقلعة المحروسة بمباشرة الأمير علم الدين المنصوري فجاءت من عجائب الأبنية التي ما عمر مثلها ملك في مملكة من الممالك ومن عارض في هذا القول فليقل فلان في المكان الفلاني فنسلم له. والذي بهذه القبة بخاصة من العمد الكبار والصغار الملونة والمذهبة أربعة وتسعون عاموداً خارجاً من الرواقات والذي ألصف بها من الذهب ألفان وثلاثمائة دست ذهباً مصرياً. وأما من الرخام فما لا تحصى

قيمته وفي جدران رواقاتها صفة قلاع مولانا السلطان قلعة قلعة وحصناً حصنا ببحارها وأنهارها وسهولها وجبالها" (عزب،٢٠٠٩)

ومما نظمه الشاعر فيها:

شيدت للملك كل قصر	يربى اعتلاء عل البرابى
فصرح بلقيس في انقضاض	وصرح هامان في انقضاب
وقصر عمدان في انقلاء	وشعب بوان في انقلاب
يا حسنها قبة تعالت	حتى تناهت إلى السحاب

إن مقارنة واضحة بين عدد الأعمدة في قبتي الظاهر وقلاوون 12 في الأولى و94 في الثانية يكشف عن فارق كبير في حجم المبنيين وتكوينهما، ولا شك أن هذا الفارق مقصور به بيان مدى قوة وعظمة حكم قلاوون تجاه سابقة بيبرس والذي كان قد استقر حكمه في الوجدان الشعبي المصري كحاكم عادل حتى دخلت سيرته وحياته في الأدب الشعبي.(عزب،٢٠٠٩)

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تعلق المصريين به. وكان على قلاوون أن يواجه هذا التحدي لحكمه سواء بحزمه كحاكم، أو بتكوين مماليك موالين له في مواجهة المماليك الظاهرية، أو بتشبيك عمائر تعبر عن عصره بقوة أكبر من عمائر سابقيه.

جدد المنصور قلاوون دار النيابة التي كانت مقراً لنائب السلطان، وهو من المناصب المهمة في الدولة التي عرفت منذ العصر الأيوبي ويعد النائب الساعد الأيمن للسلطان في تصريف شؤون الدولة، حيث فاقت قوة نائب السلطنة في بعض الأحيان قوة السلطان نفسه، ولسطوة نواب السلطنة بعد الأشرف خليل ألغى الناصر محمد هذا المنصب في سلطنته الثالثة. من هذا كله تتضح أهمية دار النيابة في القلعة. حيث كانت تمارس منها سلطات واسعة النطاق. وإن كانت أهمية هذه المنشأة تلاشت مع تلاشي هذا المنصب في العصر المملوكي الجركسي. مما دفع الناصر لهدم دار النيابة بالقلعة عام ٧٢٧ هـ/١٣٢٧م. حيث أعاد الأمير قوصون دار النيابة إلى ما كانت عليه. وكان يجلس في شباكها لكي يشرف على الداخلين إلى القلعة من الباب المدرج أو من

الطريق السلطاني المنحوت في الصخر إلى باب السر الكبير. ويشرف منه على المواكب السلطانية.

أبواب القلعة

- **باب المقطم**

عرف هذا الباب باسم باب المقطم لمجاورته لبرج المقطم الذي يرجع تاريخه إلى العصر العثمانى كما عرف هذا الباب باسم باب الجبل لإشرافه على باب جبل المقطم أما حاليا فإنه يعرف باسم بوابة صلاح سالم.

ولقد ضاعت معالم هذا الباب حيث تم هدم جزء كبير من السور والشرفات التي كانت تعلوه كما تم هدم جزء كبير من السلالم التي كانت توصل إلى أعلى السور الشمالى وبرج المقطم عند شق طريق صلاح سالم سنة ١٩٥٥م وفتح الباب الحالى.

- **الباب الجديد**

بدأ محمد على باشا في بناء الباب الجديد سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م ليستخدم بدلا من الباب المدرج والذي كان الباب العمومى للقلعة الذي أنشأه الناصر صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م فلقد رأى محمد على باشا أن كلا من الباب المدرج وباب الانكشارية لا يصلحان لمرور العربات والمدافع ذات العجل فبنى بدلا منها الباب الجديد ومهد له طريقا منحدرة لتسهيل الصعود إلى القلعة والنزول منها وهذا الطريق يعرف اليوم باسم شارع الباب الجديد أو سكة المحجر.

- **الباب الوسطاني**

اختلف في تسمية هذا الباب بالوسطانى فقد سمي بذلك نظرا لأنه يتوسط الديوانين الكبيرين بالحوش السلطانى وهما ديوان قايتباى وديوان الغورى، كما ذكر بعض الباحثين أنه عرف بالوسطانى لأنه كان يفصل ما بين دهليز القلعة العمومى البحرى – الباب الجديد – وبين الحوش الذي يقع فيه جامع الناصر محمد بن قلاوون وجامع محمد على باشا، ولقد قام محمد على باشا بتجديد هذا الباب والسور الذي يحيط به وإن كان غير معروف تاريخ تجديد الباب الوسطانى نظرا لعدم وجود

نص تأسيسى أو لوحة تذكارية به إلا أنه من المرجح أنه قد قام بتجيده سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م عند تجديده لباب القلة المجاور للباب الوسطانى في الناحية الشرقية.

- **باب القلعة**

كان يعرف الباب الداخلى للقلعة بباب برج القلعة، وكان هذا الباب يفصل بين قلعة الجبل أو المدينة العسكرية المحصنة في الشمال وبين القلعة والمدينة السلطانية في الجنوب أما حاليا فإنه يعرف باسم بوابة المتحف الحربى.

٦-٤-٤ خان الظاهري

تم بناء خان الظاهر خارج أسوار مدينة القدس في الجهة الشمالية الغربية المشرفة على المدينة، وتحديداً ضمن أراضي قرية لفتا، فيما يعرف بمنطقة الشيخ بدر، وعلى مسافة قرابة 3 كم من سور القدس، بحيث شكّل هذا الموقع نقطة مهمة على طريق المواصلات بين يافا والقدس، بل بين المنطقة الساحلية من جهة والقدس والأغوار من جهة ثانية وبين شمال فلسطين وجنوبها. (المقريزي، ١٩٧٠)، أما الخان اليوم فقد اندثرت معالمه ولا وجود لأي أثر من آثاره، وكانت البعثة الفرنسية للآثار، التي قامت بحفرياتها في الجزء الشمالي الغربي من المدينة سنة ١٩١٢م ، قد تمكنت من العثور على أساسات هذا الخان، وتقوم اليوم مكانه وعلى أرضه المحطة المركزية للحافلات التابعة لشركة أيجد الصهيونية. (غوانمة، ٢٠٠٩)

قصة وتاريخ بناء الخان:

قام السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦١ هـ/ ١٢٢٦ م بزيارة القدس، فتفقد أحوالها ووقف على مصالحها وحاجاتها، وما يحتاجه المسجد الأقصى من عمارة، كما أنه نظر في الأوقاف ونظمها ورتب أوضاعها وكتب بضرورة حمايتها، وخصص خمسة آلاف درهم في العام تنفق على مصالح وحاجات المسجد الأقصى. وفي هذه الزيارة أمر ببناء خان خارج البلد للسبيل، وفوّض أمر البناء والإشراف عليه إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار، وتمّت عميلة إنجاز البناء سنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣ م، (المقريزي، ١٩٧٠) ويؤيد ذلك اللوحة الرخامية، التي أثبت عليها الظاهر إنشاء الخان وتاريخ البناء، وقد عُثر عليها سنة ١٩٦٠م في أثناء ترميم مسجد قبة الصخرة، وهي ضمن محفوظات المتحف الإسلامي، لكن تم فقد أجزاء من النقش بسبب تحطم اللوحة إلى شطرين.(غوانمة، ٢٠٠٩)

الهدف من إنشاء الخان:

أقام الظاهر بيبرس هذا الخان حتى يكون خاناً للسبيل، ولفظ السبيل يحمل معنى واسعاً فالسبيل معناه الطريق وما وضح منه، وسبل الشيء جعله في سبيل الله تقرباً إليه، وابن السبيل هو المسافر كثير السفر أو الذي قطع عليه الطريق؛ وابن السبيل هو الغريب الذي انقطع، ويريد الرجوع إلى بلده فله من الصدقات نصيب. (ابن منظور، ١٩٩٢) لذا، فإن صفة السبيل التي أُطلقت على الخان، تتفق تماماً مع طبيعة الأعمال والخدمات التي أقيم الخان من أجلها، فخان الظاهر لا تعود أهميته إلى كونه أقدم المنشآت المملوكية في فلسطين فحسب، بل لكونه أحد المؤسسات الاجتماعية الخيرية الرائدة في تاريخ فلسطين، التي قدمت خدمات جليلة إلى المسافرين وأبناء السبيل وعلى زائري مدينة القدس الذين حرصوا على شدّ الرحال إليها قادمين من مختلف الأصقاع الإسلامية متحملين مشقة السفر وعناء الارتحال الطويل، فيكون هذا الخان لهم الملجأ الأمين والنزل المعين.

مرافق الخان وأقسامه:

اتفق خان الظاهر في تصميمه ومرافقه مع الخانات الأخرى، فاشتمل على الصحن المكشوف الذي يتوسطه حوض ماء وتحيط به مرافق الخدمات والاصطبلات في الطابق الأول، وغرف النوم والاستراحة في الطابق الثاني، ويمكن لنا أن نتخيل ونتوقع أنه كان يشتمل على عدد كبير من الغرف المعدّة للنوم والراحة، وذلك لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الزائرين للمدينة المقدسة، لكونه محطة مهمة على طريق المواصلات، هذا بالإضافة إلى الحمامات ومصادر المياه كالأحواض وصهاريج الجمع والآبار، ويحتمل أن يكون قد زُوّد بسور خارجي يحيط به وببوابة ضخمة مصفحة محكمة الإغلاق ليلاً، وخصوصاً أن الظاهر كان قد أرسل للخان من القاهرة إلى القدس باباً مميزاً ضخماً ومصفحاً، كان لقصر الخلفاء الفاطميين، بالإضافة إلى أبراج للدفاع والمراقبة، وذلك تمشياً مع التصميم التقليدي المعروف للخان من جهة، وبسبب الحاجات الأمنية للخان ونزلائه في ظل وجوده في منطقة ريفية زراعية، كانت بعيدة عن أسوار القدس وتفتقر إلى الكثافة العمرانية والسكانية آنذاك.

أما مرافق الخان وأقسامه بحسب ما وصلنا من إشارات مختصرة تتبعناها في عدد من المصادر التاريخية، (المقريزي، ١٩٧٠) فتشمل ما يلي:

١.المسجد.

٢.الطاحونة لطحن القمح.

٣.الفرن لتجهيز الخبز.

٤. البستان لتوفير الغلاتّ الزراعية.

٥. المطبخ لتجهيز الطعام وتقديمه إلى النازلين والمسافرين والمحتاجين.

٦. دكان أو مشغل لإصلاح النعال والأحذية للذين جاءوا من أماكن بعيدة وقطعوا مسافات طويلة وحطّوا رحالهم على مشارف القدس.

لاشك أن هذه المرافق تبين لنا طبيعة الخدمات المتوفرة في الخان، وتنبئ عن أعمال الخير التي حرص الظاهر بيبرس على فعلها، وأن تعبير ابن كثير: «وله أوقاف وصلات وصدقات (ابن كثير، ٢٠١٠) » يوضح حقيقة الدوافع لمثل هذه السياسة والأعمال التي حرص الظاهر على فعلها، والتي تجسدت في مؤسسات اجتماعية ومشاريع خيرية، ولعله اختص القدس وفلسطين بأهمها، هذه حقيقة أكدها المؤرخون وأثبتوها، فهذا جلال الدين السيوطي يقول في معرض حديثه عن بيبرس» :وكان له صدقات عديدة ،« ويعطي أمثلة عديدة عليها، منها :توزيعه كميات كبيرة من القمح سنوياً على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وترتيب مطابخ خاصة في شهر رمضان تقدم مختلف أنواع الأطعمة إلى الفقراء والمساكين، ويكمل قائلاً" :وله أنواع من المعروف وأوقاف البر". (جلال الدين السيوطي، ١٨٦٠)، وفي ظل شحّ المعلومات الوصفية فيما يتعلق بأنشطة خان الظاهر وخدماته الخيرية، فإنه يمكننا أن نستأنس بكل ما من شأنه أن يكون لدينا صورة واضحة عن هذه المؤسسة الخيرية الرائدة، وإذا ما انتقلنا خطوة في هذا الاتجاه، وبحثنا عما جاء في المصادر التاريخية بشأن الخان وطبيعة خدماته لاتضحت الصورة أفضل، فيذكر مجير الدين الحنبلي بأن الظاهر» شرط فيه أشياء من فعل الخير، من تفرقة الخبز على بابه وإصلاح حال النازلين

به، وأكلهم وغير ذلك (مجير الدين الحنبلي، ١٩٧٣)، «أما المقريزي فذكر بأن ريع وقف الخان يصرف في ثمن خبز ونعال لمن يرِد إلى القدس من المشاة، بالإضافة إلى مبلغ من المال، (المقريزي،

١٩٧٠)وهذا يتفق مع ما أورده ابن تغري بردي بأن ريع الوقف يصرف في خبز وفلوس وإصلاح نعال من يرد عليه من المسافرين المشاة. (تغري بردي، ١٩٩٢)

يمكننا في ضوء ذلك كله، أن نرسم صورة لطبيعة الأنشطة والخدمات، التي قدمها الخان إلى عدد كبير من الناس من خارج فلسطين من مختلف البلاد والجنسيات،ومن داخلها من مدنها وقراها ومن القدس وما حولها. لابد وأن عشرات الألوف وأكثر، قد مروا بالمكان ونزلوا الخان، فوجدوا فيه ماينشدون من راحة وماء وطعام، وترتيب وإصلاح لأوضاعهم وتهيئة أنفسهم لتحقيق حلمهم ومبتغاهم بدخول المدينة المقدسة التي طالما تلهفوا لدخولها ومشاهدة معالمها، والتبرك بمقدساتها ومزاراتها، وكثير منهم من آثر البقاء في القدس ومجاورة الحرم القدسي، على الرجوع إلى أرض الوطن، سواء كان الهند أو المغرب أو السودان، أوغيرها من البلاد والأوطان. ومن المؤكد أن هذه الأنشطة والخدمات كانت تنجز بشكل منظم وبعملية تكاملية، لا بد من استعراض بعضها:

١. توفير خدمة النوم والراحة لأعداد كبيرة من الناس، في ضوء الموقع الاستراتيجي للخان في منطقة مشرفة على القدس تشكل مفتاح الطريق إليها، لا بد لحشود الزائرين والمسافرين من المرور منها.

٢. إعداد الخبز وتوزيعه على الأشخاص الذين ينزلون الخان، وعلى الذين يمرون من أمامه أو يأتون إليه خصيصاً ليأخذوا نصيبهم من الخبز، ويبدو أن العادة جرت على أن يوزّع الخبز على بابه، وهذا ما يفهم من كلام مجير الدين الحنبلي: «... وشرط فيه أشياء من فعل الخير من تفرقة الخبز على بابه... (مجير الدين الحنبلي،١٩٧٣).» إن تجهيز الخبز هنا هي عملية طويلة وشاقة تبدأ بزراعة الأراضي الموقوفة على الخان ومصالحه، وهي أراض واسعة جداً ويتبعها جنْي المحاصيل، وبيع بعضها للخان ونقْل البعض الآخر كالحبوب، وتخزينه في مستودعات، ثم القيام بعملية الطحن في الطاحون الذي لا بد وأن يكون حجمه ضخماً، وطاقته الإنتاجية عالية، حتى يستطيع أن يلبي الطلب الكبير والحاجات المتزايدة لتلك الأعداد الكبيرة من الناس التي تأوي إلى الخان أو تمر من أمامه أو تأتي إلى بابه، والشيء نفسه يمكن أن يقال عن الفرن وعمله وما يحتاج إليه من عمال وحطب. (غوانمة، ٢٠٠٩)

٣. لم يغفل الظاهر بيبرس الحاجات التعبدية والروحية لنزلاء الخان وروّاده، فبنى لهذا الغرض مسجداً مناسباً وعيّن له إماماً يؤم الناس في الصلاة، ويعتني بشؤونه ليبقى عامراً مفتوحاً للمصلين، (تغري بردي، ١٩٩٢)، ولا نستبعد أن هذا المسجد قام بدور تعليمي وتثقيفي، انطلاقاً من رسالة

المسجد المعروفة، وفي ذلك دلالة واضحة على شمولية مرافق الخان وتنوع خدماته وأنشطته.

٤. ألحق بالخان مطبخاً مناسباً، بالرغم من عدم وجود نص صريح ومباشر، لكن يمكن أن نقول ذلك مستندين إلى ما جاء في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: «وشرط فيه أشياء من فعل الخير ....وإصلاح حال النازلين به وأكلهم وغير ذلك.(مجير الدين الحنبلي، ١٩٧٣)» فتوفير الأكل، بحسب النص، يستدعي بالضرورة وجود مطبخ مؤهل لهذا الأمر، ويعزز ذلك بقايا لوحة حجرية تأسيسية، أثبت عليها وقف الخان، يحتفظ بها المتحف الإسلامي في القدس وتظهر صراحة موضوع «إطعام الواردين من الفقراء والمساكين » كما أن وجود هذا المطبخ يتفق تماماً مع رسالة الخان وشموليته وطبيعة خدماته.

٥. جرت العادة في الخان أن يقدم مبلغاً من المال إلى النزلاء من المسافرين والزائرين والمشاة، (المرجع السابق)، ويبدو أن هذه المبالغ كانت تُمنح للمحتاجين من الفقراء والمنقطعين وعابري السبيل.

٦. إصلاح النعال، (المرجع السابق)، وهي خدمة مهمة، وخصوصاً لأولئك المشاة والزائرين والمرتحلين الذين جاؤوا من أصقاع بعيدة، فاهترأت نعالهم وحلّ بها التلف من طول السفر ومشكلات الطريق، فلا شك أنها خدمة لا تقل أهمية عن توفير الماء والخبز والطعام.

٧. توفير خدمات أخرى أساسية وأولية، وإن لم تسعفنا النصوص بذلك، إلا إنه يمكن الاستدلال إليها وفقاً لضرورتها، وأهمها خدمة المياه وما يتبعها من أحواض وصهاريج وحمامات ومواضئ، فلا بد وأن ذلك كله كان موجوداً، والأهم من ذلك هو المصدر المائي الآمن والدائم الذي زوّد الخان بالماء، وقد يكون هذا المصدر قناة تغذّيها إحدى الينابيع، أو صهريجاً ضخماً تتجمع فيه

مياه الأمطار. وهذا يندرج ضمن السياسة التي درج عليها المماليك في موضوع الاهتمام بالمنشآت المائية والحرص على إقامتها، فكانت على رأس سلم أولوياتهم. وكانت مدينة القدس، في هذا الإطار، محور اهتمام السلاطين والأمراء المماليك، ليس بسبب شحّ الموارد المائية فيها فحسب، بل بسبب الحاجات المتزايدة لسكان المدينة وزوّارها ونزلائها الكثر. وإذا كان بيبرس قد حرص على إقامة الإنزال وغيرها، فمن باب أولى حرصه على إقامة المنشآت المائية، وقد سار على نهجه من جاء بعده من السلاطين، وفي هذا السياق قام المؤرخ خليل عثامنة في مستهل حديثه عن المشاريع المائية المبكرة في القدس خلال العهد المملوكي بجلاء الصورة وتصويب

أوضاعها، فقد تحدث عن بِركة أنشأها الظاهر بيبرس في القدس كانت قد حملت اسمه، لكن المصادر لم تحدد مكانها، يقول عثامنة: "إلا إنها)أي البركة(تكون بذلك أول مشروع للريّ يجري في المدينة في العهد المملوكي. ثم توالى بعدها إنشاء مشاريع أخرى....". (خليل عثامنة، ٢٠٠٨)، وبما أن المصادر أغفلت تحديد موقع البركة، هل هناك علاقة تجمع بين خان الظاهر وبركة الظاهر؟ أم هل نكون أوغلنا في الخيال إذا ما قلنا: لعل بركة الظاهر كانت في موقع قريب من الخان، أو لعلها كانت أحد مرافقه؟ وعلى كل الأحوال، فإن ذلك لن يغير من حقيقة الأمر، بأنه كان لخان الظاهر مصدره المائي، الذي ربما كان صهريجاً أو قناة أو الاثنين معاً، وخصوصاً أنه يوجد نبع ماء معروف في المنطقة القريبة، التي شيّدت فيها قرية لفتا، وهو ما عرف بنبع "نفتوح". ولا يغيب عن ذهننا صهريج الماء الضخم الذي بناه الظاهر بصفد، ليكون أبرز مرافقها وأصل عمارتها ومنبع حياة سكانها، وليبقى الأمر مفتوحاً للبحث والدراسة.

٦-٥ خلاصة الفصل السادس

تم التعرف في هذا الفصل على الفلسفة المعمارية لعمارة المماليك والتي كانت تعبر عن سيادتهم العسكرية وحياتهم الاجتماعية، حيث ظهرت سيطرتهم على أرض الواقع من خلال الواجهات التي سيطرت على طول الشوارع الرئيسة، وهذا يعني فرض السيادة على سكان الدولة الإسلامية كذلك تم دراسة أهم الملامح والسمات المعمارية للعمارة المملوكية، كما وتم دراسة المواد و العناصر الإنشائية للعمارة المملوكية، وأخيراً تم تطبيقها على بعض الأمثلة المهمة كمدرسة السلطان حسن وقلعة محمد علي والتي تعاقبت عليها بعض العصور الاسلامية كما وتم التعرف على خان الظاهري ودار العدل وكل ذلك تطبيق لسمات العمارة المملوكية ومميزاتها.

وأخيراً ولأن الدراسة تدور حول العمارة المملوكية في القدس، سيتم التعمق في عمارة المماليك في مدينة القدس.

الفصل السابع
الدراسة التحليلية لعمارة مدينة القدس المملوكية

(من صفحة ١٨٨ إلى صفحة ٢٢٠)

٧-١ العناصر المعمارية للعمارة المملوكية

٧-٢ المدرسة الأشرفية

٧-٣ سوق القطانين

٧-٤ قلعة القدس

٧-٥ خلاصة الفصل السابع

تمهيد

سيتم التعرف في هذا الفصل على أهم العناصر المعمارية والمفردات المعمارية المستخدمة في العمارة المملوكية في القدس ثم تطبيقها على الحالات الدراسية التي سيتم تحليلها وهي المدرسة الأشرفية وسوق القطانين وقلعة القدس، لكي نصل إلى أهم النتائج التي تسعى إليها هذه الدراسة البحثية وما هي التوصيات التي يجب أخذها بعين الاعتبار وطرحها للجهات المسئولة والأخذ بها.
حافظت العمارة الإسلامية على البعد الإنساني في مبانيها شكلاً وفكراً ومضمونا، كما أنها وفرت للإنسان الإحساس الفعلي بالأمن والسكينة والسلام، والفصل بين حياة وصخب الشارع في الخارج المحيط وبين الحياة العائلية في الداخل وتوفير الخصوصية والتمتع بالفراغ الداخلي واستعملت الفنون لتهيئة بيئة إنسانية يتفاعل فيها الإنسان حسياً ونفسياً (جابر، ١٩٨٣)، تعتبر عناصر المفردات المعمارية من أهم العلامات التي تميز حضارة العمارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات، وقد استخدمت هذه العناصر للتعبير عن الإطار المكاني والوظيفي للعمل وللتعبير عن الدلالات البصرية للعمارة الإسلامية عامة.

٧-١ العناصر المعمارية للعمارة المملوكية

بشكل عام فقد اهتمت العمارة المملوكية بإظهار سلطتهم السياسية فاهتموا بالعمارة من خلال قصورهم ومساجدهم وأضرحتهم. وقد تأثر الشكل العام لمبانيهم بمسقط البازليكا الرومانية والبيزنطية حيث كان المسقط طويل كمسقط البازليكا ولكن استبدلوا الحنية فيه ببوابة ضخمة ويتم فتح الباب على الجانبين وذلك للدلالة على امكانية الوصول للسلطان دون عوائق، كما واهتم المماليك بعمارة الواجهات المعمارية على طول الشارع الرئيسي أكثر من غيرهم في العمارات السابقة حيث كانت مدنهم عسكرية مغلقة ومحاطة بأسوار ومكتظة فاهتموا بالواجهات من خلال العناصر المعمارية كاستخدام الخطوط المستقيمة والدوائر والأقواس وغيرها من الأشكال الهندسية، وقد ظهرت في عمارتهم شكل جديد وهو الطراز ألإيواني. ولمعرفة هذه العناصر سيتم التعرض لأهم المباني وهي ما يلي:



شكل ٧-١ الأعمدة في العصر المملوكي
المصدر: "www.ar.wikipidia.org "

١- **الأعمـدة:** وتعتبـر مـن العناصـر المعماريـة المملوكيـة المهمـة جـدا حيـث كانـت تسـتخدم لأغراض إنشائية كحمل السقف والعقود اضافة لاستخدامها لأغراض جمالية داخل المباني وخاصـة فـي الاركـان المميزة للمبنـى وقـد كـان يـتم الحصـول عليهـا مـن المبـاني القديمـة (الرومـاني والبيزنطيـة) ويعـاد اسـتخدامها فـي المبنـى لـذا قـد يتكـون مبنـى مـن عـدة أعمـدة مختلفـة الشـكل والحجـم واللـون ايضـا ولكـن بشـكل عـام كـان معظـم الاعمـدة مـن النـوع الكورنثي، كما هو موضح في الشكل (٧- ١) والشكل (٧-٢) تستخدم لتدعيم المبنى انشائيا وفي نفس الوقت تستخدم كعناصر جمالية وبأشكال مختلفة.



شكل ٧-٢ الأعمدة من الداخل

المصدر : "المرجع السابق"

٢- **الإيوان:** وهو أحد أهم العناصر المعمارية الخاصة بالعمارة المملوكية (ابتدعوه في عمارتهم) وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط بأضلاعه أربعة إيوانات أكبرها وأعمقها إيوان القبلة. وقد تميزت هذه الإيوانات أنها متقابلة ومعقودة، ولعل الهدف هو جعل العمائر الدينية تمثل دور المجمعات الدينية، فتقوم بأكثر من وظيفة.

٣- **المداخل:** لقد اهتم المماليك بالمداخل فقد أصبحت تحتل مكان بارز على الواجهة الرئيسية لمباني الطبقة الحاكمة، إلى جانب استخدام بعض العناصر الزخرفية المعمارية كالأفاريز البارزة والغائرة والمقرنصات والنقوش الكتابية المختلفة. أما بالنسبة لمداخل مباني عامة الشعب فقد كانت عادة تحتوي على مستويين فيبدأ المستوى الأول بالمدخل الأساسي للمنزل الموجود على الواجهة

الرئيسية للمبنى، ثم يتلوه ممر بزاوية قائمة حيث يبدأ في نهاية هذا الممر الصغير المستوى الثاني للمبنى وهو المدخل الآخر ويكون مرتبط بارتفاع منسوب المنزل عن منسوب الشارع. وعادة تكون هذه المداخل مصنوعة من الخشب كمادة بناء أساسية مضاف إليها بعض الحديد كتدعيم للباب في بعض المباني وذلك مع تشكيله بما يتناسب مع واجهة المبنى.

٤- **البوابات العامة:** والمقصود بها هي المداخل المعقودة على بداية الممرات والطرقات الضيقة داخل المدينة أو تستخدم للوصل بين الجدران المرتفعة العلو، وكان الهدف من وضعها هو التفريق في الاستخدام ما بين الطريق العام والطريق الخاص وما بين المداخل والفناء وخاصة إذا كانت متصلة ببعضها البعض، وقد كانت البوابات تأخذ شكل القوس والعقود المتقاطعة مزخرفة برفوف حجرية على كلا جانبيها.

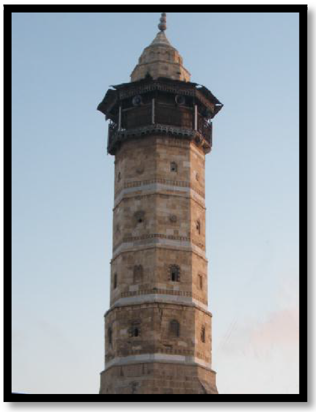
٥- **المساقط المعمارية للمباني:** وقد كانت منوعة حيث تأثرت المباني الدينية بالبازليكا الرومانية، أما المباني العامة والخاصة بالسكان فقد كانت معظمها مركزية التنظيم ذات فراغات مشطوفة محاطة بفناء داخلي وتوجيهها للداخل إضافة إلى احتواء بعض المباني على أدراج للطوابق العلوية. وحيث أن معرفة الاستخدام أمر هام فإن تشكيل المساقط على هذا الحال منع من التعرف على استخدام المباني الباقية نتيجة التشابه في تشكيل وتصميم المسقط الافقي للمباني.



شكل ٧-٣ المحراب من الداخل

المصدر: "المرجع السابق"

٦- **المحاريب:** تعتبر المحاريب من العناصر الأساسية في العمارة الاسلامية وكان يتم تمثيلها عن طريق عمل حنية في حائط القبلة تخصص كمكان لوقوف الإمام في الصلاة ولتحديد اتجاه القبلة وهي أقواس محاطة بأشباه دوائرة في مسقطها الأفقي، إلا أنها تكون مشتركة مع المبنى ومسطحه بالنسبة له، وقد كانت تستخدم هذه المحاريب للتعريف بالقبلة (اتجاه مكة المكرمة) لتوجيه المصلين نحوها. وقد كانت هذه المحاريب في كثير من مباني العمارة المملوكية محط الزخرفه الكتابية والنباتية والتي أظهرت كثير من الفنون الإسلامية المميزة والخاصة بالعمارة المملوكية. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣)



شكل ٧-٤ طبيعة المآذن

المصدر: "المرجع السابق"

7- **المنارة (المآذن):** لقد امتازت المنارات المملوكية برشاقتها وارتفاعها وجمال زخارفها حيث تم تشييدها على قاعدة مربعة تتحول بشكل تدريجي إلى مضلعة بثمانية أضلاع ثم مضلع باثنى عشر ضلعاً، وتنتهي أخيرا بالمقطع الدائري للمنارة، وتتخللها الشرفات البارزة والمحمولة على مقرنصات مما يضفي على رشاقتها جمالاً. كما هو موضح في الشكل (٧- ٤)



شكل ٧-٥ أشكال المنابر

المصدر: (http://www.alqudsonline.org)

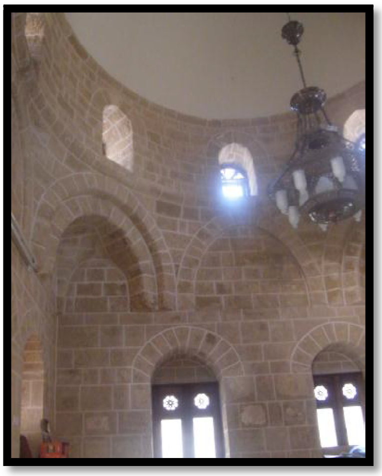
٨- **المنابر:** وهي مرتبطة بالمباني الدينية حيث ظهرت في المساقط الأفقية للمباني باستخدام الشكل الدائري للتعبير عنها واعتبر الشكل الدائري من مكوناتها الجمالية وعادة كان يتم صنع المنابر من الحجر كمادة تشييد أساسية ولكن مستخدم فيه الزخارف البارزة والمسطحة مما يضفي عليه جمال تكاد تختفي مادة صنعه الأساسية. كما هو موضح في الشكل (٧- ٥)



شكل ٧-٦ أشكال القباب

المصدر: "المرجع السابق"

٩- **القبـــاب:** تعتبـــر القبـــاب مـــن أعظـــم الابتكـــارات المعماريـــة التـــي ســـاهمت بشـــكل كبيـــر فـــي إضـــفاء الملامــح الجماليــة علــى الشــكل العــام للمبــاني وقــد كانــت عبــارة عــن نصــف كــرة مجوفــه تقــف علــى أعمــدة وجــدران تســتخدم بأبســط أشــكالها للتســقيف وتغطيــة المبنــى، وقــد كانـــت تطلـــى بالـــدهانات وتغطـــى بالكتابـــات القرآنيـــة والزخــارف حتــى لا يكــاد يظهــر مــادة البنــاء الأصــلية للقبــة، وكــان يــتم تشــييدها فــي البدايــة علــى قاعــدة مربعــة الشــكل تتحــول إلــى عقــود ثمانيــة متقاطعــة ثــم تصــبح اثنــا عشــر ضــلعا، ومــن ثــم يظهــر الطــوق الــدائري الــذي يحمــل القبــة، وقــد كانــت تــزين بالفتحــات علــى طــول الطــوق الــدائري لتــوفر الإضــاءة داخــل المبنــى التــي تغطيــه. كمــا هو موضح في الشكل (٧-٦)



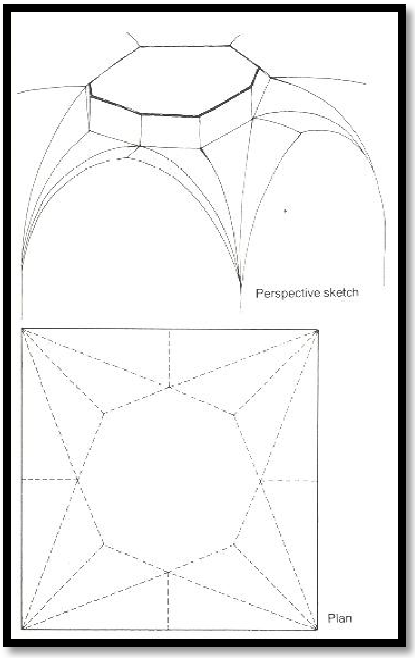
شكل ٧–٧ أشكال الإبلاق

المصدر : "المرجع السابق"

١٠- **الأبلاق:** وهي فن صناعة بناء الحجر حيث يتم رصف صف من الحجارة بلونين مختلفين باستخدام الحجر الأبيض المائل للصفرة (اللون الكريمي) مع الحجارة ذات الألوان المختلفة (أحمر أو أصفر أو أسود) ويتم استخدامها في تزيين مداخل المباني ونهاية العقود والأقواس المنتشرة في أنحاء المدينة. كما هو موضح في الشكل (٧- ٧)

١١- **الممرات:** كانت الممرات موزعة داخل المدينة المملوكية حسب تصنيفها ما بين العام والشبه خاص والخاص وقد كان هناك اهتمام بالمواد المستخدمة للبلاط حيث استخدم الحجر الغشيم في تشطيبها بحيث يكون بحالة جيدة لاستخدام المشاه، وقد استخدم بعض أنواع الرخام مثل البولي كروم في بعض الممرات الخاصة وذلك حسب المكان ومتطلباته.

١٢- **العقود:** تعتبر العقود من العناصر المعروفة في كثير من العمارات القديمة والتي سبقت الاسلام، وخاصة العقد الدائري، ولكن العمارة الاسلامية عملت على تطويرها لتكون مميزة وخاصة تحت اسم العقود الاسلامية، حيث طورتها من حيث التدبيب في زوايا حادة ومنفرجة وعمل اشتقاق أنواع جديدة منه مما يجعل العقود تظهر كعناصر جمالية معمارية بالاضافة إلى دورها الانشائي الاساسي في المباني. وقد استخدمت لتغطية المباني المختلفة وبعض الممرات المنتشرة في المدينة وفي بعض الأسقف النهائية التي لا تستخدم القبة في تغطيتها، واختلفت انواعها فكان منها المستقيم الخطي الطويل ومنها المتقاطع في نقطه ومنها المربعة الشكل ومنها المضلعة بعدة أضلاع، وقد كانت منتشرة الاستخدام في المدينة المملوكية. كما هو موضح في الشكل (٧- ٨)



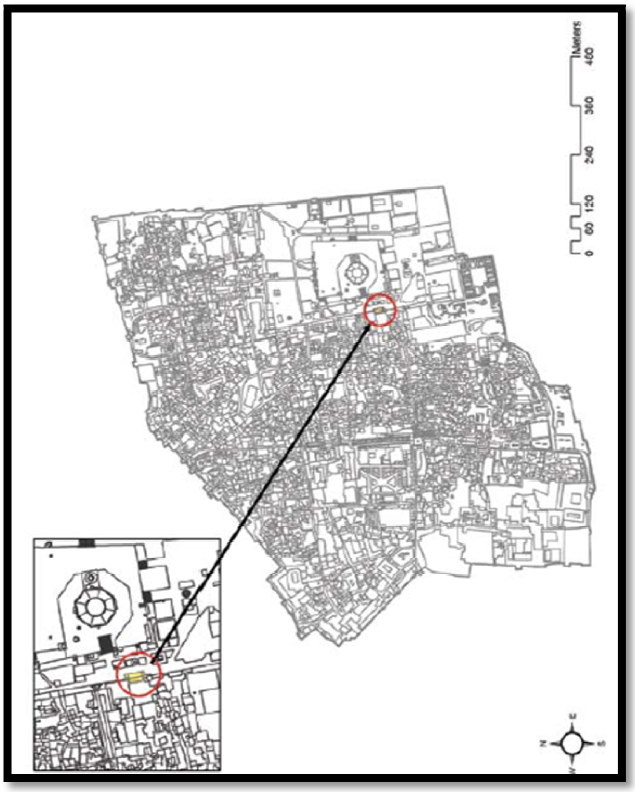
شكل ٧–٨ أشكال العقود والأقبية المتقاطعة

المصدر: "www.ar.wikipidia.org "

١٣- **الأقبية المتقاطعة:** لقد تم اعتماد نظام الأقبية في التسقيف وتغطية الفراغات داخل المباني وقد تشكلت بأشكال مختلفة فمنها الأقبية العادية، و منها المروحية تتوسطها زخرفة عند التقاء أضلاع القبو أو الأقبية المتداخلة، ومنها الأقبية النصف برميلية، وقد استخدم هذا النظام في تغطية المساحات الواسعة وا لمساحات الضيقة على حد سواء والممرات والمداخل في نفس الوقت. كما هو موضح في الشكل (٧- ٨)

٧-٢ المدرسة الأشرفية

تعتبر المدرسة الأشرفية الجوهرة الثالثة في الحرم القدسي الشريف بعد المسجد الاقصى ومسجد قبة الصخرة وذلك لفخامة البناء ولدورها التاريخي في إحياء الحركة العلمية والفكرية في القدس إضافة إلى دورها المعماري من خلال تميز نسيجها المعماري الذي يجمع عناصر متنوعة من الفنون الاسلامية. (النتشة، ٢٠١١)



شكل ٧-٩ مخطط لموقع المدرسة الأشرفية في البلدة القديمة

المصدر : "المرجع السابق"

الموقع وسبب التسمية :

وبنيت المدرسة بأمر من السلطان الأشرف قايتباي في سنة ٨٧٥هـ تعرف المدرسة الأشرفية باسم المدرسة السلطانية أيضا وينسب البناء الحالي للمدرسة الأشرفية للملك الأشرف أبي النصر قايتباي، ذلك أن البناء القائم اليوم هو الثالث الذي يقام في نفس الموقع في فترة لم تتجاوز عشرين عاماً، تقع المدرسة الأشرفية على الرواق الغربي للحرم الشريف، كما هو موضح في الشكل (٧- ٩) بين مئذنة باب السلسلة والمدرسة العثمانية، وقد يكون لموقعها داخل الحرم الفضل في شهرتها، كما وتعكس واجهتها الرئيسية التي تميزت بالفتحات البسيطة طابع التصميم المعماري للمباني التعليمية. كما هو موضح في الشكل (٧- ١٠)



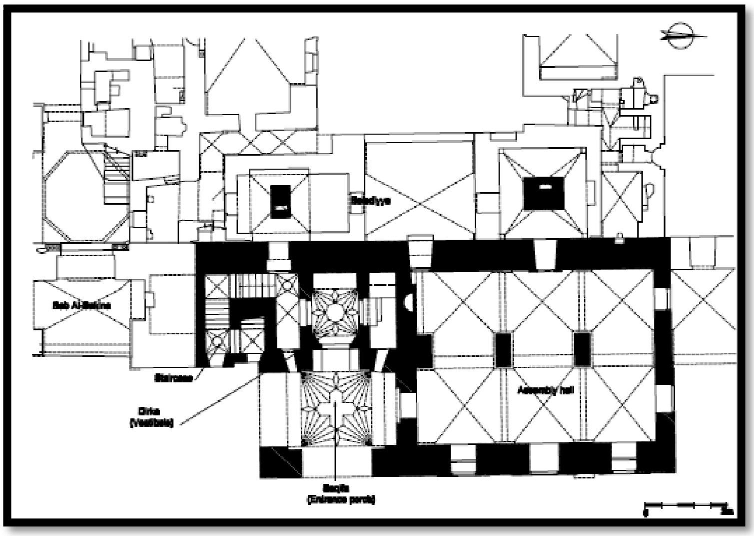
شكل ٧-١٠ منظور عام لواجهة المدرسة الأشرفية الرئيسة

المصدر : "المرجع السابق"

تحليل عناصر المفردات المعمارية للمدرسة الأشرفية :

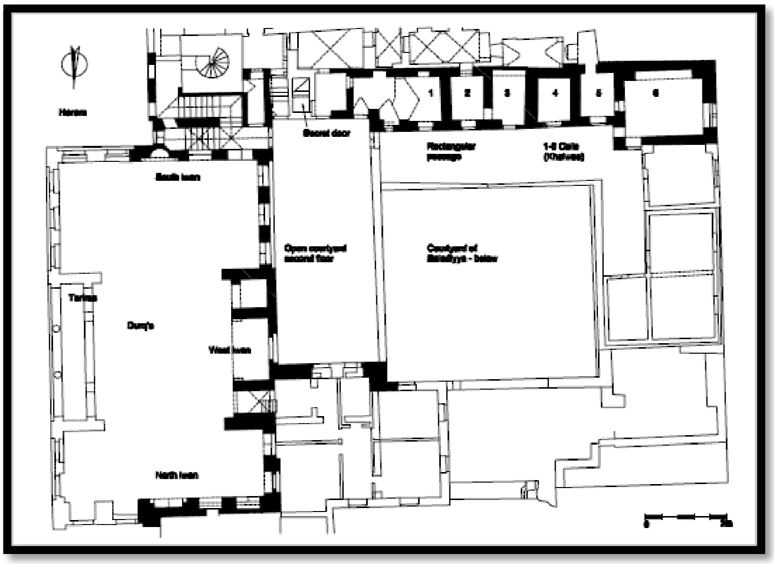
تعتبر المدرسة الأشرفية احد الروائع المعمارية في حرم القدس لدورها التاريخي والعلمي والفكري في مدينة القدس، إن أصل البناء القديم للمدرسة يعود للملك الظاهر خشقدم وعندما تولى الأشرف قايتباي السلطة عمل على هدم المدرسة وبنائها من جديد سنة ٨٨٠هـ وتم الانتهاء سنة ٨٨٧هـ، ١٤٨٣م وقد أنشئت لوظيفة سامية وهي التعليم الديني والدنيوي وقد احتوت المدرسة بشكل عام على أربع إيوانات ومداخل رئيسة وثانوية وبعض الفراغات التي خصصت لاستخدام استقبال الضيوف والعامة من الشعب وقد تكون المبنى من طابقين ، وقد تميزت هذه المدرسة باحتوائها على درج يوصل للطابق العلوي .(المرجع السابق)

١- **المساقط المعمارية** :يظهر مسقط المدرسة مربع الشكل يحتوي على بعض العناصر المعمارية موزعة على طابقين يوصل بينهما درج مرتبط ببوابة رئيسية على الطريق كما تظهر عليه البوابات الثانوية الاخرى اضافة الى رواق على احد المداخل كما وجد في المسقط القاعة الرئيسية وقد كانت تستخدم كقاعة تعليمية يتم تعلم المذهب الصوفي فيها عن طريق شيوخ وفقهاء متخصصين وهي موجودة في الدور الارضي، إضافة الى الصحن وقد كان موجود في الطابق العلوي وذلك لأغراض تدريس الطلبة المبتدئين. (المرجع السابق)، كما هو موضح في الشكل (٧- ١١) والشكل (٧-١٢)



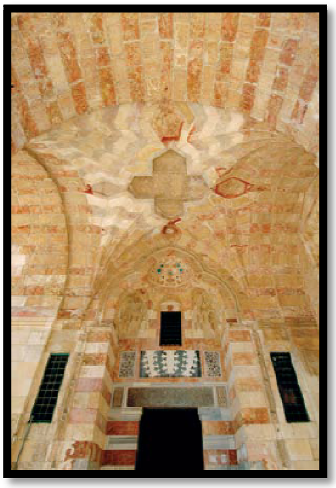
شكل ٧-١١ مخطط الطابق الأرضي المدرسة الأشرفية في البلدة القديمة

المصدر: "http://www.alqudsonline.org "



شكل ٧-١٢ مخطط الطابق الأول لمدرسة الأشرفية

المصدر: "المرجع السابق "



شكل ٧-١٣ مدخل المدرسة الأشرفية

المصدر : "www.ar.wikipidia.org "

٢- **المداخل** : احتوت المدرسة الأشرفية على مدخل رئيسي وثلاث مداخل فرعية وقد كان المدخل الرئيسي يلفت الانتباه الزائرين لفخامته وغناه بالألوان والزخارف ويتكون من قوسين مدببين من الناحيتين الشرقية والجنوبية، مشكلاً بذلك ما يشبه المظلة لبهو المدخل والدرج المؤدي إلى الطابق الأول، وكذلك لشباك قاعة المجمع الجنوبية، وأكثر ما يميز بناء المدخل استخدام الحجر الأبلق. كما هو موضح في الشكل (٧- ١٣)



شكل ٧-١٤ مدخل الطابق الأول

المصدر : "المرجع السابق "

٣- **الفتحات** : أي الشبابيك يوجد فوق الباب شباك مستطيل الشكل تعلوه مقرنصات جميلة يضمها إطار بشكل قوس ثلاثي المراكز، أما الجهة الشمالية فتحتوي على شباك مستطيل الشكل لقاعة المجمع الرئيسية، اما الشبابيك في قاعة المجمع الرئيسية وعن يمينه ويساره نافذتان مستطيلتا الشكل يعلو كل منهما قوس حجري موتور، ونشاهد في الجزء العلوي من الواجهة ثلاثة شبابيك من بأقواس مدببة،ويظهر في واجهة الإيوان الشمالي في الطابق الاول شباك مستطيل الشكل. كما هو موضح في الشكل (٧- ١٤)

٤- **الأعمدة** : نظام المبنى الإنشائي هو نظام (حوائط حاملة) وبذلك يكون استخدام الاعمدة قليل ومع ذلك ظهر عمودان كبيران يتوسطان القاعة الرئيسية أو قاعة المجمع وهو البناء الرئيسي الباقي من المدرسة الأصلية في يومنا هذا يبدوان كامتداد لأعمدة أروقة الحرم الغربية.

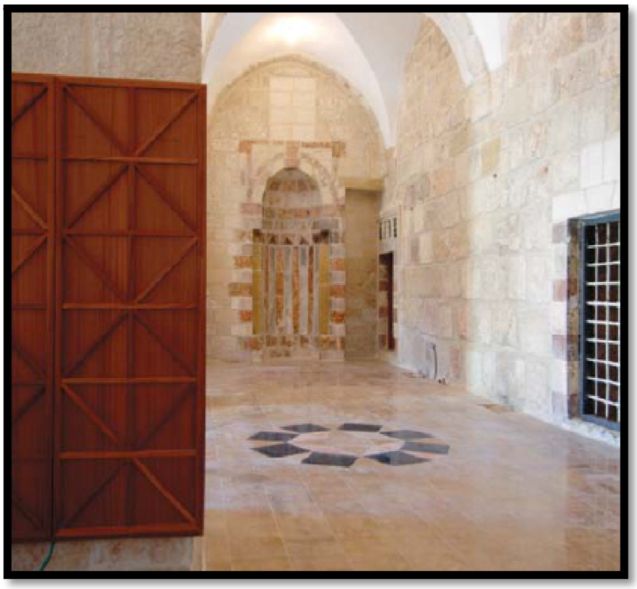


شكل ٧-١٥ قاعة المجمع من الداخل

المصدر : "المرجع السابق "

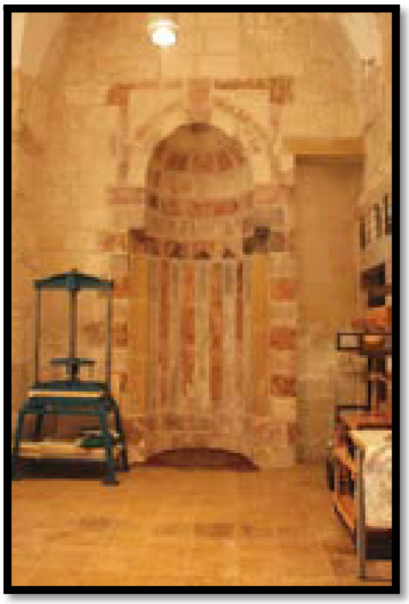
٥- **الأقبية المتقاطعة** : احتوت المدرسة على ستة أقبية متقاطعة تغطي القاعة الرئيسية للمدرسة حيث تم الاعتماد عليها كنظام إنشائي للمدرسة ولعلها السبب في وجود العمودان المتوسطان في القاعة الرئيسة للمدرسة. كما هو موضح في الشكل (٧- ١٥)

٦- **المحراب** : يوجد في الطابق الأرضي محراب صغير بُني أيضاً من الحجر الأبلق، في حين يوجد في الطابق الأول محراب صغير يتوسط الواجهة القبلية للإيوان الجنوبي.
كما هو موضح في الشكل (٧- ١٦) والشكل (٧-١٧)



شكل٧-١٦ جانب من القاعة الرئيسة بعد الترميم

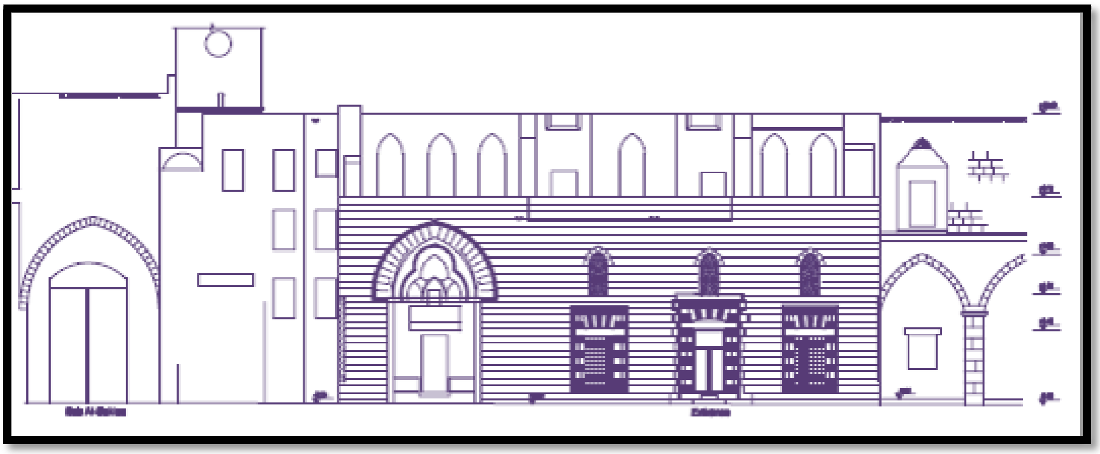
المصدر: "المرجع السابق "



شكل ٧-١٧ محراب قاعة المجمع

المصدر: "المرجع السابق "

٧- **العقود** : تم استخدامها بشكل كبير وواضح في المداخل والفتحات والرواق الغربي للمدرسة المؤدي إلى أحد مداخلها. كما هو موضح في الشكل (٧- ١٨)



شكل٧-١٨ رسم تخيلي لواجهة الأشرفية الأصلية يوضح طبيعة الفتحات المستخدمة

المصدر : "http://www.alqudsonline.org "

٨- **الأسقف** : تتوعت الأسقف المستخدمة في تغطية الفراغات المدرسة فمنها الأقبية المتقاطعة والمستخدمة بشكل كبير من الدور الأرضي حسبما يظهر في الطابق العلوي حيث ظهر في المساقط والواجهات انه مستوي وقد يكون ذلك لعمل نهاية للواجهة الرئيسة للمبنى مرتبطة مع تغطية الدرج والقبة الرئيسية للمبنى. كما هو موضح في الشكل (٧- ١٩)



شكل ٧-١٩ الأسقف والأقبية المتقاطعة

المصدر : "المرجع السابق "

٩- **القبة** : ظهرت قبة ثمانية الشكل مغطاة بألواح خشبية محاطة بفتحات للتهوية والإنارة ومع ان القبة غير موجودة حاليا إلا المصادر التاريخية وما وصف الرحالة أبرز وجودها في المدرسة الواجهة التحليلية للمدرسة .



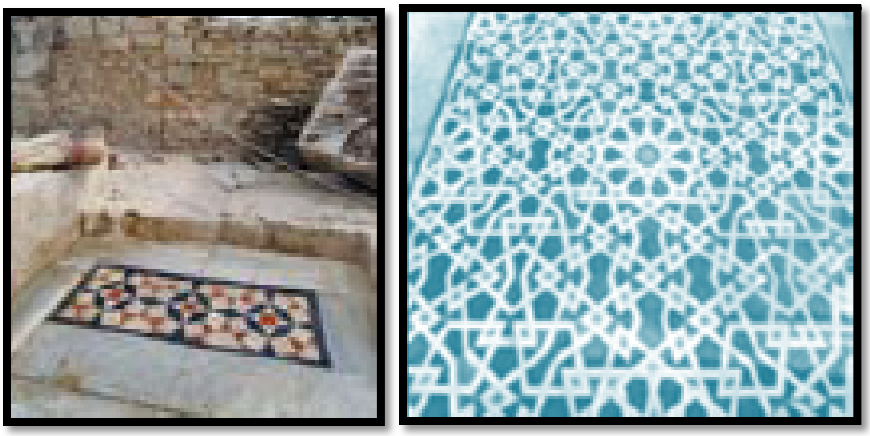
شكل ٧-٢٠ واجهة القاعة الرئيسة الشرقية وواجهة مدخل الدرج

المصدر : "المرجع السابق "

١٠- **الدرج** : ظهر بشكل واضح وجود درج يوصل بين الطابق الارضي والعلوي وهو مربع الشكل بشواحط ادراج ثمانية وله ستة نوافذ للتهوية احتوى هذا الدرج على بعض الزخارف اضافة الى زخرفة خاصة بمدخله الرئيسي المرتبط بمدخل المبنى. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٠)

١١- الإيوان : احتوت المدرسة على عدد من الإيوانات التي ارتبطت بالفكر العلمي والديني للمدرسة وقد توزعت هذه الإيوانات على الطابقين حيث ظهر إيوان المدخل الرئيسي بكل تفاصيله في المساقط والواجهات في الطابق الارضي ، أما في الطابق الاول فقد ظهر إيوانان أحدهما شمالي والآخر جنوبي وهو الأصغر مساحة مرتبطان هذان الإيوانان بمدخلان على الصحن الرئيسي للطابق الأول للمدرسة .

١٢- مواد البناء والزخارف : لقد اعتمد بناء المدرسة على الحجر الصخري المتوفر بكثرة في مدينة القدس في تلك الفترة وتم استخدام بعض الحجار الملونة لتحديد المداخل وبعض العناصر المهمة داخل المدرسة أما بالنسبة للزخارف فقد تم الاعتماد على تشكيلات الحجر في البناء للحصول على الزخارف المختلفة، وقد ظهرت هذه الاستخدامات فوق أعتاب الأبواب والمداخل المخلتفة، وفي منطقة التقاء العقود والأقبية، كما يعلو الشبابيك عدة تشكيلات من الحجارة المعشقة باللونين الأبيض والأحمر، بالإضافة إلى تشكيل دائري أدخلت فيه الحجارة السوداء ، وينتهي هذا الجانب من الأعلى بمقرنصات يضمها إطار مستطيل الشكل من الحجارة الحمراء. كما واستخدمت المقرنصات بشكل كبير وخاصة عند المداخل ، كما واستخدم أيضاً بعض البلاط الذي اكتشفوه والذي كان يتميز بكثرة الزخارف المتنوعة فيه. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢١)



شكل ٧-٢١ نماذج من البلاط الأثري الذي تم اكتشافه

المصدر : (http://www.alqudsonline.org)

١٣- **الإبلاق** : وهي فن استخدام صف الحجر بألوان مختلفة وقد استخدم هذا الأسلوب في المدرسة بشكل واضح حيث بُني من حجارة مهذبة بيضاء تحولت إلى رمادية بمرور الزمن، كما واستخدم هذا الفن وتميز اكثر في بناء المدخل حيث استخدم الحجر الأبلق، كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٢) أي بتناوب اللونين الأحمر والأبيض في بناء مداميك الحجر، وهذا أحد الأساليب المميزة لمباني عمارة العصر المملوكي عما سبقه وما تلاه من العصور الاسلامية .



شكل٧-٢٢ حجر الإبلاق في أحد المداخل

المصدر: "المرجع السابق "

ملاحظة :

لا يتوفر معلومات دقيقة حول الشكل المعماري لواجهات الطابق الأول، إلا أن بعض المؤرخين قد استعانوا بالأوصاف التي ذكرها الرحالة الذين زاروا الموقع، وبالبقايا الأثرية وبما لديهم من معلومات عن عمارة العصر المملوكي لبناء رسم تخيلي للمدرسة الأشرفية في أوج عزها وازدهارها، كما يظهر في الرسم أدناه.

العلاقة بين السلطة والسياسة والعمارة في مدرسة الأشرفية

استكمالا لمتطلبات الدراسة والمتعلقة بموضوع دور السلطة والسياسة وعلاقتها بالعمارة، فسوف يتم استعراض كيف أثرت السلطة والسياسة على عمارة المدرسة الأشرفية من خلال العلاقة بينهما والتي تم التوصل لها في الدراسة النظرية لهذه الدراسة البحثية وهي كما يلي:

١- تأصيل الفكر السياسي للحضارة في نفوس الشعب

حيث إن الفكر السياسي لعمارة المماليك كانت نابعة من عملية فرض السيادة على المجتمع المحلي، وحيث إن المدرسة هدفها تعليمي ديني ودنيوي فقد اهتم السلطان الأشرف قايتباي بتكوينه بحيث يسيطر على المنطقة المحيط به، وقد تم هدمه وبناؤه عدة مرات حيث بناه الظاهر الخشقدم ثم بناه الأشرف قايتباي وأمر بهدمه ثم بنائه من جديد ، وقد ظهر ذلك جليا من خلال النقش الموجود على جانبي مدخله وهي (أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الإمام الأعظم والملك المكرم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره، وكان الفراغ من ذلك في شهر رجب سنة سبع وثمانين وثمانمائة) (Burgoyne,1987) وبهذه اللوحة تأكيد على تعريف السلطان وتأصيل فكره في شعبه من خلال اهتمامه بإعادة البناء والاستفادة منه.

٢- رمزية الهوية المعمارية السياسية والحفاظ عليها

حيث إن العمارة لها دور في تجسيد المفاهيم الفكرية والتوجهات السياسية النابعة من أصالة الفكر السياسي للحضارة، فقد أظهرت مدرسة الأشرفية رمزية الهيمنة والسلطة للسلطان المملوكي الأشرف قايتباي وذلك من خلال تكوين المدرسة الداخلي حيث أسس تدريس فكره في المدرسة وهو المذهب الصوفي وعلى الرغم من قدمه إلا أنه لازال قائما مسيطرا على المنطقة من الجهة الغربية للحرم القدسي وهذا يدل على رمزيته ومحافظته على عولمته في ظل التطور الحضري السريع وانتصاره عليها حيث تم استخدامه كمركز للمخطوطات.

٣ توثيق الأحداث السياسية على مر التاريخ

لقد نجحت المدرسة الأشرفية في توثيق عدة أحداث مرتبطة ببعضها فقد بنيت على أنقاض مدرسة قديمة وذلك لأهميتها في تعليم الشعب تعاليم دينهم، إضافة لارتباطها بحقبة زمنية من حيث الانتصارات التي حققها في المدينة إضافة لتأكيد وسيطرة السلطان آنذاك.

٤- تحدي الاستعمار الأجنبي والقضاء على القرصنة المعمارية الثقافية للشعوب

لقد شكلت المدرسة الأشرفية حصنا قويا ضد الاستعمار فعلى الرغم من محاولة الصهاينة من طمس هويتها إلا أن المدرسة لا زالت صامدة كمركز علمي كبير حيث إنه كان مركز تعليم الدين والعلوم الأخرى والآن بقي مركزاً مشعا بالنور حيث استخدم كمركز للمخطوطات التي تختص بمدينة القدس وهذا ما جعله واقفا متحديا كل سبل القرصنة المعمارية الثقافية للشعوب فهو صامد معماريا ثابت في مكانه، وصامد ثقافيا بما يحتوي من معلومات ويعرضها للأجيال على مر العصور.

٥- تشكيل المدن والمراكز الحضرية وتشجيع التبادل الثقافي بين المراكز الحضرية:

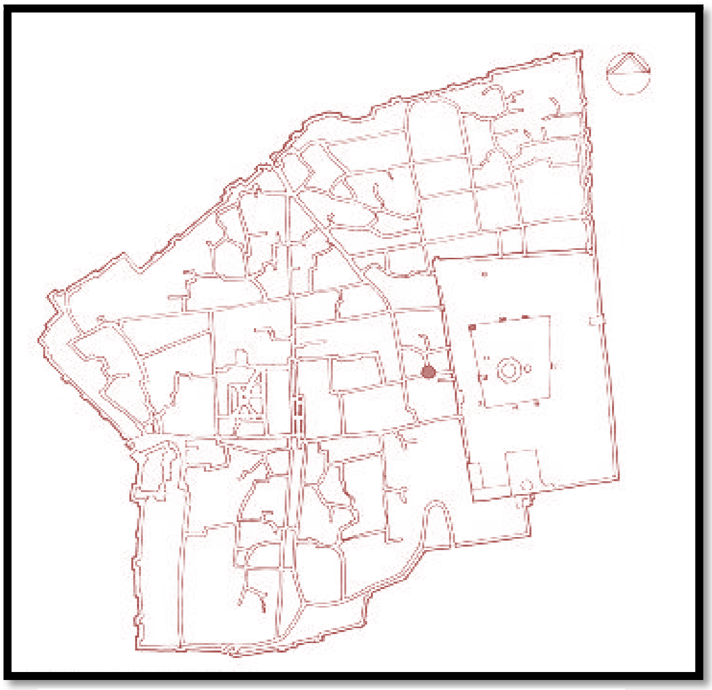
لم تظهر صفة تشكيل المدينة واعتبار المدرسة مركزا أو نواة حضرية لتجمع المراكز حولها في وقت إنشائها في زمن المماليك، أما الآن وعلى الرغم من عدم تأكيد فكرة تشكيل المدينة بناء على وجودها إلا أن دورها كبير في الحفاظ على تراث المدينة من الضياع وتساهم وبشكل كبير في عملية التبادل الثقافي بين المدارس والمراكز العلمية وتشجع على أخذ العلم والاستفادة منه من خلال ما تعرض من مخطوطات ومعلومات هامة.

واخيرا سيتم استعراض عملية استخدام المدرسة الأشرفية في الوقت الحالي وكيف تم ذلك حيث وكما يظهر من الاسم، فإن الهدف الرئيس من البناء كان إنشاء بيت للعلم، رتب له السلطان شيوخاً وفقهاء وصوفية، كما وعين لها أوقافا من الأراضي والمباني في مدينة غزة والخليل ونابلس والرملة وغيرها(معاهد العلم في بيت المقدس ص١٥٩/١٦٠/١٦١)، وكان التدريس في الطابق العلوي. بعد عدة عقود من الإهمال قامت دائرة الأوقاف الإسلامية بترميم واستخدام القاعة الرئيسة كمقر لمكتبة المسجد الأقصى، حيث نقلت الكتب إليها من المتحف الإسلامي المجاور، في حين استخدمت الغرف العلوية الواقعة فوق المدرسة البلدية كصفوف تدريس لثانوية الأقصى الشرعية للبنات، والتي يتم الوصول إليها عبر درج الأشرفية الذي سبق وصفة، ولا زالت هذه المدرسة تقوم بدورها في عين

المكان حتى يومنا هذا. أما القاعة الرئيسية فقد كانت تعاني من الرطوبة الشديدة، مما جعلها مكاناً غير ملائم لحفظ الكتب، وفي العام ٢٠٠٢ قامت مؤسسة التعاون بأعمال ترميم شاملة للقاعة من الداخل والخارج، وذلك بغية استخدامها كمقر لمركز المخطوطات التابع لدائرة الأوقاف الإسلامية، وانتهت هذه الأعمال في العام ٢٠٠٥، واشتملت أعمال الترميم على تجفيف الرطوبة من الجدران وأعمال الصيانة وتجديد الشبابيك وتركيب زجاج معشق وقواطع خشبية، وأثناء العمل على عزل سطح القاعة ثم الكشف عن المناطق مبلطة ببلاط أثري ملون، وعلى الأرجح فإن هذا البلاط هو أرضية الطابق الأول، وقد جرى تنظيف الأجزاء السليمة من البلاط والحفاظ عليها وفقاً للمعايير الدولية بهذا الصدد.

٧-٣ سوق القطانين

يعتبر سوق القطانين أو "سوق الأمير تنكز الناصري من أقدم أسواق القدس الباقية على حالها وهو تحفة معمارية تكاد تكون الأكثر تميزاً في بلاد الشام، وفي فلسطين خاصة، وقد اتت تسميته من بائعو القطن في هذا السوق. وفيما يلي سيتم استعراض بعض المعلومات الاساسية عن النشأة والبناء تمهيدا لعمل التحليل الخاص بهذا المبنى"www.ar.wikipidia.org "



شكل ٧-٢٣ موقع سوق القطانين

المصدر: "www.ar.wikipidia.org "

الموقع والنشأة:

تم إنشاء سوق القطانين في العهد المملوكي على يد السلطان الناصر محمد في ٧٣٧هـ/١٣٣٦م بواسطة الأمير تنكز الناصري الذي كان نائب السلطان في الشام في الفترة ٧١٢ – ٧٤٠ / ١٣١٢ – ١٣٤٠ (Burgoyne,1987). وهو يقع غربي الحرم القدسي الشريف، كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٣) حيث يبلغ طوله ١٠٠متر وعرضه ١٠ أمتار، وهو مخصص لبيع جميع أنواع

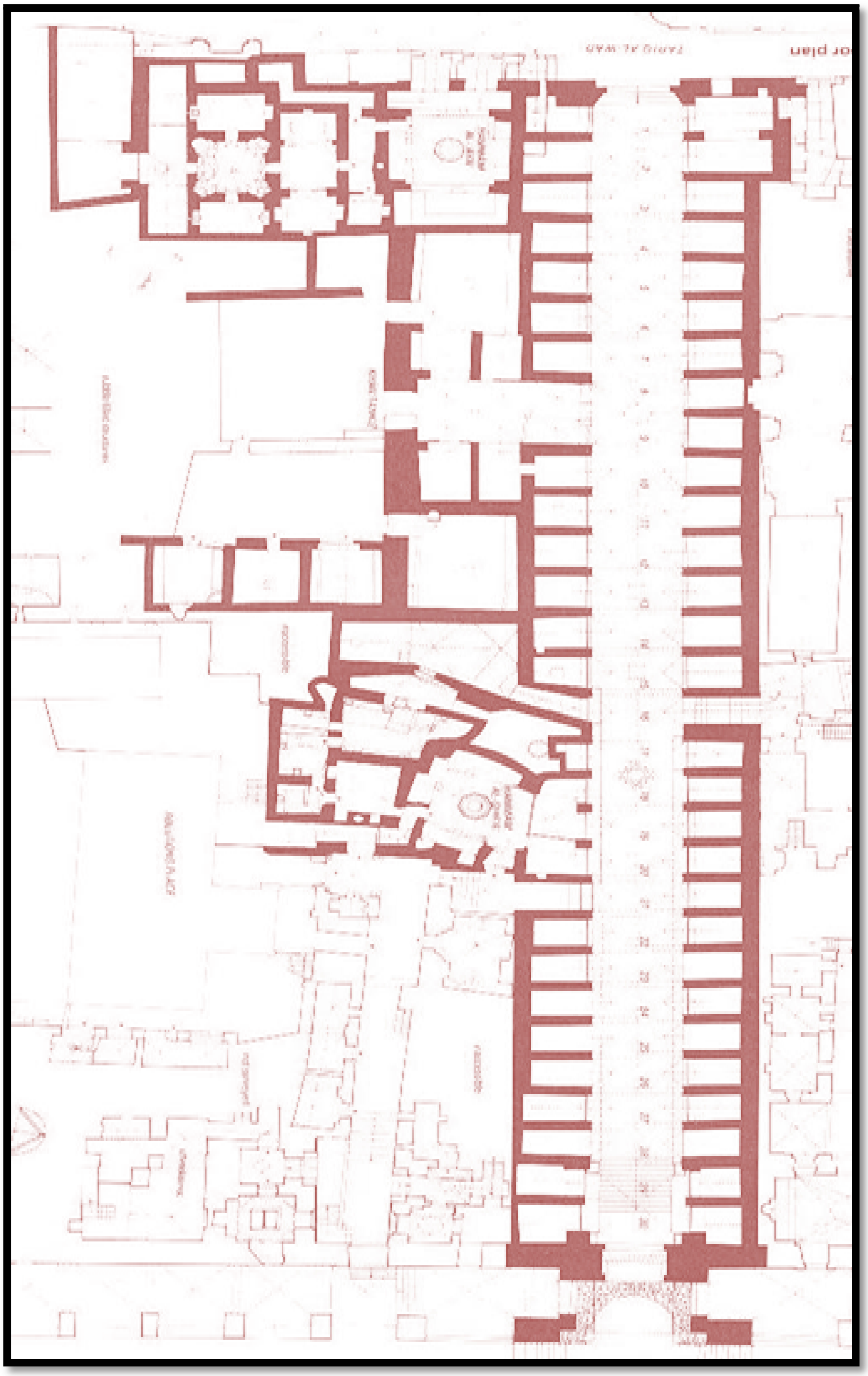
الأقمشة والبضائع التي كانت تحملها القوافل التجارية من الهند إلى القدس عن طريق البصرة وبغداد والموصل، ولكنّ أهمية هذا السوق تضاءلت عند اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧م ومن ثمّ أُهمِل هذا السوق تمامًا في أواخر العهد العثماني. وقد تم بناؤه ممتدا من باب القطانين ليصل حتى طريق الواد على مراحل متعددة حيث تم بناء الجزء الغربي من الدكاكين ثم الجزء الشرقي ومن ثم الطوابق العليا للسوق.

تحليل عناصر المفردات المعمارية للسوق:

يعتبر سوق القطانين مثالاً حياً للمباني التجارية التي أنشأها المماليك في عصرهم، وهو سوق شاهق الارتفاع يتكون من عدة فراغات ووظائف فهو يحتوي على الحوانيت للبيع، بالإضافة إلى خان، وحمام يسمى حمام الشفا وهو خاص بالرجال يقع في وسط السوق وعند منتهاها الغربي حمام آخر يعرف بحمام العين يرتاده الرجال والنساء في أوقات مختلفة وأمامه من الناحية الغربية شارع موصل إلى دار الأيتام الإسلامية فحارة القرمي فسوق باب خان الزيت فيما كانت هناك ساحة كان يتم استخدامها في نقل القطن، وكانت فيه غرف استخدمها التجار في عقد صفقاتهم، للترويج لأعمالهم التجارية. وتكمن أهمية هذا السوق بارتباطه بشكل كبير بالحرم القدسي من الجهة الغربية للحرم.(المرجع السابق)

أما بالنسبة للعناصر المعمارية والتي تم دراستها في هذه الدراسة البحثية فسوف يتم دراستها بالتفصيل من خلال استعراض هذه العناصر والتي تم التوصل لها من خلال الدراسة النظرية وذلك في السياق التالي.

١- **المسقط المعماري:** وهو أساس تشكيل السوق وقد ظهر مسقط تخطيط السوق بشكل مستطيل يضم داخله الحوانيت على الجانبين بعدد ثلاثين حانوت لكل جانب بالإضافة إلى خان وحمامين مرتبط ببوابة رئيسة ومنتهي ببوابة أخرى لإعلان بداية السوق ونهايته في المسقط الافقي. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٤)



شكل ٧–٢٤ مسقط افقي لسوق القطانين

المصدر : "المرجع السابق"

٢- **العقود:** احتوى السوق على سقف معقود بقبو برميلي تم تقسيمه إلى سلسلة من العقود تصل حوالي ثلاثين جزءاً، فُتح في كل جزء منها فتحة إنارة سقفيّة لإدخال الهواء والضوء إلى داخل السوق. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٥)



شكل ٧-٢٥ السقف البرميلي لسوق القطانين

المصدر : "http://www.alqudsonline.org "

٣- **المداخل:**احتوى السوق على مدخل رئيس له وهو المدخل الشرقي وقد سمي الباب باسم باب القطانين لارتباطه الوثيق بهذا السوق، أما المدخل الغربي للسوق، فهو أبسط في تكوينه المعماري من المدخل الشرقي، حيث يتكون من فتحة باب مستطيلة يعلوها عتب كبير. ويتكوّن العتب من سبع صنج معشقة، ويعلوه عقد خفيف فُتحت فوقه نافذة دائرية. وتقع عناصر المدخل هذه في حائط مرتد يحيط به عقد مدبّب كبير. إضافة إلى بعض المداخل الخاصة بالحوانيت الجانبية والتي كانت مصنوعة من الخشب ومداخل الأجزاء الأخرى من السوق كمداخل الحمامات ومدخل الخان. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٦)



شكل ٧-٢٦ المدخل الغربي لسوق القطانين

المصدر : "المرجع السابق"

٤- **الأعمدة :** ظهرت في أماكن مختلفة من السوق وكان استخدامها انشائياً حاملاً بالدرجة الأولى وقد ظهرت مرتبطة بالعقود والأقبية المعقودة الموجودة في السوق.

٥- **الأقبية المتقاطعة:** وقد ظهرت بشكل واضح في الخان والحمامات الموجودة في السوق وهي مرتبطة بالأعمدة كعنصر إنشائي حامل لها. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٧)



شكل ٧-٢٧ الأعمدة وارتباطها بالأقبية

المصدر : "المرجع السابق"

٦- **الأبلاق:** وهي فن استخدام صف الحجر بألوان مختلفة وقد استخدم هذا الأسلوب في السوق بشكل واضح حيث بُني من حجارة مهذبة بيضاء تحولت إلى رمادية بمرور الزمن، كما واستخدم هذا الفن في مدخل سوق القطانين بشكل واضح.

٧- **البوابات العامة:** لقد تم الاعتماد على باب القطانين باعتباره بوابة عامة تفصل الحرم القدسي عن السوق وتعتبر بوابة القطانين أحد البوابات الرئيسة للحرم القدسي ويتكون المدخل من عقد ثلاثي الفصوص محاط بحنية كبيرة يتوجها عقد مدبب سُقف بنصف قبة ترتكز على خمسة صفوف من المقرنصات الحجرية، وقد بُني من الحجر بالألوان الأسود والأحمر والرمادي، وصُفَّت الحجارة بعناية فائقة وبأسلوب الأبلاق. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٨)



شكل ٧-٢٨ البوابة الرئيسة للسوق وهي البوابة الشرقية

المصدر : "المرجع السابق"

٨- **الممرات:** وقد كانت متوفرة في أنحاء السوق حيث كانت معقودة وتوصل من مكان لآخر داخل السوق من الحوانيت إلى الخان والحمام وجميعها كانت مغطاة.

٩- **الفتحات والنوافذ:** لقد احتوى السوق على فتحات سقفية علوية بعدد ٣٠ فتحة وهو بعدد سلسلة العقود المكونة لسقف السوق إضافة لبعض الفتحات الخاصة بالتهوية ولكن عددها قليل موزعة في عدة فراغات من مكونات الخان. كما هو موضح في الشكل (٧- ٢٩)

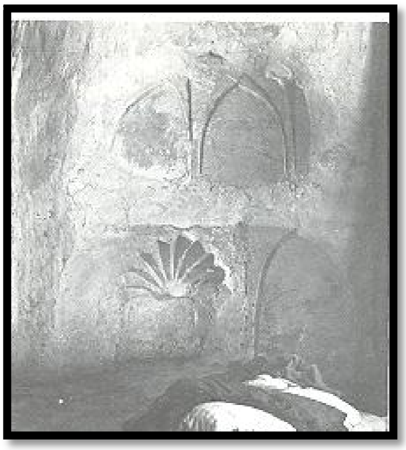




شكل ٧-٢٩ صورة توضح فتحات السقف وبعض فتحات التهوية

المصدر: (http://www.alqudsonline.org)

١٠- **مواد البناء والزخارف** لقد اعتمد بناء السوق على الحجر الأبيض، وتم استخدام بعض الحجارة الملونة لتحديد المداخل وبعض العناصر المهمة داخل السوق (مثل باب القطانين). أما بالنسبة للزخارف فقد تم الاعتماد على تشكيلات الحجر في البناء للحصول على الزخارف المختلفة، وقد ظهرت هذه الاستخدامات فوق أعتاب الأبواب والمداخل المخلتفة، وفي منطقة التقاء العقود والأقبية، كما واستخدمت المقرنصات بشكل كبير في السوق في جميع أنحائه. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٠)



شكل ٧-٣٠ المقرنصات المستخدمة في السوق

المصدر : "المرجع السابق"

١١- **القبة:** وقد ظهرت بشكل واضح فوق الباب الرئيس للسوق (باب القطانين) وعلى الرغم من عدم ظهور القبة كاملة إلا أنها أعطت التغطية المناسبة للباب، كذلك ظهرت علاقتها إنشائياً ومعماريا بما حولها من خلال المقرنصات المستخدمة فيها. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣١)



شكل ٧-٣١ القبة فوق الباب الشرقي للسوق

المصدر : "المرجع السابق"

هذا بالنسبة لعناصر المفردات المعمارية الموجودة في السوق أما العناصر الأخرى والتي تم التعرض لها في الدارسة البحثية لم تتوفر في السوق نتيجة محدودية استخدامه.

العلاقة بين السلطة والسياسة والعمارة في سوق القطانين

استكمالا لمتطلبات الدراسة والمتعلقة بموضوع دور السلطة والسياسة وعلاقتها بالعمارة، فسوف يتم استعراض كيف أثرت السلطة والسياسة على عمارة سوق القطانين من خلال العلاقة بينهما والتي تم التوصل لها في الدراسة النظرية لهذه الدراسة البحثية وهي كما يلي: (برجويني، ١٩٨٧)

١ تأصيل الفكر السياسي للحضارة في نفوس الشعب

حيث إن الفكر السياسي لعمارة المماليك كانت نابعة من عملية فرض السيادة على المجتمع المحلي، وحيث إن السوق تعبير عن نوع مبانٍ من نوع التجارة والترفيه فقد اهتم السلطان الناصر محمد بتكوينه بحيث يسيطر على المنطقة المحيط به، ويكون قريباً من الحرم القدسي لتأكيد ارتباطه بمقاليد الحكم الإسلامي، وقد ظهر ذلك جليا من خلال الكتابة التي كتبت على باب سوق القطانين وهي (بسم الله الرحمن الرحيم، تم بناء هذه البوابة من جديد في عهد محمد الناصر مالك من خلال الأمير سيف الدين تنكيز الناصري في العام ٧٧٣هـ) وبهذه اللوحة تم التأكيد على تعريف السلطان ومن قام وأشرف على البناء وهنا ظهور لسلطة السلطان المملوكي الكبير والأمير الذي يتلقى الأوامر ويقوم بالتنفيذ.

٢- رمزية الهوية المعمارية السياسية والحفاظ عليها

حيث إن العمارة لها دور في تجسيد المفاهيم الفكرية والتوجهات السياسية النابعة من أصالة الفكر السياسي للحضارة، فقد أظهر سوق القطانين رمزية الهيمنة والسلطة للسلطان المملوكي الناصر محمد وذلك من خلال باب القطانين الذي كان ولازال قائما مسيطرا على المنطقة من الجهة الغربية للحرم القدسي وهذا يدل على رمزيته ومحافظته على عولمته في ظل التطور الحضري السريع وانتصاره عليها.

٣- توثيق الأحداث السياسية على مر التاريخ

لعل الحدث الأهم الذي سعى سوق القطانين لتوثيقه هو سيادة المماليك في القدس فلم تقتصر سيادتهم على المباني الدينية فقط بل تعدت إلى المباني التجارية والترفيهية (فالسوق تجاري ترفيهي لاحتوائه على الخان والحمامات) كذلك تم توثيق اسم السوق باسم الناصر محمد بن قلاوون فهو القائم على بنائه من خلال الأمير سيف الدين تنكيز، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل سجل السوق

ارتباطه بأحداث مختلفة كعمليات التجديد التي مرت عليه فقد تم ترميمه لآخر مرة على يد المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٢٩م، الذي كان يرأسه الشيخ المفتي أمين الحسيني رحمه الله، أثناء الاحتلال البريطاني، حيث لاحظ المجلس تداعي الباب، فقام بهدم الطوابق العليا من الأبنية التي تقع حوله وفوقه وتستند على قبته العليا لتخفيف الضغط على مدخله والحفاظ عليه، وأخيرا عمليات التنكيل به من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني لمحاولة طمسه وطمس معالم الحضارة الإسلامية من خلاله.

٤- تحدي الاستعمار الأجنبي والقضاء على القرصنة المعمارية الثقافية للشعوب

يتعرض سوق القطانين لكثير من الاعتداءات من قبل الاحتلال لا يمكن سردها في هذا السياق، إلا أن الاحتلال سعى لإغلاقه مرات عديدة وعدم السماح بترميمه أو الاعتناء به وتنظيفه، وهذا أثر على الحجر المصنوع منه، فبعضها يحتاج لترميم ولا يسمح بالترميم فيه، إضافة إلى جعل المكان أشبه بمكب للنفايات نتيجة إغلاقه عدة مرات، وكل هذه الممارسات وغيرها لم تؤثر فيه فرمزية السوق وسيطرته في المكان تتحدى كل هذه الاعتداءات وترد على المحاولات الخاصة بعملية القرصنة والطمس والتهويد، أما على صعيد الاستيطان فقد عمد الاحتلال لإقامة بؤر للمستوطنين الذين يحاولون إرهاب المسلمين ليرحلوا من هذا المكان، كما أن الاحتلال وبعد فشله في محاولة تدمير السوق فرض الضرائب الباهظة على التجار مما اضطر معظمهم إلى إغلاق حانوته وحمل بضاعته على عربة أمامه ليبيع منها.

٥- تشكيل المدن والمراكز الحضرية وتشجيع التبادل الثقافي بين المراكز الحضرية:

يتمتع سوق القطانين بموقع متميز قريب من الحرم القدسي من الجهة الغربية، وهذا شجع لكون هذا السوق تجمعاً حضارياً واضحاً ساهم في خلق فرص للتبادل الثقافي بين مستخدميه من شتى الأقطار والأمصار، وبذلك ساهمت عمارة هذا السوق على تعزيز هذا التبادل وتأكيده وخاصة أن موقع السوق ووظيفته كمكان تجاري أهلته ليكتسب هذه الصفة الثقافية الحضارية والتي تعتبر من أهم أوجه العلاقة بين العمارة والسلطة والسياسة التي يتم دراستها في هذا السياق.

٧-٤ قلعة القدس

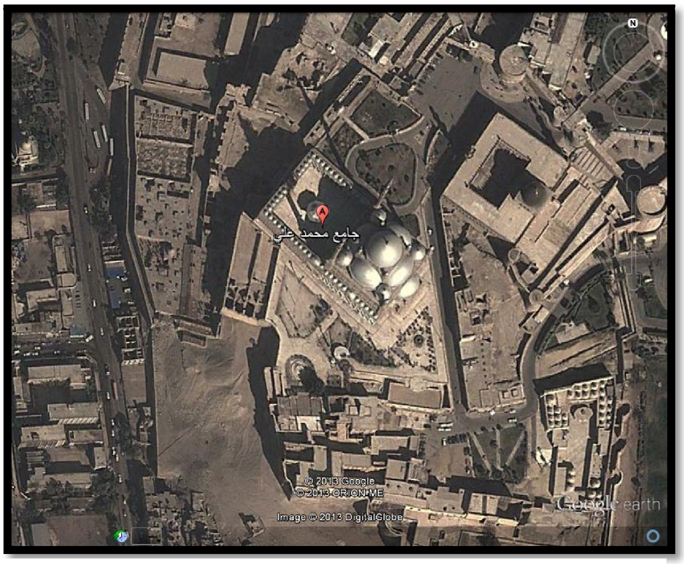
لقد بلغت الحياة الفكرية في العصر المملوكي في مدينة القدس ازهى ادوارها فاستقطبت العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب على حد سواء، بل ان عددا كبيرا منهم كان يفضل الاقامة في بيت المقدس لاعتدال جوه ووقوعه داخل دائرة النشاط الحضاري للدولة المملوكية (عاشور، ١٩٨٠) ومن الملاحظ ان المدينة المقدسة اصبحت من مراكز الاشعاع العلمي والفكري والحضاري في العصر المملوكي خصوصا بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وهجرة علماء العراق الى مصر والشام في امهات مدنها كحلب ودمشق وبيت المقدس والقاهرة وقد تمثل هذا النشاط في عدد كبير من المؤلفات والرسائل التي ارتبطت ولادتها في المدينة المقدسة وكان للعلوم الدينية النصيب الاوفر في تلك الدراسات والبحوث ومع ذلك فقد نبغ العديد في علوم الادب واللغة والنثر والتاريخ والعلوم العقلية والتجريبية مما يدل على اتساع النشاط العلمي في بيت المقدس في العصر المملوكي واستثماره واتصال حلقاته حتى نهاية دولتهم . (سليمان، ٢٠٠٠) ارتكز النظام الدفاعي في سور مدينة القدس، على نماذج أيوبية ومملوكية، تتمثل في بناء أبراج عند الزوايا وبوابات ذات مداخل متعرجة ، وقلاع تحمي المدن الاسلامية الهامة . ويمكن مقارنتها على سبيل المثال بسور مدينة دمشق وبدرجة أكبر بسور وقلعة مدينة حلب. وكذلك فإن الأقبية المنثنية في باب العمود وباب الأسباط وباب الخليل تشابه مثيلاتها في أبواب حلب والقاهرة التي بنيت في أواخر العهد المملوكي، الأمر الذي يؤكد رواية الرحالة أوليا جلبي في أن الذين قاموا بتنفيذ أعمال البناء كانوا شاميين ومصريين،منهم كبير مهندسي السلطان سليمان القانوني سنان خوجا المقدسي. (يوسف درويش غوانمه، ٢٠٠٩)

نبذة تاريخية

وجدت القلاع في القدس على مر العصور لدفاع عن المدينة في وجه الغزوات التمردات الداخلية وتعتبر قلعة القدس إحدى الرموز التاريخية للمدينة وتعود أجزاء من القلعة خاصة القواعد بعض إلا أبراجها إلى الفترة الرومانية حيث بنيت أثناء حكم هيرودوس كما تعود أجزاء أخرى إلى الفترة الأموية والليبية والأيوبية والمملوكية والعثمانية. تعود الأجزاء الكبرى من القلعة القائمة اليوم إلى الفترة المملوكية وبإضافات وترميمات عثمانية خاصة وان ما تبقى من آثار الفترات السابقة يعتبر قليلا نسبيا. وتسمى القلعة أحيانا بقلعة داود رغم الحقيقة بان داود ليس له علاقة بها وعلى اغلب الظن بدأ شيوع هذه التسمية في الفترة البيزنطية وتكرر الأمر في الفترة الصليبية وتم إحياء التسمية من جديد في القرن التاسع عشر ومن المحتمل التسمية قد جاءت تكريما لسيدنا داود. وقد قام

السلطان سليمان القانوني بترميم قلعة القدس العام ١٥٣١م وذلك قبل الشروع في بناء الأسوار مما يعكس الحاجة الملحة أمام الدولة العثمانية في المدينة . وتاريخيا فقد تم انشاء القلعة على أيام اليبوسيين الأوائل، إلا أنها هدمت وأعيد إنشاؤها أكثر من مرة عبر تاريخها العريق. ومع امكانية الاشارة إلى ما تبقى من آثار كنعانية ورومانية ويونانية وبيزنطية، إلا أن القلعة القائمة حالياً جلها قلعة إسلامية، تمكنت من استيعاب هيكلها العام منذ أن جددها هيردوس الأدومي الكبير(٤-٣٨ ق.م)، والقلعة الأموية الأصغر مساحة من القائمة حالياً، والإضافات التي أضافها الفرنجة إثر احتلالهم مدينتنا في سنة(٤٩٢هـ/١٠٩٩م). أما بالنسبة لإصلاحات سلاطين بني أيوب فيها فقد تمت من حين نجاح صلاح الدين الأيوبي في تحرير القدس في عام(٥٨٣هـ/١١٨٧م) وإعادة البناء المملوكية لها التي حلت بها إثر نجاح السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بتحرير عكا وطرد الفرنجة من الشرق في عام(٦٩١هـ/١٢٩١م) وظلت قائمة حتى "تلاشت أحوالها " ، فامر السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة(٩٣٨هـ/١٥٣١م) بترميم مبانيها.

الموقع



شكل ٧-٣٢ توضح موقع القلعة
المصدر: "google earth"

تقع على مرتفع صخري في الجهة الغربية من مدينة القدس، وتحديداً على يمين الداخل إليها من باب الخليل. وهي تقع فوق أعلى مرتفع في مدينة القدس يمكن من الإشراف على المدينة والفضاء المحيط بها من أكثر وأخطر الجهات انفتاحاً عليها، كما تقع قلعة القدس اليوم في منتصف السور الغربي بجانب باب الخليل وتحتل مكانا مشرفا على البلدة القديمة وعلى جزء واسع من المناطق الشمالية والغربية والجنوبية المحيطة بالمدينة فالقادم إلى القدس من جهة الرملة تكون القلعة أول بناء يقع نظره عليه، فهي مرتفعة شامخة، وتقع القلعة في الجهة الغربية ضمن أسوار المدينة وفوق باب الخليل مباشرة. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٢)

مكونات القلعة

قلعة بيت المقدس قلعة إسلامية وقد بنيت في هذا المكان كي تدافع عن أحد المداخل الرئيسية للمدينة المقدسة ولتؤكد اهميتها الدفاعية بجلاء أثناء الحصار، وهي قلعة حصينة كبيرة ظلت تؤدي دورها في العصور المختلفة وكانت مكان إقامة والي بيت المقدس والقلعة عبارة عن بناء ضخم يبدأ ببوابة كبيرة تتصل ببوابة داخلية حيث يحيط بها خندق مائي لحمايتها من الأعداء ومن ثم تقود البوابة إلى ساحة مركزية ضخمة سماوية يوجد فيها أبراج عدد ها خمسة موزعة في الأركان كما وتضم القلعة مسجدا من أفخم المساجد وأجملها كما وتشتمل القلعة على قاعات وغرف للجند والعاملين في القلعة، وفي القلعة ايضاً مجموعة من مخازن التموين والعلف والعتاد، وفي الجهة الغربية منها يوجد السجن ملاصقاً للسور، وفي القلعة أيضاً مصطبة كان يعتليها ضارب طبل أثناء الإعلام بدخول وقت الصلاة. كما تشتمل القلعة على مساكن قائدها والعساكر المرابطة فيها ونائبه والإمام الواعظ والمؤذن و المقرئ إلى ثكنات الجند وإسطبلات خيولهم. (بكيرات،٢٠١٣)

العناصر المعمارية

١ – المسقط الافقي

تتشكل القلعة اليوم من مجمع مستطيل الشكل يتكون من مجموعة تشكيلات دفاعية جاءت نتيجة لتراكمات تاريخية معقدة. كما هو موضح في الشكل (٧– ٣٣)



شكل ٧–٣٣ مسقط أفقي للقلعة

المصدر: "www.ar.wikipidia.org "

٢- المداخل

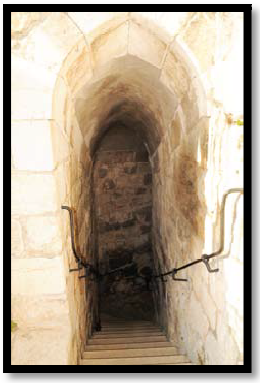
وللقلعة باب خارجي يفتح الى داخل المدينة يشكل البوابة الرئيسية وباب اخر يفتح الى خارج المدينة باعتباره بابا ثانويا ويتشكل الباب الداخلي من بابين منفصلين ويبعدان عن بعضهما اكثر من عشرة امتار وكان يفصل بينهما جسر متحرك جرى تثبيته في القرن العشرين ويحيط بالقلعة من داخل المدينة خندق عميق يعيق مهاجمتها خاصة عند رفع الجسر المتحرك بهدف حماية القلعة من الهجمات الخارجية والتمردات الداخلية. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٤)



شكل ٧-٣٤ مدخل القلعة الرئيسي
المصدر: " المرجع السابق"

وكان هذا الخندق يحيط بالقلعة من جهاتها الشرقية والغربية والشمالية، يعلوه جسر خشبي متحرك يمكن من العبور إلى الشارع العام، كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٥) ومن ربط مدخل القلعة الرئيس بالغرف والقاعات الداخلية فيها. وقد ظل قائماً منذ أيام السلطان المملوكي الملك الناصر محمد بن قلاوون(٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م) حتى ردم جزء منه بمناسبة زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني للقدس عام(١٣١٥هـ/١٨٩١م). أما الأجزاء الأخرى فقد ردمت عام ١٩٢٧م. (بكيرات،٢٠١٣)





شكل ٧-٣٥ مدخل الخندق التابع للقلعة
المصدر: " المرجع السابق"

٣- مئذنة المسجد

وتكتسب هذه المئذنة، التي لا يرفع منها الأذان الآن، مكانة رمزية كبيرة، فإنها تشير بأنّ القلعة" عبر مئذنتها الشامخة هي رمز الحنين والشوق لهذه المدينة المقدسة،وهذا يعني ان القلعه بمئذنتها الشامخة تشكل إحدى معالم مدينة القدس. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٦)



شكل ٧-٣٦ مأذنة القلعة
المصدر: " المرجع السابق"

٤- المحراب

موجود في المسجد الموجود في ساحة القلعة الداخلية وهو مسجد صيفيأنشأه السلطان المملوكي الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠) وهو من أجمل المساجد في القدس خارج ساحة الحرم.

٥- الزخارف



شكل ٧-٣٧ احد الاقواس الداخلية لبيت الدرج الموصل الى الطابق العلوي
المصدر: (http://www.alqudsonline.org)

يوجد على البوابة الأولى بعض النقوش الكتابية والزخارف العثمانية والتي تشبه في أشكالها أسوار القدس، إضافة إلى النقوش الإسلامية المنتشرة في القلعة، كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٧) وتدلّ على تاريخها التليد، ومن بينها النقوش التي تعود إلى السلطان المملوكي ناصر الدين محمد بن قلاوون، وهو الذي بنى القلعة بشكلها الحالي، بأسوارها وأبراجها، ومسجدها ويوجد نقش يشير إلى أنّ ذلك تمّ في عام ١٥٣١ م وهذا يدل على أن معظم أجزاء القلعة مملوكية البناء. وقد جدد الناصر محمد بن بناء هذه القلعة بعد ان انهدمت بعض اجزائها وبنى فيها الجامع الحالي سنة ٧١٠هـ ١٣١٠م واثبت ذلك في لوحة تأسيسية نقش عليها : بسمله انشأ هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الملك ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان المنصور سيف الدنيا والدين قلاون اعز الله نره في تأريخ سنة عشرة وسبعمائة حسبنا الله ونعم الوكيل.

٦- الأبراج والمنارات



شكل ٧-٣٨ صورة لبرج من أبراج المراقبة للقلعة
المصدر: " المرجع السابق"

يوجد في القلعة خمسة أبراج للمراقبة أكبرها برج داوود الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية منها، وعرفت به القلعة. وكذلك هناك برج غزة الذي يقع على حافة الخندق ويمتد باتجاه جنوبي شمالي، وبرج الكتخذا ويعودان في شكلهما الحالي للفترة

المملوكية إلا أنه قد يكون الجزء السفلي من البرج الذي يقع على اليمين يعود إلى الفترة الرومانية. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٨)

٧- مواد البناء



شكل ٧-٣٩ مواد البناء المستخدمة في القلعة المصدر: " المرجع السابق"

الحجارة الضخمة التي تعو د بتاريخها إلى فترات مختلفة وقد استخدم الحجر الموجود في القدس مع استخدام نظام الابلق في البناء كنوع من اضافة الجمال للقلعة. كما اظهرت الدراسات وجود قطع من الكساء الأبيض لأسقف الغرف وكذلك قطع قرميد وقطع من أنابيب مياه من الفخار التي تحمل شعار الفيلق الروماني لتؤكد عودة تأسيسها للعصر الروماني كذلك وجدت أرضيات من الفسيفساء الأبيض الخشن. كما هو موضح في الشكل (٧- ٣٩)



شكل ٧-٤٠ السور العلوي للقلعة
المصدر: " المرجع السابق"

وبشكل عام بقيت القلعة تؤدي دورها في حماية المدينة المقدسة ومكانا لإقامة الوالي حتى العصر المملوكي فأصبح في القدس نائبان ووالي والذي يقيم في القلعة سمي نائب القلعة او والي القلعة وكان التعيين فيها يتم من قبل نائب القدس اما نائب السلطنة فكان يقيم في دار النيابة وكان لدى نائب القلعة الأجناد لمساعدته على حفظ الامن والنظام والدفاع عن المدينة المقدسة بالإضافة إلى أن القلعة كان لها سور كبير يعلوها وذلك للدفاع عنها عندما يحدث حروب، كما هو موضح في الشكل (٧- ٤٠) كما وكانت القلعة مخزناً للمؤن والذخائر والأسلحة ويتبع نائب القلعة عادة البريد فكانت هناك أبراج للحمام الزاجل ولا يأتمر البريدي إلا بأوامر نائب القلعة ووجد في قلعة القدس الطباخناه التي كانت تدق لتعلم الناس بأوقات الليل وكانت تشترك في الاحتفالات وكذا اثناء الخروج النائب من المدينة او عند استقبال زائر او تعيين نائب جديد وممن تولى نيابة هذه القلعة نذكر شرف الدين موسى الردادي تولى هذا المبنى من قبل السلطان في القاهرة والظاهر

ان التولية فيها اصبحت فيما بعد من قبل السلطان وبقيت القلعة تؤدي دورها في العصر العثماني فرممها السلطان سليمان الثاني في سنة ٩٣٨هـ ١٥٣١م.

العلاقة بين السلطة والسياسة والعمارة في القلعة

١- تأصيل الفكر السياسي للحضارة في شعبها

حيث أن التوجه السياسي لسلطة ما يكون عادة قائم على الفكر السياسي الخاص بها والذي يترجم من خلال المباني وقد أظهرت قلعة القدس هذا الفكر على مر العصور المتعاقبة التي حكمتها فقد انشئت بداية في العصر الهيليني من تحت امر الامير هيرودوس، أحد البنّائين العِظام في تاريخ فلسطين، فقد حصّنها وبنى ثلاثة أبراج عظيمة سماه ا على اسم أخيه: فصايل، وأعز أصدقائه هيبوكوس، وزوجته مريم وهكذا اصلت فكره وفكر سياسته في المدينة ثم بعد ذلك ومع تأسيس الإمبراطورية البيزنطية يسود الاعتقاد بأنّ القلعة لم تستخدمْ كحصنٍ عسكري فقط، وإنما وجدت مجموعات من الرهبان مسكنا لها، في أجزاء منها، وعاش الرهبان في حجيرات صغيرة، البعض منها أرضيته من الفسيفساء الأبيض الخشن. وبعد الفتح الإسلامي للقدس سنة ٦٣٨م، اهتمّ الفاتحون الجدد بالقلعة، وكشفت حفريات أجريت قبل سنوات، عن قلعة أصغر من الحالية، ما زالت بقاياها تظهر في ساحة القلعة حتى اليوم.

١- رمزية الهوية المعمارية السياسية والحفاظ عليها

لقد أظهرت القلعة رمزية واضحة من خلال مدخلها الشرقي بالإضافة إلى مسجدها المفتوح والمئذنة الي تبرز في سماء القدس فوق سور البلدة القديمة من الجهة الغربية، والتي تعتبر الآن من رموز القدس التي تحافظ على هوية القلعة الإسلامية.

٢- شجع موقع القلعة على تشكيل المدن والمراكز الحضرية المختلفة وتشجيع التبادل الثقافي بين هذه المراكز

حيث تعتبر القلعة المهيبة، نقطة التقاء بين بلدة القدس القديمة، والمدينة الحديثة التي تمددت خارج الأسوار، وأبرز معالم القلعة هي مئذنة مسجد القلعة، التي أضيفت في زمن السلطان سليمان القانوني، وتحديداً في عام ١٣١٠م.

٣- **تحـدي الاسـتعمار الاجنبـي والقضـاء علـى القرصـنة المعماريـة الثقافيـة للشـعوب**
حيث لا زالـت هنـاك اثـار باقيـة منهـا المأذنـة والتـي تكتسـب مكانـة رمزيـة كبيـرة، لا يسـتطع إغفالهـا أحـد، اما القلعـة فقـد تـم تحويلهـا الـى متحـف حتـى إدارة المتحـف داخـل القلعـة فإنهـا تشـير فـي الكتيـب التعريفـي بـالمتحف بـأنّ القلعـة "عبـر مئذنتها الشـامخة هـي رمـز الحنـين والشـوق لهـذه المدينـة المقدسـة، بهـذا المكـان تواصـلت الحيـاة خـلال آلاف السـنين. مـن فـوق بـرج هذا الحصـن المنيـع تنبسـط أمامـك المدينـة بشـرقها وغربهـا، بماضـيها وحاضـرها كأنهـا لـو حـة مرسـومة بيـدي أمهـر الفنـانين. وهنا حقا تبدأ القدس."

٤-**توثيق الاحداث السياسية على مر التاريخ**
لقد تميزت القلعة، التي يحيط بها خندق كبير، بأنها تطل على البلدة القديمة من أعلى نقطة في البلدة، وهذا جعلها تقف بوجه الغزاة مدافعة عن القدس. وبسبب أهميتها ولكونها رمزاً لمدينة القدس منذ مئات السنين، اهتم كلّ حاكم بتحصينها وتجديد بنائها لكي يتفوق على من سبقه وليجعلها مفخرة له وهكذا بقيت شامخة القلعة تعبر عن مرحلة سياسية وتوثقها وذلك حسب الأحداث السياسية التي مرت بها والآن ويوجد في ساحة القلعة أقدم آثارها، وهي عبارة عن سورٍ وبرجين والتي كوّنتْ على ما يب دو حدّ المدينة الغربي وأكثر شيءٍ يمكن أنْ يثير المشاعر في القلعة هي الرقوم (النقوش) الإسلامية المنتشرة فيها، وتدلّ على تاريخها التليد، ومن بين هذه النقوش بعضها الذي يعود إلى السلطان المملوكي ناصر الدين محمد بن قلاوون، وهو الذي بنى القلعة بشكلها الحالي، بأسوارها وأبراجها، ومسجدها ويوجد نقش يشير إلى أنّ ذلك تمّ في عام ١٥٣١م.ومن آثار قلاوون أيضاً قاعات القلعة وجِسرها المتحرك، ويربط هذا الجسر بين بوابة القلعة المهيبة وأبوابها الداخلية، فوق الخندق المحيط بها.

٧-٥ خلاصة الفصل السابع

لقد تم في هذا الفصل دراسة العناصر والمفردات المعمارية لعمارة المماليك في القدس لتطبيقها على الحالات الدراسية وهي المدرسة الأشرفية وسوق القطانين وقلعة القدس وأخيرا سيتم التعرض لأهم نتائج هذه الدراسة البحثية والتوصيات وبذلك تنتهي هذه الدراسة لتفتح المجالات أمام الباحثين لعمل الكثير والكثير لأجل مدينة القدس من خلال دراستها والاهتمام بها والحفاظ على آثارها الباقية من خلال الدراسة والتحليل حتى تبقى صامدة في وجه الاحتلال معربة عن اسلاميتها وعروبتها أمام العالم أجمع.

النتائج والتوصيات

هذه الدراسة اهتمت بموضوع تأثير السلطة والسياسة على العمارة في مدينة القدس في بان العصر المملوكي. وقد تم دراسة هذا الموضوع بكل تفاصيله، وسيتم في هذا السياق استعراض أهم ما تم التوصل من نتائج وأهم التوصيات الخاصة به.

- **أولاً: تحليل الدراسة**

لقد طرحت هذه الدراسة مشكلة بحثية تختص بالسؤال عن وجود تأثير للسلطة والسياسة على العمارة بشكل عام والمملوكية بشكل خاص، وما هي أهم العناصر والمفردات المعمارية التي ظهرت متأثرة بالسلطة والسياسة في العصر المملوكي بشكل عام، وأخيراً ما هي دلالات التصميم المعماري والتخطيط العمراني السياسية التي ظهرت في العصر المملوكي في مدينة القدس، وقد تم افتراض فرضيات للرد على المشاكل البحثية المطروحة والتي تمثلت في الفرضية الأولى التي تؤكد تأثير السلطة والسياسة الخاصة بالمماليك في عمارتهم بشكل واضح في جميع أنحاء العالم الإسلامي وخاصة مدينة القدس. أما الفرضية الثانية فهي ظهور عدة عناصر معمارية ومفردات معمارية نتيجة الفلسفة السياسية للمماليك. أما الفرضية الثالثة فهي تختص بارتباط الدلالات المعمارية للعمارة المملوكية بالسلطة السياسية لها بشكل واضح في المباني. وقد هدف البحث إلى التعرف على تأثير السياسة على العمارة وتأثر العمران في مدينة القدس بالحقبة السياسية المملوكية عليها ومن خلال ذلك يتم التعرف على أهم الدلالات السياسية في العمارة المملوكية من خلال دراسة النماذج المعمارية الباقية حتى اليوم بهدف الحفاظ عليها من الضياع وبقاءها لأجيال المستقبل وذلك للمساهمة في الحفاظ على المدينة كوسيلة دفاع عنها ضد أطماع المستعمرين ووقف كل الاستراتيجيات والممارسات التي يتم ممارستها ضدها، وتأتي أهمية هذا البحث من حيث الاهتمام بدراسة اثر السلطة و السياسة على العمارة في بيت المقدس في مختلف فترات تاريخها وبالذات تلك الفترات التي تميزت بقوة السلطة وحكمة السياسة والتي تكتسب أ–همية خاصة لا سيما إذا كانت هذه الفترات تمثل مراحل القوة والمنعة والانتصار وذلك لإسقاط ما فيها من العبر والحكم على الواقع الخطير الذي تعاني منه المدينة المقدسة هذه الأيام. وعليه فقد اتبعت هذه الدراسة منهجية الوصف التحليلي ومنهجية النقد وذلك للوصول للنتائج المرجوة.وتقسمت هذه الدراسة إلى سبعة فصول كان الأول منها هو الإطار العام للدراسة والذي احتوى على المقدمة والأهداف والأهمية

والمشكلة البحثية والفرضية والدراسات السابقة، أما الفصل الثاني فقد تم دراسة مدينة القدس من حيث موقعها الجغرافي وتاريخ حضارتها وأهميتها الدينية، أما الفصل الثالث فقد تخصص بدراسة وجود العصر المملوكي في مدينة القدس إضافة لاستعراض بعض العصور الإسلامية التي مرت على مدينة القدس، ثم تم دراسة في الفصل الرابع والخامس العلاقة المتبادلة بين السلطة والسياسة، من خلال استعراض دراسات مفكرين سياسيين في الموضوع وثم استنتاج أهم مبادئ العلاقة بين السلطة والسياسة في مهمة العمارة من مهمة أخرى ومن ثم تم استعراض أمثلة تطبيقية عمرانية ومعمارية لإظهار تأثير السلطة والسياسة على العمارة، ولأن الدراسة تختص بمدينة القدس فقد تم استعراض بعض الممارسات العمرانية التي يمارسها الاحتلال على مدينة القدس من خلال دراسة جدار الفصل العنصري وتأسيس المستوطنات الإسرائيلية. إضافة إلى التعرض لأهم أحداث الصراع السياسي بين المسلمين واليهود على مدينة القدس وأخيراً أهم سبل الحفاظ المعماري على التراث الفلسطيني في مدينة القدس. أما في الفصل السادس فقد تم دراسة النتاج العمراني للعمارة الإسلامية المملوكية بشكل عام من حيث استعراض الفلسفة المعمارية للعمارة المملوكية مع استعراض لأهم المهندسين المعماريين في تلك الفترة. وأخيراً دراسة لملامح العمرانية والمعمارية في العهد المملوكي وذلك لدراسة بعض المعالم الأثرية الإسلامية والتي تم إنشاءها مثل العصر المملوكي، في عدة أماكن مثل (القدس، مصر، دمشق) حيث أن هذه المدن كانت هي مراكز الحضارة للعمارة المملوكية. أما الفصل السابع فقد تم عمل الدراسة التطبيقية لهذه الدراسة البحثية من خلال استنتاج أهم العناصر المعمارية للعمارة المملوكية وقد تم في هذا الفصل عمل الدراسة التحليلية للحالات الدراسية المعتمدة وهي المدرسة الأشرفية وقلعة القدس وسوق القطانين وهذه الحالات موجودة في مدينة القدس تم من خلالها تطبيق جميع نتائج الدراسة النظرية على هذه الحالات وذلك تمهيداً لعمل النتائج النهائية والوصول لأهم التوصيات وفيما يلي سيتم عرض أهم نتائج هذه الدراسة.

- **ثانياً: النتائج**

١- تم التوصل لوجود تأثير السلطة والسياسة المملوكية على عمارتها وقد ظهر وذلك من خلال استعراض أهم السلاطين الذين حكموا في العصر المملوكي وأهم أعمالهم المعمارية حيث ارتبطت بفكرهم وفلسفتهم السياسية.

٢- تم التوصل لفلسفة العمارة المملوكية، وهذا إن دل فهو يؤكد على وجود تأثير واضح للسلطة والسياسة على العمارة.

٣- تم التوصل إلى ارتباط العمارة بالأحداث التاريخية المتوالية على البلاد الإسلامية بشكل عام وعلى مدينة القدس بشكل خاص. من خلال النماذج المعمارية المختلفة التي ظهرت في تلك الفترة.

٤- من خلال الدراسة تكشفت وظهرت بعض الأنماط المعمارية والتي عمدت العمارة المملوكية إلى بنائها نتيجة ارتباطها بالفكر السياسي والخاص بها مثل (الرباط – الخانقاة – الترب) بالإضافة إلى المباني التي كان يتم بناؤها كالمساجد والأسواق والقصور والحمامات ... إلخ.

٥- تم استنتاج لأهم مبادئ العلاقة ما بين السلطة والسياسة والعمارة والتي تلخصت في رمزية الهوية المعمارية السياسية والحفاظ عليها، تأصيل الفكر السياسي للحضارة في شعبها، تشجيع التبادل الثقافي بين هذه المراكز، تحدي الاستعمار الأجنبي والقضاء على القرصنة المعمارية الثقافية للشعوب، وأخيرا توثيق الأحداث السياسية على مر التاريخ، وقد تم الاستعانة بهذه المبادئ في تحليل الحالات الدراسية لهذه الدراسة.

٦- تم استنتاج أهم العناصر والمفردات المعمارية المملوكية والتي تم استخدامها في مختلف المباني المعمارية المملوكية سواء في القدس أو في المدن الإسلامية الأخرى.

٧- ظهرت معظم العناصر والمفردات المعمارية المستخدمة في العمارة المملوكية في الحالات الدراسية التي تم التعرض لها وذلك حسب استخدام المبنى.

٨- النتائج المتعلقة بالمدرسة الأشرفية والتي تتمثل فيما يلي:

- أظهرت الدراسة أن المدرسة الأشرفية احتوت على معظم العناصر المعمارية الخاصة بالعمارة المملوكية فيما عدا المأذنة ويرجع ذلك لأن المدرسة هي مدرسة تعليمية وليست مسجداً.
- أظهرت الدراسة من خلال تطبيق نظريات علاقة السياسة بالعمارة. وجود الدلالات السياسية للعمارة المملوكية في مدرسة الأشرفية حيث أظهرت دور عمارة المدرسة في تأصيل الفكر السياسي للعمارة المملوكية، وقدره عمارة المدرسة على الحفاظ على الهوية المعمارية للعمارة المملوكية الإسلامية وتصديرها للاستعمار من خلال ثباتها وديمومتها الباقية حتى الآن، أيضاً قدره المدرسة على البقاء في ذاكرة الشعوب إلا أن جزئية كون المدرسة نواه للتمدد الحفري لم تظهر بشكل واضح وذلك لأنها جزء من مجموعة مباني تكون المركز الحفري.
- لعبت المدرسة الأشرفية دوراً مهماً في تأصيل فكرة انتشار المدارس العلمية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وهذا يدل على الوعي الفكري والسياسي للمماليك في ذلك الوقت.
- تحدي هذه المدرسة لكل عناصر التقدم والحضارة وبقاؤها شامخة باستخدامها فكان للعلم والثقافة حيث ساهمت في الحفاظ على الموروث الثقافي من خلال استخدامها الحالي كمركز للمحفوظات التاريخية والأبحاث العلمية.

٩- النتائج المتعلقة بسوق القطانين والتي تتمثل فيما يلي:

- أصل سوق القطانين الفكر السياسي لعمارة المماليك من خلال عملية فرض السيادة على المجتمع المحلي، وحيث أن السوق تعبير عن نوع مباني مختلف قليلا عن المباني الدينية فهو من نوع التجارة والترفيه فقد اهتم السلطان المملوكي بتكوينه بحيث يسيطر على المنطقة المحيط به، ويكون قريب من الحرم القدسي لتأكيد ارتباطه بمقاليد الحكم الإسلامي، مع التأكيد على رمزية الهيمنة والسلطة للسلطان المملوكي وذلك من خلال باب القطانين الذي كان ولازال قائما مسيطرا على المنطقة من الجهة الغربية

للحرم القدسي وهذا يدل على رمزيته ومحافظته على عولمته في ظل التطور الحضري السريع وانتصاره عليها.

١٠- النتائج المتعلقة بقلعة القدس والتي تتمثل فيما يلي:

- لقد أظهرت النتائج بأن العناصر المعمارية لقلعة القدس لم تبرز بشكل واضح بسبب الدمار الذي حل بها ومع ذلك ظهرت بعض العناصر المهمة كالمآذن والساحات ومواد البناء والأبواب والفتحات...الخ وهذا يدل على اكتمال دور القلعة في وضوح العناصر المعمارية المستخدمة في العصر المملوكي في مدينة القدس.
- لقد ساهمت قلعة القدس في تأصيل الفكر السياسي للعصور المتعاقبة عليها منذ تأسيسها وظهرت بشكل واضح في العصر المملوكي من خلال التصليحات والترميمات وتجديدات البناء المختلفة التي تمت وهذا ساهم في بقائها تأدية نفس الدور في تأصيل الفكر السياسي للحضارة.
- نجحت قلعة القدس في الحفاظ على الهوية والرمزية المعمارية لمدينة القدس بأكملها من خلال مسجدها المفتوح ومأذنتها الباقية حتى اليوم شاهد على حضارة عريقة.

١١- ساهمت الحالات الدراسية بشكل واضح في وضوح فكرة الدارسة البحثية من خلال عرض العناصر المعمارية والمفردات المستنتجة والخاصة بالعمارة المملوكية في القدس ومن خلال تطبيق مبادئ العلاقة ما بين السلطة والسياسة والعمارة المستنتجة أيضا من الدراسات النظرية لهذه الدراسة البحثية.

- **ثالثاً:التوصيات**

١- أن تكون هناك خطة استراتيجية وطنية موحدة للجامعة الإسلامية خاصة وللجامعات الفلسطينية الأخرى عامة توجه بها الطلاب من خلال مشاريع التخرج ورسائل الماجستير لعناوين وطنية حقيقية تخدم الأمة الإسلامية عامة وفلسطين خاصة ومدينة القدس على وجه التحديد لأنها تحتاج إلى تظافر جهود أبناء المسلمين جميعا وسيسألنا الله عنها يوم القيامة ولا نتركها للمستشرقين او الاسرائليين ليزوروا التاريخ وتكون مرجعا علميا موثوقا.

٢- توصى هذه الدراسة بالاهتمام بدراسة الآثار الإسلامية عامة بشكل معماري فكري فلسطيني سواء كان سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً.

٣- التوجه من خلال عملية الحفاظ على الموروث الثقافي نحو الاهتمام بدراسات معمارية توثيقية لمباني أثرية فلسطينية في شتى المدن والقرى الفلسطينية عامة وفي القدس خاصة.

٤- توصي الدراسة بضرورة الاهتمام إعلامياً بموضوع النهوض بالمستوى المعماري الفكري الثقافي للشعوب الإسلامية عامة. من خلال البرامج العلمية الوثائقية الموجهة والممنهجة لخدمة القضية الفلسطينية.

٥- توجيه التعليم المعماري نحو الاهتمام بأصوله وجذوره الإسلامية واستقطاب الحضارة القديمة وإظهارها باستخدام وسائل العلم والحضارة الحديثة المتقدمة.

٦- توصي الدراسة بالاهتمام بالقوانين والتشريعات العمرانية التي تعمل على نهضة الطابع المعماري العام للحدث بحيث تظهر فيها بعض عناصر العمارة الإسلامية التي تم استعراضها في هذه الدراسة بطريقة تربط ما بين الماضي والحاضر والمستقبل.

٧- توصي الدراسة بضرورة اهتمام صناع القرار بتخصيص الوقت والجهد والدعم (مادي ومعنوي) باتجاه الموروث الحضاري الإسلامي في فلسطين عامة وفي القدس خاصة حتى تتصدى للاستعمار بكل أشكاله.

٨- توصي الدراسة بضرورة التصدي لكل المخططات الصهيونية والتي تستهدف تهويد مدينة القدس وذلك من خلال الممارسات المعمارية سواء كانت تعليمية أو وثائقية أو إعلامية، من خلال المدارس أو الجامعات أو المراكز الثقافية المختلفة سواء بشكل عملي على أرض الواقع أو عن طريق المناهج والبرامج الثقافية

٩- توصي الدراسة بضرورة زيادة الوعي المجتمعي لأهمية مدينة القدس وتخصيص مساعدات لأهالي القدس لضمان بقائهم صامدين ضد ممارسات الاحتلال الاستعمارية المختلفة.

١٠- توصي هذه الدراسة بإنشاء مركز خاص بالدراسات والأبحاث التي تتعلق بمدينة القدس وعمارتها بشكل يحفظ تراثها لأجيال المستقبل وتكون نواة لمركز يعالج معظم المشاكل المتعلقة بعمارة مدينة القدس.

قائمة المراجع

الكتب

- ابن الاخوة (محمد بن محمد بن احمد القرشى)" معالم القربة فى احكام الحسبة" تحقيق محمد شعبان، القاهرة،١٩٧٦م.
- ابن الأزرق :" بدائع السلك في طبائع الملك" (896-832) هـ.
- ابن الجوزي (٥٠٨ – ٥٩٧هـ) أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي ابن الجوزي – فضائل القدس: د. جبرائيل جبور (محقق) بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة (١٩٧٩م).
- ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ جزءا) القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية (ج١ – ١٢)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (ج١٣ – ١٦).
- ابن جبير(ابو الحسن محمد بن احمد الاندلسى) " رحلة ابن جبير" ، دار صادر، بيروت،١٩٦٤م.
- ابن حجر العسقلاني: "الدرر الكامنة القاهرة" ، ١٩٦٦م.
- ابن خلدون،"مقدمة ابن خلدون" ،1377م.
- أبو زيّاد، زياد " المسجد الأقصى في الإعلام الإسرائيلي " ورقة بحث قدمت إلى اليوم الدراسي الذي عقد في مركز الأبحاث الإسلامية بتاريخ ١٩٩٢/٧/٢٢م تحت عنوان (المسجد الأقصى حاضراً ومستقبلاً).
- أبو هاشم ، عبد اللطيف . مدير دائرة المخطوطات و المكتبات والآثار ، مخطوطات فضائل بيت المقدس في دراسات المستشرقين اليهود .
- أحمد بن محمد بن الربيع ت ٢٧٢هـ في كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال فقد كتبه للخليفة العباسي المعتصم سنة ٢٢٧هـ.
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي مج ١ ، ٢ ،أبو اليمن القاضي مجير الدين العليمي الحنبلي، القاهرة:المكتبة الوهبية، ط٢، ١٢٨٣ هـ وطبعة عمان: مكتبة المحتسب ١٩٧٣ م.
- الباشا، وسام "بيت المقدس فى كتب الرحاله المسلمين"،٢٠٠١ ، الطبعة الاولى.
- العارف ، " المفصل في تاريخ القدس" ١٩٨٦م، الطبعة الثانية
- البهنسي، عفيف. الأصالة الإسلامية في عمارة القدس وزخارفها، ابحاث الندوة السادسة ،"هوية القدس العربية والإسلامية" ٢-٥ تشرين الأول ١٩٩٥م – عمان.

- الطبري ، ابن جرير . تاريخ الامم والملوك ، دار احياء التراث العربي ،بيروت ، ١٩٨٩م.
- القدس الإسلامية في أعمال ماكس فانبرشيم ، تعريب د. عطا الله دهينة – دمشق، دار الشام، ١٩٩٤ م.
- القدسي ،أبو حامد محمد بن عبدا لله القدسي" دول الإسلام الشريفة البهية، المعهد الالمانى للأبحاث الشرقية، بيروت ،١٩٩٧م.
- المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام– فلسطين–المجلد الأول–القدس، عمان– الجامعة الأردنية، ١٩٨٣م، بحث بناء وزخارف قبة الصخرة بالقدس، دراسة تحليلية، د.مروان النل.
- الحسيني ، اسحق موسى . الأبنية الأثرية في القدس الإسلامية ، طبع في مطبعة دار الأيتام الإسلامية محرم ١٣٩٧هـ– كانون الثاني ١٩٧٧م.
- الموسوعة الفلسطينية:أحمد المرعشلي ، عبد الهادي هاشم، أنيس صايغ، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط١، ١٩٨٤ م، الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- العارف، عارف " تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، ولمحة عن تاريخ القدس "، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية ١٩٥٥م.
- النتشة، رفيق: ياغى، اسماعيل: ابو عليه، عبد الفتاح، " تاريخ مدينة القدس"ص١٩، الرياض ١٩٨٤
- الدباغ، مصطفى مراد بلادنا فلسطين (عشرة أجزاء) بيروت ١٩٧٢م – ١٩٧٦م
- الواسطي، أبي بكر محمد بن أحمد، "فضائل البيت المقدس" أ. حسون (محقق)/ القدس: الجامعة العبرية في أورشليم القدس، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية (١٩٧٩م).
- السائح، عبد الحميد القدس، تاريخا وحضارة ومستقبلا بحث للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٨٠م.
- السيد على ، على . القدس في العصر المملوكي ، الطبعة الاولى القاهرة –١٩٨٦ دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة – باريس.
- السيوطي ، شمس الدين محمد المنهاجي جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود ،القاهرة ١٩٥٥م.

- العسلي ، كامل معاهد العلم في بيت المقدس عمان، ١٩٨١م.
- العسلي ، كامل معلومات جديدة عن مدارس القدس الإسلامية مستخلصة من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس بحث في الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية ، حلب ١٩٨١م.
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي صبح الأعشى في صناعة الانشا (١٤ جزءا) نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية القاهرة، ١٩٦٣م.
- الفني ، إبراهيم . جوهرة القدس ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان / الأردن – شارع الملك حسين.
- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي السلوك لمعرفة دول المملوك تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٥٨م وتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة ١٩٧٠م.
- الماوردي: في كتابه الأحكام السلطانية.
- التطور العمرانى والتراث المعمارى لمدينة القدس الشريف عندما يصبح التراث المعمارى رمزا لثقافة المقاومة الناشر: الدار الثقافية للنشر ، نشر هذا الكتاب فى شهر إبريل سنة ٢٠٠٥م.
- السخاوي ، الضوء اللامع ، ١٩٩٢م.
- العروي، السنة) مفهوم الإيديولوجيا، 1980م اسم المؤلف عبد الله العروي من المغرب.
- الكتاب : تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام المؤلف : د. محمد سهيل طقوش الناشر : دار النفائس عمان ١٤١٨ - 1997 م.
- أوراق العائلة الخالدية بالمكتبة الخالدية بالقدس.
- اير لابدوس، "مدن إسلامية فى العصر المملوكي، ترجمة دكتور على ماضي الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- باعث النفوس في زيارة القدس لابن الفركاح ، النسخة بحوزة الباحث، مصورة من مركز الأبحاث الإسلامية – الشيخ جراح.(دار إسعاف النشاشيبي).
- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، د يوسف درويش غوانمه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب–دار الثقافة،٢٠٠٩.
- تاريخ المسجد الأقصى المبارك– دليل أثري للمعالم الإسلامية في المسجد الأقصى، محمد هاشم غوشة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية–فلسطين،٢٠٠٥م.
- تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ، عارف العارف.

- ابن الوردي :تتمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة المطبعة الوهابية ١٨٦٨ ج ٢.
- حسن، مقبولة " مدينة القدس فى العهد الايوبى" ، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ١٩٩١م.
- خط الزمن – راغب السرجاني، سلسلة حلقات خط الزمن لتاريخ مدينة القدس،٢٠١٣م.
- ديوان قاضي القضاة بالقدس فهارس سجلات المحكمة الشرعية بالقدس من سنة (٩٣٦ – ٩٥٢).
- ساحلي، خليل سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي في "المجلة التاريخية المغربية" عدد ١ ، كانون ثان ١٩٧٤ ص ٢٥ وما بعدها.
- سلامة ، خضر. سجلات محكمة القدس ، كامل العسلي العلامة المقدسي ، باسيا، القدس ، ١٩٩٦م.
- سجلات المحكمة الشرعية في القدس (من سنة ٩٣٦ حتى الآن).
- طوطح، خليل وخورى، حبيب " جغرافية فلسطين"، القدس مطبعة الناصر ١٩٢٣م.
- عبد الحميد جمال الفرانى ،الاثار التاريخية والإسلامية في القدس من خلال المصادر الاسلامية، "الانس الجليل للعليمي نموذجا"، مؤتمر القدس الثالث، ٢٠٠٩م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح العصر المماليكي في مصر والشام القاهرة ١٩٦٥م.
- عبد المهدي ، عبد الجليل الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصريين الأيوبي والمملوكي عمان، ١٩٨٠م.
- عبد المهدي ، عبد الجليل المدارس في بيت المقدس في العصريين الأيوبي والمملوكي (جزءان).
- عزب، طارق٢٠٠١م، القدس صراع وتاريخ، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة.
- عزب، خالد، الحجر والصولجان ، دار الشروق ، ٢٠٠٩ ، الطبعة الاولى.
- عزب، خالد، دار السلطنة في مصر، العمارة والتحولات السياسية، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية–إدراة الشؤون الفنية، ٢٠٠٧.
- عكاشة ، ثروت. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ،طبعة دار الشروق الأولى، ١٩٩٤.
- غوشة ، محمد هاشم موسى .حارة السعدية في القدس " دراسة معمارية اثرية تاريخية ، رام الله – فلسطين الطبعة الاولى ، ١٩٩٩م– ١٤٢٠هـ.
- نظريات العمارة للمؤلف عرفان سامي سنة١٩٧٨م.

- نجم ، رائف يوسف . وآخرون ، كنوز القدس ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م-١٤٠٣هـ .
- محاسنة، محمد; الطراونة، محمد; الرويضي، محمود; العمايرة، محمد، " تاريخ مدينة القدس " عمان، دار حنين للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢.
- مخطوطات فضائل بيت المقدس، د.كامل جميل العسلي ، عمان ، منشورات مجمع اللغة العربية ط١، ١٩٨١م.
- مخطوط سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.
- مخطوط الخير التام في ذكر حدود المقدسة وارض فلسطين الشام.
- مجموع نفيس فيه فضائل بيت المقدس – الخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام لمؤلفه الشيخ العلامة المشرف ابن المرجى بن إبراهيم المقدسي.
- مجموع فتاوى ابن تيمية تقي الدين ابن تيمية المؤلف الناشر:مجمع الملك فهد سنة النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- معاهد العلم في بيت المقدس د.كامل جميل العسلي ، عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨١ م.
- منبر نور الدين بن زنكي في المسجد الأقصى المبارك " / تأليف فهمي الأنصاري- كفر كنا، مركز التخطيط والتطوير والدراسات، ط١- ١٩٩١ م.
- من آثارنا العربية والإسلامية في بيت المقدس د.حمد عبد الله يوسف – القدس : مؤسسة إحياء التراث الإسلامي ، أبوديس ، تقرير رقم (٢٤) -١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.
- كوهين، أمنون (محرر) / القدس: " دراسات في تاريخ المدينة " ترجمة: سلمان مصالحة، مراجعة الترجمة وإعداد الكتاب للنشر: د. اسحق حسون / القدس: ياد يتسحاق بن تسفي ١٩٩٠م.
- كرد علي، محمد خطط الشام (ج٦) دمشق، ١٩٢٨م.
- كتاب "القدس :مدينة واحدة وثلاثة أديان" الذى صدر عام ١٩٩٦م، للمؤلفة كارين ارمسترونج.
- كنوز القدس – رائف نجم وآخرون ، ط ١ ، عمان ، مؤسسة آل البيت ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ١٩٨٣ م.
- فهرس المكتبة الخالدية (مخطوط، سنة ١٣٨٧م).
- وزيري ، يحيى. التطور العمراني التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف القاهرة ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤ – ٧ شوال ١٤٢٥هـ.

الأبحاث والمقالات

- السيد . وليد ، قراءة نقدية لكتاب "احتلال مدني.. سياسات العمارة الإسرائيلية" من تأليف إسرائيلي مشترك، حرره وكتب فيه المعماريان الإسرائيليان (إيال وايزمان) و(رافي سيغال.
- السيد ، وليد أحمد . مدير مركز دراسات العمارة الإسلامية بلندن ، مقال بعنوان "للعمارة الاسرائيلية تاريخ مفزع والحائط هو خلاصة مشروع شارون الاستيطاني للمعمار عندما يتحول إلى أداة سياسية استعمارية " جريدة القدس العربي ، السنة العشرون العدد ٦٠١٨ الاربعاء ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ٩ شوال ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- بارفر، يهوشواع " القدس كما انعكست في المفاهيم الدينية المسيحية واليهودية في مستهل القرون الوسطى " في كتاب " القدس دراسات في تاريخ المدينة " / القدس: ياد يتسحاق بن تسفي (١٩٩٠م). تحرير: أمنون كوهين.
- صحيفة هآرتس الصهيونية،٢٠٠٨.
- عبد الرحمن، د. عفيف " القدس ومكانتها لدى المسلمين، وانعكاس ذلك من خلال كتب التراث " بحث ضمن المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) – القدس مجموعة١ ص(٢٢٤ – ٢٧٠) عمان: الجامعة الأردنية / ط٢ ١٩٨٣م.
- غويتاين، شلودوف " القدس في الفترة العربية ٦٣٨ – ١٠٩٩ " أمنون كوهين (محرر) في كتاب القدس: دراسات في تاريخ المدينة، القدس (١٩٩٠م) ياد يتسحاق بن تسفي (ناشر).
- ناثان نوبلر : حوار الرؤية مدخل إلى تذوق الفن والتجربة الجمالية ، ترجمة فخري خليل ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٨٧م.
- (مجلة العربي العدد ٦٢٥ – ١٢/٢٠١٠ – عنوان المقالة تاريخ و اشخاص و تراث – المؤلف خالد عزب).
- عبد الكريم إبراهيم، المدارس القديمة بالقدس، مجلة العربية ٣٠٠٠، على الرابط www. arabcin.net/al Arabia mag/modules.php?name=news&file=article&sid=121
- مصطفى، وليد١٩٩٧م، القدس اسكان وعمران من ١٨٥٠ إلى ١٩٩٦م، مركز القدس للإعلام والاتصال القدس.
- وثائق آل جودة في القدس.

رسائل ماجستير ودكتوراه

- بليبلة ، ثائرة رشيد حسني. قراءة معمارية في السجلات العثمانية للمحكمة الشرعية في نابلس في الفترة (١٦٥٥-١٨٠٧) جامعة النجاح ٢٠١٠م.
- بلاسم محمد جسام : التحليل السيميائي لفن الرسم، أطروحة دكتوراه، غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، ١٩٨٩م.
- " صباح السيد سليمان " : التنظير التشكيلي لمباني العصر المملوكي في القاهرة ، رسالة دكتوراة في العمارة.
- داوود ، حاتم عبد اللطيف . مفتاح المقاصد ومصباح المراصد " عبد الرحيم بن علي بن اسحق بن شيث القرشي " ٢٠٠٨م، جامعة النجاح نابلس.
- عزب ، محمد مصطفى خالد . رسالة دكتوراه عنوانها "التحولات السياسية وأثرها فى العمارة بمدينة القاهرة منذ العصر الأيوبي حتى عصر العثماني".
- نسيم ابو شلوف رسالة ماجستير بعنوان " الاوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي" ، ٢٠٠٩، كلية الاداب قسم التاريخ والآثار الجامعة الاسلامية.

مواقع الشبكة العنكبوتية

- http://www.alquds-online.org/index.php?s=11id=370
- http://www.vb.arabgrid.net/showthread.php?p=46389
- http://civilizationlovers.wordpress.com/2011
- http://www.aljabriabed.com/n57_07.htm
- http://saidbengrad.free.fr/ar/art1.htm
- http://www.egyptsons.com/misr/showthread.php?t=78709
- http://ar.wikipedia.org/wiki

Read more:

- urban semiotics - umwelt, Signs, Symbols, and Architecture - Sign, City, Systems, Specific, Analysis, and Social
- http://psychology.jrank.org/pages/2195/urban-semiotics.html#ixzz1JW6os4kh

See also:

- Affordance; Architecture; Cultural Landscape; Cultureme; Distance; Mindscape; Space; and Umwelt.

مراجع باللغة الانجليزية

- BERCHEM, Max van C.I.A. Jerusalem Ville, Dec., le Caire, 1992 CLARK, Kenneth Exploring the manuscripts of Sinai and Jerusalem The Biblical Archeo
- Broadbent, G., R. Bunt, and C. Jencks, eds. Signs, Symbols, and Architecture. New York: Wiley, 1981.
- Conserving Muslim Jerusalem, Arts of Islamic World, Vol. 4 No 3, 1987.
- CLARK, Kenneth Microfilming Manuscripts at Jerusalem – Buletin of American Schools Of Oriental Studies (No. 123, Oct. 1951, p.17)
- Duncan A., the Noble Sanctuary, Portait of a Holy Place in Arabic Jerusalem, 1972.
- ERNST, Hans Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinia-Klosters-Wiesbaden, 1960.
- HEYD, Uriel Ottoman Documents of Palestine (1552-1615) - Oxford, 1960.
- HIRSCHBERG, J.W. Ottoman Rule in Jerusalem in the Lights of Firmans and Sharia Documents, Israel Exploration Journal, vol. 2 (1952), p.240.

- MANDAVILLE , Jone E. Ottoman Court Records of Syria and Jordan – in Journal of the American Oriental Society, Vol. 86 (1966) pp. 311-319.
- SANJIAN, Avedis The Armenians and the Holy Places in Jerusalem – (3rd Inter. Gonf. On the History of Bilad ash-sham, Amman, 1980.
- SHAW, Stanford Archival Sources of Ottoman History" in Journal of the American Oriental Society, vol. 80, 1980.
- STERN, S.M. Petitions from the Mamluk Period, B.S.O.A.S., vol. XXIX (1966) pp. 233-276.
- Shaath Sh., Threats facing Jerusalem, Arts of Islamic World Vol. 4 no 3, 1987
- PETERS F.E., Jerusalem, 1985, Princeton university, 1985.
- Mumluke Jerusalem ،Michael Burgoyne ,1987.

Abstract

Jerusalem is on the centre of interest for those who are concerned with Islamic world, and it occupies top of the priorities of Islamic issues, as Jerusalem witnesses misleading for public opinion. In addition, Jews and Zionism are keen to judaize the city and it suffers from repressive policies such as; Jews' claims that Jerusalem is the eternal capital of the so-called state of Israel.

Architecture is considered as real evidence and reference that the history of ancients obtain from, including their advancement and prosperity or their deterioration and backwardness. Furthermore, it records history of successive nations and gives a true image about their establishment. Because the effects on the civilized architectural output are numerous, and one of them is the impact of authority and politics, it was crucial to examine Jerusalem main landmarks and architecture, particularly, during the Mamluk period as it is characterized with prosperity in civilization, architecture and revival.

The research methodology depended on scientific analytical critical examination of architectural landmarks of Jerusalem during the Mamluk time, and it presented a researching problem with three major issues. First one is represented in some questions as "Do Mamluk authority and politics affect their architecture? What is the nature of the relationship between them? Second issue is summarized in main architectural elements that were influenced by authority and politics. The last issue was about the major architectural significations related to authority and politics of Mamluk period that appeared in Jerusalem architecture. Since Jerusalem is the spatial scope of the study, three buildings there were analysed such as; Al-Ashrafieh School, Jerusalem Castle and Qatanin Market. These buildings showed their relevant connection to Mamluks' philosophy of architecture and they included political architectural elements through applying special standards for the relation between authority and politics and architecture

Therefore, the study had three assumptions; first one confirms the effect of authority and politics of Mamluk on their architecture. The second assumption talks about emergence of architectural elements and details due to Mamluk policy, while the third assumption is about obvious links of Mamluk architectural significations with their policies in the buildings.

The study was divided into seven chapters as the following; chapter one put the general frame, the second studied history of Jerusalem, third chapter was about Mamluk, the fourth and the fifth were specialized in politics, its theories and its relation with architecture, the sixth chapter was dedicated to Mamluk period in Jerusalem and their eternal architecture, and final chapter was the analytical applied study of this research study through applying political theories, which are inferred in both chapters 4 and 5, on the analysed samples in chapter 7 to reach for results and recommendations.

The researcher reached for some recommendations as:

- ✓ Maintain Islamic architecture in general and the Mamluk one in specific in Jerusalem by documentation, recording and research to face all judaization attempts.
- ✓ Mind regulations and laws that promote the architectural feature of the city to show the Islamic architectural elements.
- ✓ Concentrate on Islamic cultural heritage in Palestine and in Jerusalem in particular.
- ✓ Encounter all forms of Zionist judaization through architectural products, whether they are educational, documentary or media.

As the study concerns with Jerusalem, the city will be under research through conducting an analytical study for its location, then studying historical stages and civilizations that inhabited Jerusalem, and after that studying the religious status of the city. These steps are the introduction to examine the effect of authority and politics on Jerusalem during Mamluk rule.

1- General Introduction

Authority and politics are always in the minds of thinkers, and they occupied wide range of thinking, application and knowledge. Because architecture is the sole field that reflects these thoughts and applications, a relationship between politics and architecture has been founded. This relation is between authority and politics from one side, and architecture from the other side, and it is an old modern argumentative one, where all secrets of the rule, the ruler and the ruled appear. Undoubtedly, architecture is a sign of rule, politics and nation; it is their strength, weakness, invincibility and submission. However, such relation cannot be clearly identified or shown without examination to figure out its dimensions. Thus, this research examines the relationship between architecture and politics and authority and tries to show the effect of authority and politics on architecture. As Jerusalem is a city with an ancient rich history and it is the centre of conflict, architecture there owns more significations and symbols rather than other places, and the researched relation becomes the most important side.

Jerusalem has its unique status since the beginning of human urbanization, it is one of the first urban places that man built and resided, and it is centre of attraction for the near and the far. Considering archaeologies and Islamic and Arab landmarks in Jerusalem is necessary demand to maintain its history as a prisoner city, and it is a pillar that contributes in keeping Jerusalem in consciences, besides it provokes determination and thought towards liberating this Islamic Arab place from Zionist occupation, which rapes and humilities our nation.

In this regard, it becomes essential to study the effect of authority and politics on architecture in Jerusalem in all phases of history, especially those eras that marked by strong authority and wisdom of politics as they occupy special intention to benefit from their lessons in the current critical situation that Jerusalem suffers. Therefore, study focused on Mamluk period generally and its architecture in particular, as researchers and historians totally agree that it is the prosperous period of civilization and architecture in the Arab world, especially in Jerusalem. Mamluk architecture in Jerusalem is characterized with fine arts and delicate geometrical fashion, particularly in Al Aqsa mosque and the surrounding areas in the old city. Most of the buildings there are Mamluk or with Mamluk origin, in addition that period was marked by cultural, scientific and intellectual activities such as; increase of schools, corners, elementary schools (Kotab), students, scholars, and writings in different fields of science.

Based on the aforementioned motives, this study aims to identify the effect of politics on architecture and urbanization in Jerusalem during Mamluk time. It seeks to tackle main political significations of Mamluk architecture through examining the remaining samples to protect them from being lost and keep them for future generations. Moreover, the study tries to maintain the city as a protection method against colonizers' greed, schemes and strategies. On the other hand, Jerusalem needs to face occupation with tangible real evidences along with historical references, manuscripts, documents, and books of Arab explorers and impartial orientalists, who lived and wrote about Mamluk period in Jerusalem, to defend fake claims that the city is Jewish. Jerusalem is an Islamic Arab city and the history testifies on that, and because the Mamluk era was the most flourishing one, it was considered for study to achieve its aims.

2- Study importance:

- Jerusalem is always under threats of judaization and removing Islamic landmarks.
- Existence of buildings connected with doctrinal and material events, and they turned to be the core of political authoritative conflict, dissimilarity and argumentation. Therefore, the one who has the ability to explain history of architecture and its events; he consequently owns the rights to use them in his case.
- Mamluk era was remarkably prosperous and well-planned, as the rulers were keen to create their glories on ground. (Ribat 2001)
- An attempt to revive and examine manuscripts and documents and read the situation of Jerusalem historically and geographically to identify its civilization over the ages, especially in the light of weakness of Arab library in terms of having references related to Jerusalem, and if they are existed, most of them are for orientalists and they need to be reviewed carefully.
- Studying effect of authority and politics on architecture represents a cognitive addition in this domain for the Muslim world, as Jerusalem is for all Muslims and that is why the study is important.

3- Study objectives

1. Study the interaction of politics effect on architecture and how politics is influenced by architecture and urban heritage in Jerusalem during Mamluk period through showing various examples for architectural buildings and their connection to political significations.
2. Understand significations and terms of authority and politics in Mamluk architecture in Jerusalem through scientific writings, whether ancient or new ones, that linked between them.
3. Compare these significations with the corresponding symbols of authority and politics in the remaining samples of Mamluk architecture in Jerusalem.

4. Use and utilize architecture to change symbolic significations of Jerusalem, the Arab Islamic city.
5. Show the suffering of Jerusalem architecture due to occupation policies and practices that aim to steal and eradicate the Palestinian identity.
6. Provide the Arab library with a reference that examines architectural significations in the historical manuscripts and references, besides design and geometrical fashion significations in the buildings.
7. Document and prove traditional places in the area, which are the product of societies, who lived and interacted there for hundreds of years, and maintain them from being lost and extinction, in addition to keep artistic values that can be restored.
8. Maintain moral, doctrinal, artistic and architectural values and what they include of ideas, solutions and living methods compatible with environment. Back to the past should not be only for protecting urban heritage, but also for planning for future vision.
9. Stress the role of architect who has responsibilities to construct earth. And in the light of secularism currents and international political conflicts, he has to show the urban and architectural heritage, make documentary studies and revive and inculcate heritage in the souls of future generations.

4- Study problem

The study discusses some problems, which will be researched and examined, and they are:

1. Do authority and politics affect architecture in Jerusalem? What is the relation between them?
2. What are the main artistic and architecture elements that were influenced by authority and politics during Mamluk period in general?
3. What are the political significations of architectural design and urban planning that appeared in Jerusalem during Mamluk time?

5- Study assumptions

As the study problem was identified, now the major assumptions will be mentioned and the study will try to validate them:

1. Political authority of Mamluks obviously affected their architecture in all parts of Islamic world.
2. Architectural significations of Mamluks clearly connected to the political authority in the buildings.
3. Many architectural elements and details emerged due to the political philosophy of Mamluks.

6- Study methodology

This study requires methodology that delves deep in conscious understanding of architectural and urban essence that is derived from doctrinal, social, political and historical dimensions to prepare future engineers and architects to defend architectural and urban cases as they obliged to do so, and such cases are inseparable and connected to self-identify of present and future community. Hence, the methodology is varied between the descriptive analytical method and the critical one, and it can be detailed as the following:

- Descriptive analytical method compares some buildings through analysing them historically and connecting them with doctrine, besides studying these factors on the urban formation of the buildings. This is to facilitate identifying buildings political reflections and impact of authority on them from the beginning of Mamluk period until today. This is also to reach for main changes that appeared in that period and imposed dealing with architectural spaces and producing what will be researched of buildings that show their time.

- Critical method explains concepts of authority and politics. It focuses on validating study assumptions of essence of Islamic architecture and historical doctrinal origins of urban and architectural buildings in the Arab and Islamic region.

The text analysis will be compared with analysis of Mamluk buildings in the old city, which represent live true witness on the tight relation between authority and politics in that period through the architectural analytical and political studies of these buildings. In addition, contemporary architecture in Jerusalem will be discussed along with symbols of authority and politics that occupation uses in architecture and urban landmarks as political Zionist practices to judaize Jerusalem, because the study will confront them.

7- Study scope

7-1 Spatial scope:

Jerusalem, as history has known it from the ancient ages, is located nearly in the middle of Palestine to the east of Mediterranean Sea on a chain of mountains with versants incline to both east and west. The city is 750 m above Mediterranean Sea and 1150 m above the Dead Sea, it is characterised by important geographic location due to its position on hills and above mountains peak, which are the middle chain of the Palestinian territories, and subsequently they are the water dividing line between Jordan valley in the east and the Mediterranean Sea in the west. Such features made Jerusalem attached to all directions, and it is a link in a chain extends from the north to the south above mountains peaks of the Palestinian heights. Jerusalem first establishment was on

Ophel hill over Silwan village, which had a water spring meets residents' needs, and then it moved to other areas that are above the current walled city. These areas were surrounded by walls until 1542, when Othman Sultan (Suliman Al Kanuni) built the current existing wall to delimit geographic borders of the old Jerusalem. Before that, city wall extended to the north up to, in one phase, the well-known mosque (Saad and Said), and to the south until Silwan village, which means that the city was surrounded by Dead Sea in the east, Mediterranean from the west, Nablus borders from the north and Saer village borders from the south. Actual area of Jerusalem, as we, Muslims, recognize, is approximately 500 km^2 (Al Quds International Institution). Regarding the political division after 1967 War and occupying eastern Jerusalem, and on 28/6/1967, occupation declared extension and unifying borders of Jerusalem municipality as an application of Zionist policy that aims to control the largest possible area with the least number of Arab inhabitants. Municipality borders were delimited to include lands of 28 Arab villages and towns and dismiss all Arab populations. These borders took strange form, once with level lines (topographic) and once with streets, and by that, another stage of delimiting borders began and Jerusalem municipality borders extended from 605 km^2 to 70.50 km^2. Accordingly, its total area (west and east) became 108.50 km^2, and in 1995, the area extended again towards the west to be now 123 km^2. All of these divisions are geographic political, while in fact, Jerusalem in the spatial scope is larger by five times than that area.

7-2 Time scope

Mamluk period in the 13th century and when it ruled Jerusalem, it affected the city by its politics, which was on the form of civilization and architecture that can be seen until today. This proves the political strength of Mamluks that gave them special significance, as they worked on clearing Levant from all forms of crusaders, besides their ability to represent and keep unity between Egypt and Levant. In addition, they had noticeable activities in construction and architecture in Jerusalem. Mamluk architecture is marked by distinguished beauty and superb art, especially in Al Aqsa mosque and the surroundings area in the old city, as most of the buildings there are Mamluk or with Mamluk origin.

8- Reason behind choosing Jerusalem:

There are ample reasons behind choosing Jerusalem, but firstly, Almighty Allah chose it to be the holy spot on earth. Allah says "Glory to ((Allah)) Who did take His servant for a Journey by night from the Sacred Mosque to the farthest Mosque, whose precincts We did bless,- in order that We might show him some of Our Signs: for He is the One Who heareth and seeth (all things)" Sura Al Isra'a – Verse 1.

So how about humans! Jerusalem and Palestine have special religious status in the believers' hearts in all religions of Allah, and Muslims are more believers that Jerusalem,

Palestine and Levant are blessed lands with a Quranic text to the Day of Judgment. It is the cradle of the three divine religions; Judaism, Christianity and Islam, all followers of these religions appreciate Jerusalem. Jews have fantasy, which created myths and legends about the city and they wrote them in their holy books as they like. They talked about the so-called temple to make Jerusalem belong to them, while Christians sanctify it due to what is mentioned in their bibles. Moreover, Jerusalem became more holy, when the Roman Empire embraced Christianity and built Helena church (Holy Sepulcher) and other churches, and it became destination for Christian pilgrims. We cannot ignore Muslims, whom are worthier than others, as Jerusalem is for prophets and massagers who were mentioned in the Holy Quran, when Prophet Mohammed (PBUH) led them in prayer in Alqsa mosque in the Isra and Mi'raj (Night Journey). In addition, there are prophets and messengers who passed by Palestine, lived there, and some of them were buried there. Therefore, we can justify choosing Jerusalem for the study as it is chosen by Almighty Allah. Muslims duty is to protect it by all possible means, and this study concentrated on the city to keep it deep-rooted in future generations and alive in their veins. It is a simple effort to protect the Islamic identity of Jerusalem and to become small start for bigger projects and researches to be presented to Arab, Islamic and international world, and in the same time to encounter all Jewish myths that seek to judaize the city.

8- An Analytical study of Jerusalem location:

In terms of astronomy, the city is located on longitude 35° and 13 minutes east and on latitude 31° and 52 minutes north. It is above 750 m above Mediterranean Sea and 1150 m above the Dead Sea, Jerusalem is 52 km west far from Mediterranean in a straight line, 22 km far from the Dead Sea and 250 km south the Red Sea (Al Basha 2001, page 35) See fig (1).



Fig. (1)

Geographically, Jerusalem is on mountain chains with versants incline to both east and west. It is surrounded by many valleys from three sides, Al Joz valley from north, Qadron from east, Yehoshafat from south and an anonymous valley from west (Totah and Kori, 1923, p. 106-107).

Jerusalem is divided into two main parts:

- The old city (like a trapezoid) and it is surrounded by 6-km long old wall, built by Sultan (Suliman Al Kanuni) in 1542. The wall has seven gates, Jaffa (Al Khalil) gate in west, New (Jadid), Herod's (Sahra) and

Damascus (Amod) gates in north, Lions' (Asbat) gate in east and Zion (Nabi Dawod) and Dung (Magharba) gates in south.

- The new city outside the walls and it is bigger in area and population. It has spacious streets, modern buildings and gardens. It is nearly 600 km² (Al Natsha and others, 1984, p. 5) See fig. (2).

Jerusalem climate is temperate. The city has both features of coast temperate climate and mountains coldness, and it receives average rainfall. City inhabitants depend on rain to water their plants and some water springs emerge from near mountains. All these climate reasons made residents stay longer periods in the city (Al Basha, 2001, p. 36).

Generally, Jerusalem climate is nice with mild air. It receives sea breeze, which makes its summer cool, meanwhile there is no air blows from the north. Northern western air is mild, and southern western one blows a lot in winter (Al Aref, 1961, p.176).

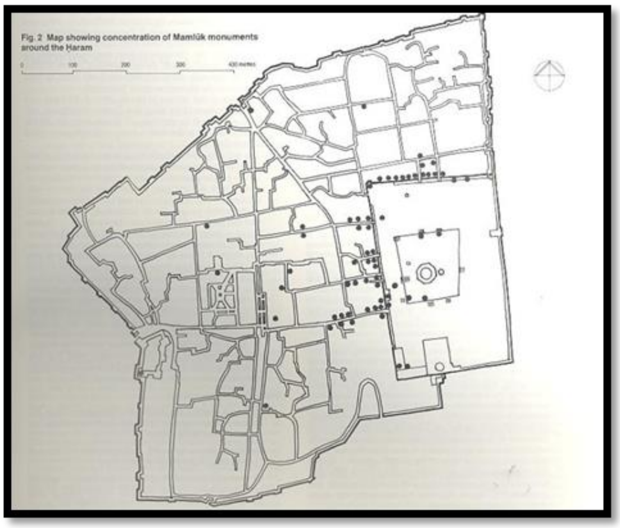


Fig. (2)

In the same regard, the city is distinguished for its overview and climate. From a geological aspect, Jerusalem has groundwater enough for the inhabitants, besides other materials that the city used to build itself. Therefore, the city had its self-sufficiency, which led many civilizations to rule and inhabit it until the period of Zionist occupation, in addition to its divine status as it

is the third holy shrine, cradle of the three religions and the place where prophet Mohammed (PBUH) ascended to the heaven.

9- Study Obstacles

During the study, many varied research obstacles emerged, some of them are related to data collection, and others connected to obtaining analytical studies and manuscripts for architectural landmarks of the city. The following are some of the obstacles:

- Researcher inability to reach Jerusalem, the occupied city, and it is impressible to travel to it. This is the major obstacle.
- Political suffering in Gaza Strip, during preparing the study, was another main obstacle. It was difficult for the move of mail correspondences and to get needed information due to security restriction on the strip.

- Despite the availability of some valuable references about Jerusalem, yet most of them are for orientalists and require careful checking and examination to validate their information. Meanwhile, Muslim historians' studies relied on historical archeological description, and this study is analytical. So, using such information requires lots of time and effort.
- Lack of documented manuscripts and architectural drawings related to building, which are the study target, plus the extreme hardship in obtaining them from people in Jerusalem, as the occupation forbids that, and in case of having some documents, they are insufficient.

10- Main adopted theoretical studies

The study reached for the term "Authority", which is historically ancient, and it deals and cares for degree of power and ability to lead people in a method that allows them to practice their rights without trespassing others' rights, and without trespassing the rights of the leader and his authority. Such ability or power must be generally agreed by all; leaders and fellows, and the agreement criterion is varied in determining the leader and the fellows. This consequently guarantees conditions of loyalty and obedience for leaders, and in the same time meet the needs of fellows by the leader. All types of leadership such as; individual, group, local, international, political, psychological and physical are included under this term.

Concerning "Political Authority" term, the study defined it as "the ability and power to control others and rule them in a form that suits sovereignty of authority and assures loyalty of others. This means that authority cannot be achieved without power, which helps in protecting authority and fulfills the supremacy of law and requirements of rule. In return, political authority should use power and law with a democratic system to create equality, justice and freedom for citizens without discrimination. Furthermore, it should be the guardian for such values to maintain social cohesion and avoid chaos and lose of society dignity.

Political authority is considered a major element that affects architecture. Hence, the study discussed the interaction between authority and politics and architecture through presenting definitions of authority and politics and connecting them by defining political authority, which is ability and power to control others and rule them in a form that suits with sovereignty of authority and assures loyalty of others. As the study aims at identifying the relation between authority and politics and architecture, it exposed the definition of architecture, its philosophy and how it philosophically influences city environment. And to limit the study, specifications of Islamic architecture, essence of authority and city in the Islamic architecture were examined.

The study also recognized some practical applications for the effect of authority and politics on architectural outcome. This was fulfilled through examining succession of civilizations on the ancient architecture (Pharaohs – Romans – Byzantines). Similarly,

the Islamic applications were researched too and how the Islamic civilization affected the architectural product, and since the study is concerned with Jerusalem, it studied Dom of the Rock and its political significations. Finally, the study examined the impact of Zionist policies on forming cities through researching Zionist settlements and the apartheid wall, and how such policies affected on separating Palestinian towns and villages from each other and how they had military, political and settling indications in the same time.

In the same regard, and because the study targets Mamluk architecture in Jerusalem, the architectural philosophy were examined as it shows their military sovereignty and social life. Mamluks control on the ground was clear through the facades in the main streets, which means impose sovereignty on inhabitants of Islamic country. Moreover, main features of Mamluk architecture were researched, besides construction elements of Mamluks. At last, these features were applied on some important examples such as; Sultan Hassan School, Mohammed Ali Castle, which witnessed succession of Islamic eras, Khan Al Zawahri, and House of Justice.

11- Mamluk Architectural elements:

In general, Mamluk architecture was keen to show their political authority through building their palaces, mosques and graves. The general view of the buildings are influenced by Roman and Byzantine basilica plan, as the plan was long, but they replaced the bow with a huge door opens on both sides to indicate that anyone can reach the sultan without any hindrances. Mamluks also minded the architecture of facades along main streets more than other civilizations, as their cities were military closed and surrounded by walls and crowded. They used straight lines, circles, arches and other geometric shapes, and they created a new method, which is the Iwan. To have more details about the Mamluk element, the researcher talked about the following:

1- **Columns**: they are major Mamluk architectural elements, and they were used for construction purposes as carrying ceilings and vaults, besides their aesthetic touch inside buildings, especially special corners. Columns were got from old Roman and Byzantine buildings and they were reused, thus a building consists of different columns in terms of shape, size and color. However, most columns are Corinthian (see fig. 3 and 4) used to reinforce buildings and give artistic view in the same time with multiple shapes.

2- Iwan: a special element of the Mamluk architecture. It is an open courtyard surrounded by four iwans, the largest and deepest one is the Qibla (direction) iwan. They face each other and vaulted, and the aim is probably to make religious buildings undertake same role of religious compounds and o more than one function.



Fig. (3)

2- **Entrances**: Mamluk concentrated on entrances and they had remarkable position in the main building facade of the

governing class. In addition, other architectural decoration elements were used as salient

and hollow moldings, corbels and different



Fig. (4)

written inscriptions. Regarding entrances of public people, they usually include two levels. The first starts with the main entrance of the house on the main façade followed by a right-angle corridor, and in the end of the corridor the second level begins, which is the other entrance and it depends on house height level on the street. Such entrances are usually made of wood, as main construction material, with some appropriately shaped iron to reinforce the door in some buildings.

3- **Public gates**: they are vaulted entrances on the beginning of passages and alleys inside the city. Theses gates are used to join high walls, and the purpose of them was to differentiate

4- between public and private roads, entrances and yards, especially if they are connected to each other. Public gates take the shape of arch and cross vaults decorated with stone shelves on both sides.

5- Architectural plans of buildings: they were diverse as the religious buildings influenced by Roman basilica. Meanwhile, public buildings were centrally organized with canted spaces surrounded by internal yard and directed to inside, besides existence of stairs for upper floor in some buildings. Identifying the use of plans is important, as the formation of plans disabled identifying the remaining buildings due to the resemblance in combining and designing horizontal plans of buildings.



Fig. (5)

6- Mihrabs (Niches): they are primary elements of Islamic architecture, and they were represented by making a bow in qibla (prayer direction) wall dedicated to Imam (prayer leader) to stand in and to define qibla. They are arches surrounded by semicircles in their horizontal projection, yet they are joint with the building and flat to it. Mihrabs were used to identify direction of prayer (Mecca), and they are places for writing and plants decoration in many Mamluk buildings, which show lots of distinct Islamic arts (see fig. 5).

7- Minarets: Mamluk minarets were known for their height, beauty and ornament. They are established on square base gradually turns to octagon then to a dodecagon, and finally they end with circular section of the minarets. Minarets include salient windows carried on corbels, which gives them aesthetic view (fig. 6).

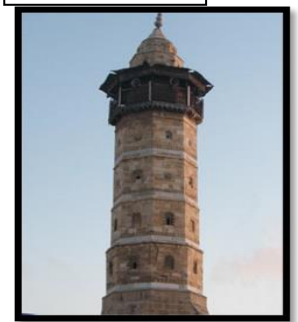


Fig. (6)

8- Tribunes: they are relevant to religious buildings. They appear in the horizontal plans by using the circular shape to show them and it is considered one of their artistic components. Tribunes are made of stone as a basic material, besides salient and flat ornaments, which give beauty that covers the original stones (see fig.7).



Fig. (7)

9- Domes: They are the greatest architectural innovation that gives aesthetic touch on the buildings. They are half concave balls stand on columns and walls used to cover the buildings in the simplest way, and they are painted and covered with Quranic verses and decorations in a method that conceals basic construction material. First, Domes are built on square base turns to eight cross vaults then to twelve sides, after that the circular ring that carries the dome appears. Domes are usually decorated with holes along the ring to provide light inside the building they cover (see fig. 8).

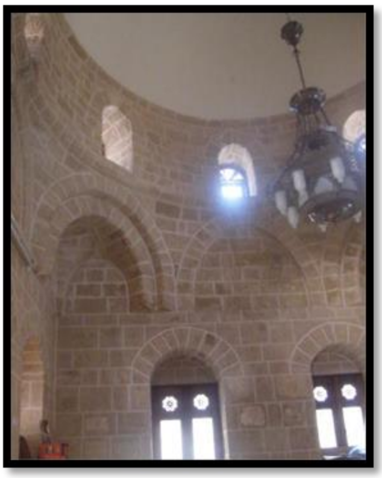


Fig. (8)

10- Iblaqs (Stone making): It is the art of making stones. Mamluks used to put a row of stones with two colors, white creamy with others, red or yellow or black in the entrances of buildings, in the end of vaults and arches all over the city (see fig. 9).

11- Passages: they are distributed inside the Mamluk city according to their classification, public, private and semi-private. There was noticeable interest in the materials used for the flagstones as the irregular stone in the finishing stage to be appropriate for walking. Some other materials were also used as marble (Polychrome) in some private passages according to the place and its requirements.



Fig. (9)

12- Vaults: they are known elements in many buildings even before Islam, especially the circular vault. Nevertheless, Islamic architecture developed them to be special "Islamic Vaults", and sharpened them in obtuse and acute angles, besides creating

new shapes, which made vaults artistic elements along with their basic construction role. Vaults are used to cover buildings, passages and some final ceilings that do

not use domes. Moreover, they are with different types such as; straight long line, cross in a point, squared, and polygon with many sides and they were widely spread in the Mamluk city (see figur-10).

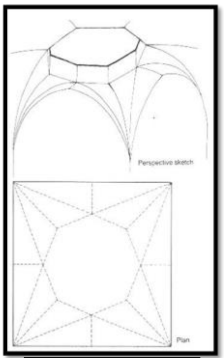


Fig. (10)

13- Cross aches: this system was used in ceilings and covered spaces inside the buildings. They have multiple shapes as ordinary, flabellate with ornament at the side matching point, cross and half barrel. Cross arches are used to cover large spaces or narrow ones, besides entrances and passages in the same time

(see fig. 11)

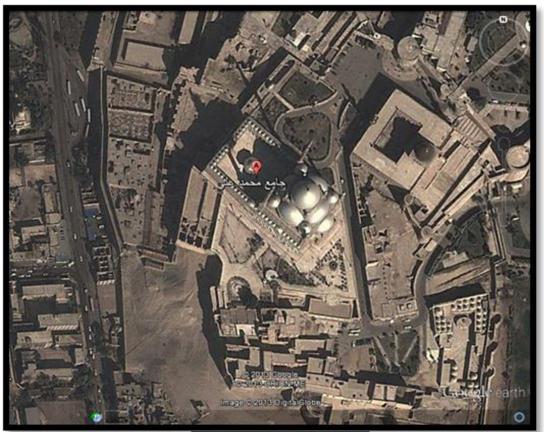


Fig. (11)

12- Relationship between authority and politics and Mamluk architecture (Jerusalem Castle – Case Study)

In this section of the research, many case studies were analyzed, and to explain the idea, the relation between authority and politics and Mamluk architecture will be identified in one case, which is Jerusalem Castle.

1- Inculcate political thought of civilization in its people

The political trend of the authority usually relies on its political thought, which is reflected through buildings. Jerusalem Castle has shown such thought over the successive periods, it was established in the Hellenistic age by the order of Prince Herod, one of the greatest construction workers in the history of Palestine. He fortified it with three huge towers named after his brother Phasael, his best friend Hippicus, and his wife Miriam. It is believed that the castle was not only for military purpose, because a group of monks live in some parts of it, in small chambers, some of them are with harsh white mosaic grounds. After the Islamic conquest for Jerusalem in 638,
the new conquers were interested in the castle, as some excavations, which were conducted years ago, discovered a smaller castle than the current one, its remains still can be seen in castle yard today.

2- Symbolism of architectural identity and maintaining it

The castle showed clear symbolism through its eastern entrance, besides its open mosques and the high minaret in Jerusalem sky above the wall of old city from the west side. Currently, the minaret is one of Jerusalem symbols that maintain the Islamic identity of the castle.

3- Castle location encouraged forming different urban cities and centers and cultural exchange

This edifice is a matching point between the old city and the modern one outside the walls. The most remarkable

landmark in the castle is the mosque minaret, which was added in the time of Sultan Suliman Al Kanuni in 1310. (see fig. -12)

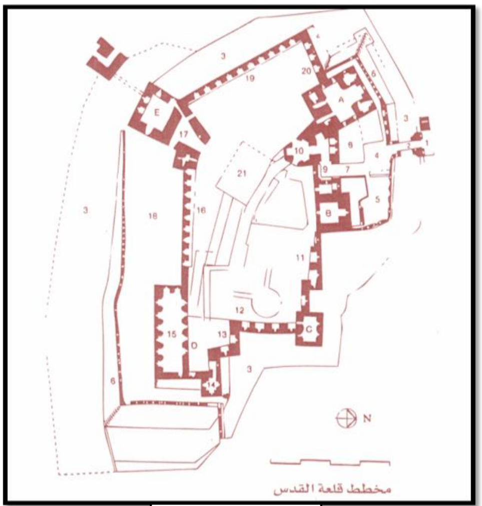


Fig.(12)

4- Challenge foreign colonization and end cultural architectural hacking:

There are many standing remains of the minarets that give symbolic position, and none can ignore them. Meanwhile, the castle was turned to a museum, and even the administration says in the guiding brochure that "The castle, through its towering minaret, is a symbol of nostalgia for the holy city. In this place, life continued over thousands of years. Above this invincible fort, the city extends with its east and west.

Its past and present are like a magnificent drawing painted by skillful artists. Here, Jerusalem really begins". (see fig. -13)



Fig.(13)

5- Document political events over the history

The castle, with the big ditch around it, is marked by being overlooking the old city from the highest point, and this made it able to stand against invaders. Due to its significance and being a symbol for Jerusalem for hundreds of years, every ruler was keen to fortify and renew it to surpass former governors, and to make it his pride and joy. Thus, it remained lofty to reflect and document a political period according to all events it experienced. In the castle yard, there are its oldest remains, which are a wall and two towers as they, seemingly, formed the western borders of the city. The most thrilling view in the castle is the Islamic inscriptions that show its time (see fig.-14)

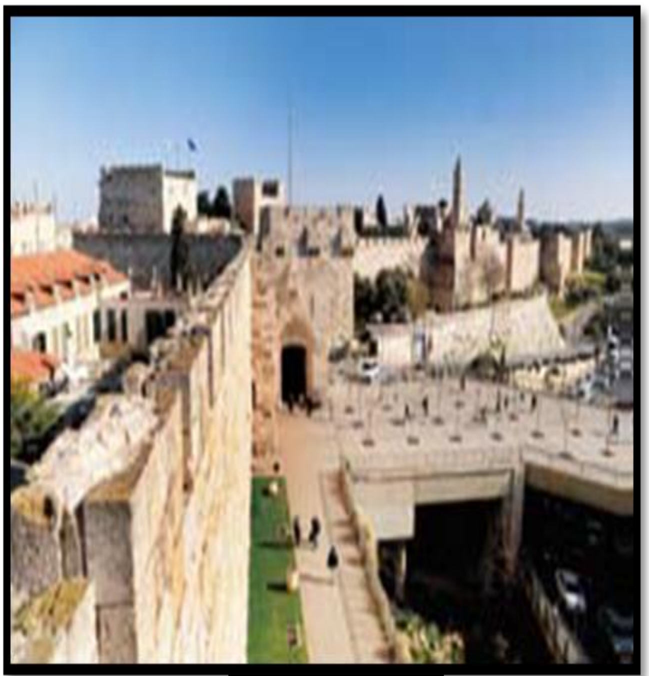


Fig. (14)

honored history. Some of them are from the time of Mamluk sultan Nasir al-Din Muhammad ben Qalawun, who built the castle with its recent shape including walls, towers and mosque, as an inscription states that in 1531. Other remains of the sultan are castle halls and its mobile bridge, which links the mighty gate and the internal ones above the ditch.

13- Results and Recommendations:

The following are the main results and recommendations the study concluded after examined the targeted subject in details.

First Study analysis:

This study discussed a researching problem that asks about the existence of effect for authority and politics on architecture in general and Mamluk architecture in specific, besides identifying main elements and architectural details that were influenced by authority and politics in the Mamluk period. It finally tackled the political significations of architectural design and urban planning that emerged in Jerusalem under the Mamluk rule. Moreover, the study put some assumptions to respond to the problems, first one confirms the effect of authority and politics of Mamluks on their architecture all over the Islamic world and Jerusalem. The second assumption talks about emergence of architectural elements and details due to Mamluks' policy, while the third assumption is about obvious links of Mamluk architectural indications with their policies in the buildings.

Since this study aims to identify the effect of politics on architecture and urbanization in Jerusalem during Mamluk time, it seeks to tackle main political significations of Mamluk architecture through examining the remaining samples to protect them from being lost and keep them for future generations. Moreover, the study tries to maintain the city as a protection method against colonizers' greed, schemes and strategies. Another importance of the study is that it focuses on architecture in Jerusalem in all ages, especially those eras that marked by strong authority and wisdom of politics to benefit from their lessons in the current critical situation that Jerusalem suffers nowadays.

Therefore, the study followed descriptive analytical and critical methods to reach for the desired results. It was divided into seven chapters as the following; chapter one put the general frame and it includes introduction, objectives, importance, research problem, assumptions and literature review. Second chapter studied history of Jerusalem in terms of its geographical location, its civilization, its religious significance, third chapter was about Mamluks and other Islamic eras in Jerusalem. Chapter four and five were specialized in mutual relations between authority and politics through reviewing studies of political thinkers, concluding main principles of the researched relation in architecture, and then reviewing applied architectural and urban examples to show the impact of authority and politics on architecture. As we highlight on Jerusalem, the two chapters show some urban practices by the occupation against the city by discussing the apartheid wall and Israeli settlements, besides showing the political conflict between Jews and Muslims and finally main architectural methods to keep Palestinian heritage in Jerusalem. Sixth chapter talks about urban production of Islamic architecture generally and Mamluk one particularly, it presents Mamluk philosophy and main architects, and lastly it examines major features of architecture and urbanization to study some Islamic archaeological landmarks established in Jerusalem, Egypt and Damascus as they were the centre of Mamluk civilization. In the final chapter, the applied study was conducted by inferring main architectural elements of Mamluks; in addition, the analytical part was implemented for the targeted cases in Jerusalem (Al-Ashrafieh School, Jerusalem Castle and Qatanin Market). Within this stage, all theoretical results of the study were applied as an introduction to reach the final results and recommendations.

Second: Results:

1. Mamluk authority and politics affected the architecture, and through reviewing main sultans and their architectural achievements, it is clear that they were relevant to sultans' thoughts and political philosophy.
2. Discover the philosophy of Mamluk architecture, and this proves that there is an obvious effect of authority and politics on architecture.

3. Based on different architectural samples in that period, architecture is connected to successive historical events on Islamic states in general, and Jerusalem in particular.
4. Within the study, many architectural patterns were disclosed such as (Ribat – Khanqa – graveyard), and Mamluks intentionally built them due to their connection to their political thought. In addition, they built mosques, markets, palaces, bathes...etc.
5. Main principles of authority, politics and architecture were inferred, and they were summarized in inculcating political thought of civilization in its people, symbolism of architectural identity and maintaining it, challenge foreign colonization and end cultural architectural hacking and document political events over the history. These principles were used in analysing study cases.
6. Major elements and details of Mamluk architecture were inferred and used in different buildings, whether in Jerusalem or other cities.
7. Most elements and details of Mamluk architecture appeared in the study cases according to the use of the building.

8. Results related to Al Ashrafieh School:

- The study showed that the school includes most of the Mamluk architectural elements, except the minaret as the school was for education not a mosque.
- Upon applying theories of politics and architecture, the study found the significations of Mamluk architecture in the school. It also showed role of school architecture in inculcating political thought and its ability to keep the identity of Islamic Mamluk architecture and to export it to colonizers via its steadfastness and sustainability. In addition, the school is able to remain in people's minds, yet the part about the school being the core of excavating extension was not clear, as it is a group of buildings form the excavating center.
- The school played notable role in inculcating the concept of establishing scientific schools all over the Islamic world, and this indicates the political and intellectual awareness of Mamluks in that time.
- The school challenged factors of advancement and civilization and it remained high by using knowledge and culture. It contributed in maintaining cultural heritage through its current status as a centre for historical records and academic researches.

9. Results related to Qatanin Market:

- The market inculcated the political thought of Mamluk architecture through the process of imposing sovereignty on local community. Because it reflects a different building from the religious ones, the Mamluk sultan was keen to establish it to control the surrounding area, and to be near the Temple Mount to assure its relevance to reins of Islamic rule. In addition, the market keeps the

symbol of sovereignty and authority of sultan through maintaining its significance and secular aspect in the light of rapid urban advancement.

10. Results related to Jerusalem Castle:

- The architectural elements did not clearly appear because of the damage occurred to the castle. Nevertheless, some basic elements appeared as the minarets, yards, gates, construction materials, holes …. etc. This indicates the completion of castle role because the architectural elements were obvious in the Mamluk period in Jerusalem.
- The castle helped in inculcating political thought over the successive ages, as it was clear in the Mamluk period through reparations, restorations and various renews that kept it able to protect that thought.
- The castle succeeded in maintaining architectural identity and symbolism of Jerusalem via its open mosque and high minaret that reflects a noble civilization.

11. Study cases evidently contributed in the clarity of the research idea. This happen by showing the architectural elements and details inferred and connected to Mamluk architecture in Jerusalem, besides applying principles of the targeted relation, which is concluded from theoretical studies of this study.

Third: Recommendations

1. Possess a national strategic plan for the Islamic University in particular and other Palestinian universities in general. It directs students through graduation projects and master theses to real national titles useful for the Islamic nation, especially Palestine and Jerusalem. In fact, the city needs congregation of efforts, as we will be accountable in front of Almighty Allah in the Day of Judgment, and we must not leave it for orientalists or Israel to falsify its history. Lastly, having such plan will be an accredited academic reference.
2. Consider examining Islamic archaeologies in a Palestinian architectural thought, whether it is political, social or cultural.
3. Head, through protecting cultural heritage, towards considering documentary architectural studies of archeological Palestinian and Islamic buildings in all villages and cities, in particular Jerusalem.
4. Give media interest for the concept of promoting architectural intellectual level of Muslim people through academic documentary programs that serve the Palestinian Cause.
5. Direct architectural education towards focusing on its Islamic roots and origins and attracting ancient civilization, in addition to accentuating it via modern means of science and civilization.

6. Consider laws and regulations related to architecture that promote the architectural feature of the event to display some elements of Islamic architecture, which are researched in this study, in a method that links past, present and future.
7. Consider, by decision makers, dedicating time, effort and fund for Islamic cultural heritage of Palestine in general and Jerusalem in specific to encounter all kinds of colonization.
8. Face all Zionist schemes that seek to judaize Jerusalem by all kinds of practices (educational – documentary – media) in schools, universities or cultural centers, besides other practical actions on the ground or through methods and programs.
9. Increase community awareness about the importance of Jerusalem, and allocate helps for Jerusalem residents to support their steadfastness against occupation plans.
10. Establish special centre for studies and researches related to Jerusalem and its architecture in a manner that maintains its heritage for future generations. The centre also should be a core for a centre solves problems of Jerusalem architecture.

Islamic University - Gaza

Deanship of Graduate Studies

Faculty of Engineering - Department of Architecture

The impact of the authority and policy on the architecture of Jerusalem city during the mukluks period

Preparation

Eng. Mona Jamal Ismail Skaik

Supervisors

Dr. Mohammed Kahlout
Associate Professor in the Department of Architecture

Dr. Osama Al-Issawi
Associate Professor in the Department of Architecture

Research presented to obtain a master's degree in architecture at the Islamic University

2013 -1434